كلمات ابطنية
٢

اناجيل الآحاد
الصوم الكبير والقيامة

دير مار مخائيل

منشورات النور

١٩٩٥

كلمات ابائية

٢

اناجيل الآحاد

الصوم الكبير والقيامة

دير مار مخائيل

منشورات النور

١٩٩٥

كلمات ابائية

٢

اناجيل الآحاد

الصوم الكبير والقيامة

دير مار مخائيل

منشورات النور

١٩٩٥



آحاد
الصوم الكبير
(التريودي)

أحد الفرّيسي والعشّار

التكبّر والتواضع

(لوقا ١٨: ١٠-١٤)

« **اللهم ارحمني انا الخاطئ** »

(لوقا ١٨: ١٣)

عظة للقديس اندراوس الكريتي

● مقدمة : التكبّر والتواضع

مثل الفرّيسي والعشّار هو بمثابة تدريب سابق وتهيئة للذين يريدون اقتناء **التواضع المقدّس** الذي هو أساس كل الفضائل، هذه الفضائل التي بها يتوطد بناء بيت ملكوت السماوات، وللذين يريدون أن يهربوا من **التكبّر الممقوت** من الله، هذا التكبّر الذي يبعد الإنسان عن كل الفضائل المسيحيّة. من الذي لا يحسد عودة العشار وتوبته ولا يبغض أيضاً كبرياء الفريسي، خصوصاً وأن التواضع مرتبط بالمسيح بينما التكبّر مرتبط بالشيطان المبتاهي والكلّي الكبرياء.

لقد جعل التكبّرُ من لوسيفوروس المتقدم في الملائكة شيطاناً. التكبُّر هو الذي طرد آدم جدّنا الأوّل من الفردوس، «حطّ المقتدرين عن الكراسي ورفع المتواضعين»، «الرب يقاوم المتكبّرين، الرب يعطي نعمته للمتواضعين». هذا التكبّر هو الذي أسقط فرعون، «قال الجاهل في قلبه ليس اله». هو الذي قضى على نبوخد نصّر، «للرب إلهك تسجد وايّاه وحده تعبد». «لا تصنع لك تمثالاً

منحوتاً» الواحد يصيبه المرض ثم يعبر عنه، والآخر يُصبح عنده الهوى عادةً ثانية. الحقيقة ان الكبرياء مرض يصيب حواسّ المريض وضربة مخيفة تدفع الإنسان الى الهلاك.

«من يصعد الى جبل الرب؟ الطاهر اليدين والنقيّ القلب الذي لم يحمل نفسه الى الباطل» (مزمور ٢٣). هكذا كانت جهالة صور وتكبّرها، فهي التي طردت ندى النعمة فأصبحت أرضاً يابسة. وتعلمون هذا جيّداً ممّا سمعتم من أقوال ومن خبرتكم الخاصة: **المتكبّر لا يشعر بحاجة الى نعمة الله التي تكمّل** (كلّ ضعف). ولذلك هو قاس وجاف. تنقصه الحرارة المحيية والرطوبة المنعشة. فيه يصنع الشيطان عشّه كما في شجرة يابسة.

بكلمة واحدة التواضع[1] هو غذاء الفضائل وغذاء الجمال المسيحي. هو أساس التقوى ومبدأها وهدفها. هو نقض الأهواء وصيانة الندى في جذور الايمان. التواضع يتلازم مع مخافة الله التي تطرد الإثم كما قال إرميا وسليمان، لأن «بدء الحكمة مخافة الرب». يجعل التواضع من العشار كارزاً بالروح بينما يجعل التكبّر من الفريسي صنجاً فارغاً يرنّ باطلاً. حقاً إن المرائي هو مثل رمّانة صدوم، هو بطيخ جميل من الخارج إلا أنه عفنٌ وبغير طعم في الداخل.

● **مثل الفريسي والعشار**[2]

صعد العشار الى الهيكل، صعد بالجسد وبالنفس. كما صعد الفريسي أيضاً الى الهيكل بالجسد وبالنفس. الأوّل صعد ونفسه نازلة مع تواضعه، والآخر نزل لان نفسه كانت متعالية مع تكبّره. الأوّل كان يصعد على درجات داود ويتبع

---

(١) كان القديس اسحق السرياني يقول: «إني أخاف أن أتكلّم عن التواضع كأني أتكلّم عن الله نفسه». ويشبّه القديس دوروثاوس المحبة بسقف البيت لأنها تاج الفضائل، امّا التواضع فيشبّهه بالسور (درابزون) لأنه يصون كلّ فضيلة بمرافقته إيّاها.

(٢) قال الرب هذا المثل «لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ويحتقرون الآخرين» (لوقا١٨:٩).

الطريق الذي يقود الى الفردوس ، والآخر كان يسير نازلاً في الطريق الذي يؤدّي الى لوسيفورس رئيس الكبرياء . الأوّل صعد قدماً على سلّم الفضيلة ، بينما سقط الآخر من الفضيلة واقترب من الشرور .

كثيرون يدخلون الهيكل ، ولكن قليلين هم الذين يشتركون فيه لأنهم غير مستحقين لبيت الله . **المتكبّر لا يبقى في جوّ المحبّة** . وكل من لا يبقى في جوّ المحبة لا يبقى في حضن الله كما يقول يوحنا الانجيلي . أمّا كل من يبقى في المحبّة فيسكن في الله والله فيه ، ويكون هيكلاً لله كما يقول بولس الرسول . الذين يدخلون في هيكل الله هم الذين يعمل الله فيهم . وينير الله فقط الأطفال والصغار كما يقول داود . «حيث يكون المتواضع هناك توجد الحكمة» كما يقول سليمان . الحكمة من جهةٍ الايمان ومن جهةٍ العمل .

كانت الحكمة ناقصة عند الفرّيسي . لذلك وهو مرائي يشكر الله ظاهرياً فقط . امّا في الداخل فهو ناكرٌ لنعمته . لا يحفظ الوصية : «أحبب قريبك كنفسك» . كلمته «أشكرك» تبدو حسنة كونه لم ينسب الفضيلة الى نفسه ، كما كان يعتقد نبوخذنصّر وسيماس وبطرس . إن لوسيفورس وآدم وقعا في مثل هذا التكبّر . كان الفريسي يفتخر بما ليس عنده فعلاً ، لأنه وإن كان يملك شيئاً فهو خاسره بسبب كبريائه .

ينبغي للذي يملك شيئاً أن يعترف بأن ليس لديه أيّ شيء . وينبغي له أن يقول : «أنا عبد بطال» لأنه «لن يتبرّر امامك اي حيّ» .

من لا يتواضع يدوس المحبة ، ومن لا يحبّ يزدري . حقاً **إن الكبرياء مصدر كل خطيئة** . يأتي بعده الحسد ، وبعد الحسد القتل ، بسبب الكبرياء ، رأى أبشلوم[٣] أباه عدوّاً وسعى إلى قتله . العدوّ الخفي أخطر من العدوّ الظاهر ، ولا يختلف عن الشيطان الذي بشكل حيّة ضحك من المجبول أوّلاً . لذلك فان

---

(٣) أبشلوم إبن داود (أنظر٢مل١٥)

الخاطئ المعلَن يُبرَّر ، امّا الخاطئ المتخفّي فيُدان . الأوّل يُلَام لفعله السيّئ ، أمّا الاخر فلا يزال يملك الكذب والباطلَ ، ولذلك أُبعد عن التبرير الإلهي . المختارُ يُحدَّدُ من خلال محبّته كما يقول بطرس الرسول في رسالته الاولى وكما يقول بولس الرسول في رسالته الى أهل أفسس ورسالته الى أهل كولسّي . أمّا الحقد فهو مشجوب بالكلّيّة .

أدرك العشار خطيئتة فغُفرتْ له وتحرّر منها ، لذلك يحيا كما يقول النبي حزقيال . هي الحياة التي ربحها داود كما كان يقول ناتان ، **أمّا الفرّيسي فلم يدركْ خطيئتة ولذلك بقي بعيداً عن الحياة .**

لننتبه جيّداً مرةً أخرى لما ورد في الإنجيل : «انسانان صعدا الى الهيكل ليصليّا الواحد فرّيسي والآخر عشّار» (لوقا ١٨ : ١٠) الفرّيسي نموذج للأشخاص الذين يبرّرون أنفسهم ويحتقرون الخاطئين ، نموذج للمتكبّرين ، هكذا أراده الرب . واستعان الربّ بالعشّار لكي يعطي نموذجاً للخاطئين التائبين ، الذين يصلّون ويعترفون بقلب منسحق بالكلّيّة ، وذلك لكي يعلّم الجميع أن يكرهوا الكبرياء ويحبّوا التواضع .

ويبيّن المسيح جلياً في هذا المثل أن البرّ (أو العدل) فضيلة كبيرةٌ تقرّب الانسان من الله . ولكن عندما يرفقه الكبرياء يقودُ الإنسان الى القعر : هذا ما حصل مع الفرّيسي ولذلك أدين رسقط في الهلاك . **الظلم والخطيئة منبوذان** ومزدرى بهما ويبعدان الإنسان عن الله أكثر من أي شرّ . أمّا التواضع فهو يبرّر الانسان بالتوبة والاعتراف ويجعله مستحقاً للخلاص ويقرّبه من الله : هذا ما حصل عليه العشار . لذلك بُرّر وأصبح جديراً بالخلاص .

● **«أشكرك يا إلهي . . .» (لوقا ١٨ : ١١)**

وقف الفرّيسي يصلّي في نفسه هكذا : «أشكرك يا إلهي لأني لست كسائر الناس الخطفة الظالمين» . يا له من كبرياء! هذا يمقته الربّ وكذلك النبي أشعيا

لانه يقود الى مصر ، فيه وقاحة فرعون وظلمة مصر . فيه ضياع للذاكرة كما جاء في مزمور داود . يا له من فم محبّ للإدانة كما جاء في الفصل السادس من سفر الأمثال[٤] . يقول الفرّيسي أيضاً : «لست كسائرِ الناس الخطفة الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار» يبدو أن الاحتقار هو مبدأ الكبرياء ، والذي يحتقر الآخرين ويعتبرهم ، كلا شيء، حتى وإن كانوا فقراء ، أو أميين او تافهين أو ظالمين او خاطئين ، يصل في النهاية الى ان يعتبر نفسه وحده حكيماً وعاقلاً وشريفاً وغنياً ومقتدراً وعادلاً وفوق كل الناس .

الاحتقار مبدأ الكبرياء كما أن الكبرياء ثمر الاحتقار الرديء . لذلك سوف يجلب يوم الربّ الشهير الحكم على كل محتقِر ومتكبّر ، لأن مثل هذه الخطايا بهذا الشكل سوف تُعاقب .

تبيّن من مظهر الفرّيسي وموقفه أنه كان مكتفياً بذاته ومتكبّراً مع أن أقواله في البداية كانت أقوال شكر واعتراف بالجميل . كان يقول في البداية «أشكرك يا إلهي» وبعدها أخذ يتكبّر ويتعظّم ، لماذا ؟ لما لم يقل : أنت يا ربّ الذي جبلتني وبمعونتك أتحرّر من كل ظلم ومن كل خطف أو أي سوء آخر . وقد قيل لنا : «ماذا تملك أنت ممّا لم تأخذه» . لقد اعتبر الفرّيسي أن كل ما حصل عليه هو انجاز من قدرته الخاصة . ليعلم الإنسان ، أي انسان ، انه بدون معونة الله لا يملك القدرة على تحقيق أي شيء صالح : «بدوني ، يقول الرب ، لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً» . ويقول النبي : «إن لم يبنِ الربّ البيت فباطلاً يتعب البنّاؤون» . ويقول الرسول : «لا بالذي يريد ولا بالذي يتعب بل بقدرة الله الذي يرحمنا» وبتعبير آخر : «لا انا بل نعمة الله التي معي» ، وفي مكان آخر «الله هو الذي يحرّك فينا الإرادة والقوّة» .

لذلك بينما كان العشّار كمثل حديقة مرويّة بالمياه الروحية ، كذلك كان الفرّيسي سنديانة عارية من الأوراق كما يقول أشعيا وسليمان . لأنه وإن كنّا

---

(٤) ستّة يبغضها الربّ.

نتحلّى بحرّية الارادة الّا انه بدون تحالفنا مع الله ، لا نستطيع أن نحقق أي عمل بشجاعة في حياتنا . أنا أعلم أنّ طريق الانسان لا ترتبط به وحده ، ولا يستطيع وحده أن يصل الى نهايتها . فلا ننسبنّ اذاً لأنفسنا نتائج جهاداتنا . إلينا يعود الاختيار ، اختيار الافضل ، والجهاد من اجل تحقيقه ، **ولكن الله هو الذي يقود الانسان في رغبته الى النهاية**. لأن الانسان لا يملك من طبيعته الامكانية لتحقيق مثل هذه الرغبة الصالحة بل انّه يستمدّ من النعمة الالهية إمكانية القول : «إني أستطيع» . كل ما عدا ذلك فهو تبجح وافتخار وادّعاء . لأنه قيل لنا : «ماذا تملك ممّا لم تأخذه ، وإن أخذته لماذا تدّعي وتفتخر وكأنك لم تأخذه من آخر» ؟

● **«أصوم مرّتين . . .» (لوقا ١٨ : ١٢)**

«أصوم مرتين في الأسبوع وأعشّر كلَ ما هو لي» .

كان الفرّيسي قد اتهم الآخرين مع العشّار بالزنى ، ولكنه يقابل ذلك بالتباهي بالصوم . ونعلم ان **الرفاهية تقود الى الدعارة** والشبع الى الاحتقار . كان الفرّيسي بسبب تعذيب جسده بالصوم ، يفتخر بتباعده عن هذه الأهواء . ونعلم أيضاً ان الفرّيسين يصومون مرّتين في الأسبوع : الاثنين والخميس[٥] .

هكذا فانه مقابل «الخاطفين والظالمين» كان الفرّيسي يقول : «إني أعطي عِشر أموالي» . افتخاره ومقاومته للخطف والظلم كان في إعطائه الآخرين ممّا كان يملك . كان اليهود يعطون عشرَ ما يملكون وبعدها يعطون الثلث . هكذا يصلون الى توزيع ثلث ثروتهم تقريباً . وكانوا يعطون بواكيرهم والكثير من مواردهم من اجل خطاياهم ، منها للتطهير ومنها للأعياد ومنها لتخفيف الديون ومنها لتحرير العبيد . وكانت الديون معفاة من الفائدة . كل ذلك إن أخذناه بعين

(٥) دون أن يكون ذلك مفروضاً من الناموس، كما ان دفع الأعشار كان يطال فقط المنتوجات الزراعية (تثنية ١٤:٢٢-٢٣).

الأعتبار يبيّن ان لا شيء يستدعي للافتخار والتكبّر . والإنجيل نفسه يقول : «إن لم يفقْ برّكم برّ الكتبة والفرّيسيين لن تدخلوا ملكوت السماوات» .

● **«اللّهم ارحمني أنا الخاطئ» (لوقا ١٨ : ١٣)**

«امّا العشار[٦] فكان قائماً من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه الى السماء ، بل كان يقرع صدره ويقول : اللّهم ارحمني انا الخاطئ . اقول لكم إن هذا نزل الى بيته مبرَّراً دون ذاك . لأن كل من يرفع نفسه يتّضع وكل من وضع نفسَه يرتفع» .

كان العشّار يصلّي . لم تكن لديه أعمالٌ صالحة يعدّدها كما فعل الفرّيسي ، لكنه كان يقرع صدره ، وقلبه يهتزّ بانسحاق وتوبة :«**اللّهم ارحمني انا الخاطئ**» لذلك تحنن عليه الربّ الرحيم والرؤوف ، لأن التواضع يلقي جانباً ، كلّ الخطايا ، بينما يلغي التكبُّر كل الفضائل لانه أكبر وأثقل من كل خطيئة وسوء. من الافضل ان نتوب بعد كل خطيئة ونتواضع من ان نعمل ما هو صالح ونفتخر به . لقد نزع العشار عنه لباس الخطايا عندما تقبّل اتّهام الفرّيسي بوداعة وصبر ، امّا الفريسي فقد سقط من المجد الى قعر الاثم لانه برّر نفسه وأدان العشار والآخرين . عاد العشار من حياة الفساد والخطيئة الى حياة مغبوطة ، امّا الفرّيسي فقد تظاهر بالتواضع بسبب أنانيته وكبريائه .

* * *

● **المطلوب منّا**

يُطلب منا شيئان : أن نُدين خطايانا وان نسامح خطايا الآخرين ، لان الذي يرى خطاياه يُصبح اكثر تسامحاً تجاه الآخرين ، والذي يحكم على الآخرين

---

(٦) العشارون هم الذين كانوا يجمعون الأعشار اي الضرائب من الشعب.

يُدين نفسَه ويُحكم عليه حتى ولو كانت له فضائل كثيرة . انه بالحقيقة لامر عظيم ، يا إخوة ، أن لا نُدين الآخرين بل نُدين أنفسنا . لكننا غالباً ما نغضّ الطرف عن خطايانا ، وندين الآخرين ، ونفحص خطاياهم ، ولا نعلم إن كنّا أكثر صلاحاً منهم . عندما نُدين الآخرين نصبح بدورنا مذنبين ونستحق عند ذلك العقاب نفسه وجهنّم : بالكيل الذي تدينون فيه تُدانون» . الذي يزني ينقض الوصية كذلك الذي يُدين الزاني . اثنان هما اللذان تعدّيا الوصية الإلهية : الزاني والذي يدينه .

لنلتفتْ اذاً الى أنفسنا ، أيها الاحبّاء! إن رأينا احداً يخطئ فلننظر الى خطايانا ولنحسبها اكبر من خطايا الآخرين ، لأن الذي خطئ ربما تاب عند السقطة بينما لا نزال نحن على اعوجاجنا ودينونتنا للآخرين . إن لوطاً، وإن سكن صدوم ، الّا انه لم يدن أحداً ولم يحكم على أحد ، لذلك بُرّر ونجا من النار والهلاك الشامل الذي وقع على أهل صدوم . ولنحكم بكل تواضع على أنفسنا حتى نرفع بلا دينونة الى السماء . لنسعَ وراء التواضع لأن به حكم على الفرّيسي فخسر الفضائل التي كانت لديه .

الفرّيسي يُدان لانه عمل عملاً حسناً ولكن بطريقة غير حسنة . ويُبرّر العشار لانه نزع عن نفسه الاعمال غير الحسنة بطريقة حسنة . نظر الله الى تنهّدات العشّار وانسحاقه وضرباته على صدره ، وبعد تقبّله طلبَ الرحمة ، جعله مع هابيل البار ، بينما ازدرى بتضحيات الفرّيسي وبفضائله وبإنجازاته وبافتخاره وبكبريائه . ولذلك حُكم عليه كما على قايين قاتل أخيه .

فلنتعلّم ، أيها الإخوة ولنعلّم ولنأتِ بانجازات كبيرة . ولا نفتخرنّ حتى ولو أصبحنا صالحين وأبرار ومسامحين وعطوفين ورحماء . بل على العكس لنتواضع دون أن نفتخر بأنفسنا ونتكبّر حتى لا نخسر عرَقَنا وتعبنا ، لانه يقول : «عندما تفعلون كل هذا قولوا إنكم عبيد بطالون وما يتوجب علينا فعله ، قد فعلناه» . لا بدّ لنا أن نقدّم لإله الكل التواضع والصبر والخضوع والطاعة والاعتراف بالجميل

والشكر . لا بدّ ان نعظّم مشيئته الكلّية القداسة ونسجد لها ولا نهتمنّ باتهامات الآخرين واحتقارهم . لا نضطربنّ لكل هذه التجارب ولا نغضبنّ أمام اهتماماتها لانها عند حصولها تجلب علينا الفائدة الكبيرة .

لنعلّم ، أيها الإخوة ، قوّة التواضع وعونه . ولندرك أيضاً إدانة التكبّر الرديء وهلاكه مثل ظلّ بهيموت في سفر أيّوب وابتعاده عن طريق الحق وعن نور العدل .

التوبة خير كبير وكذلك الاعتراف والانسحاق والدموع والتنهّدات من الأعماق والندم . لذلك رجائي أن تعترفوا باستمرار الى الله وتكشفوا عن خطاياكم ، لانه اذا كشفنا له عن ضميرنا وعن جراح نفوسنا دون ان نُدين الآخرين ونقسو عليهم بسبب إساءتهم لنا وإهانتهم وظلمهم ، عندئذ سوف يتحنّن الرب المحب البشر علينا ويمزج لنا ادوية العطف والرأفة ويضّمد جراحاتنا ويشفينا . لنبيّن له خطايانا لانه لن يهيننا بل يشفينا ، وان صمتنا نحن فهو يعرف كل شيء. لنذكر أيها الاخوة ، خطايانا ولنعترف بها بصدق لكي نكتسب عطفه . لنرفضها لكي نتطهّر منها ونذهب الى الربّ ونُقاد الى ملكوته الأبدي ونرث المساكن المستقبلة غير الفاسدة والغذاء والسعادة التي لا نهاية لها .

لنعمل كل ذلك بمعونة المسيح إلهنا الذي له المجد والقوّة الى الأبد ، آمين .

● **المراجع :**

- الموعظة السابقة مأخوذة من موسوعة «مين» الآبائية الجزء ٩٧، الصفحات ١٢٥٦ - ١٢٦٨.

- يوجد ايضاً تفاسير اخرى لمثل الفرّيسي والعشار عند القديس يوحنا الذهبي الفم ثيوفيلكتوس وزيغافينوس والقديس غريغوريوس بالاماس : P.G Migne الجزء ١٥١، الصفحات ١٧ - ٣٢.

– مراجع اخرى عن التواضع والتكبّر :

* عند القديس يوحنّا السلّمي : «عن التواضع» و «عن التكبّر» في كتاب السلّم .

* عند القديس اسحق السرياني : «عن التواضع» في كتاب النسكيّات .

* عند الأب ستانلواي : المقالة عن التواضع .

* عند القديس دوروثاوس : «عن التواضع» في كتاب التعاليم الروحيّة .

لمحة عن القديس اندراوس الكريتي[٧]

(٦٦٠ –٧٤٠)

● **حياته :**

كان احد المؤلفين الأخيرين للقوانين الكنسيّة الشهيرة .

وُلد في مدينة دمشق العربيّة حوالي سنة ٦٦٠. هذه المدينة التي أعطت مرنّمين كباراً الى الكنيسة وأشهرهم القديس يوحنا الدمشقي[٨] .

دخل الى دير القديس سابا في منطقة أورشليم – ولهذا يرد لقبه أحياناً «اورشليمي» – وكان ذلك في الخامسة عشر عن عمره تقريباً . وفي سنة ٦٨٥ غادر الدير الى القسطنطينية مرسلاً من قبل البطريركية الأورشليمية مع راهبين آخرين ليعلموا الامبراطور قسطنطين بوغوناتو بقبول الإكليروس الأورشليمي بمقررات المجمع المسكوني السادس ٦٨١ ضدّ بدعة المشيئة الواحدة بقي في القسطنطينية حيث رُسم شماساً وكان يخدم في كنيسة آجيا صوفيا .

وفي القسطنطينية اشتهر باهتمامه بخدمة الأيتام وتربيتهم الى ان انتُخب مطراناً على مدينة غورتينا قاعدة جزيرة كريت . ومن هنا لقبه «الكريتي» وفي الكتب القديمة «الاقريطشي» . وحدث ان اغتصب فيليبكيوس بردنيس العرش ، وهو من اتباع المشيئة الواحدة ، فدعا الى مجمع انعقد في العام ٧١٢ في القسطنطينية . وبناء على اوامر المغتصِب شجب هذا المجمعُ المجمعَ السادس وأعاد

---

(٧) تعيّد له الكنيسة في الرابع من تمّوز.

(٨) القديس يوحنا الدمشقي (٦٨٠ – ٧٥٥)
القديس قوزما المرنّم (٦٨٥ – ٧٥٠)
القديس اندراوس الكريتي (٦٦٠ –٧٤٠)

البدعة. أمّا اندراوس فبسبب نعومة طبعه واعتداله لم يستطع ان يقف امام ضغط الامبراطور فوقّع مع أغلبية الاكليريكيين. وفي السنة التالية سقط المغتصب فعاد الى تأييد المجمع المسكوني السادس. وبعدها قاوم بقوّة الامبراطور لاون الايسفري[٩] محارب الايقونات.

أظهر الأسقف اندراوس نشاطاً كبيراً في ابرشيته في كريت وقد سافر الى القسطنطينية في شيخوخته لأمور تتعلّق بالأبرشيّة. وبعد عودته مات في جزيرة ميتيليني سنة ٧٤٠.

● **مؤلفاته :**

اشتهر بخطابته. عالج مواضيع أخلاقية بكلام غني وبأسلوب خطابي رائع. اعطى مواعظ عديدة تتعلق بالأعياد وبقدّيسين كبار، بقي منها ثلاثون. منذ ذلك الحين تحدّدت الاعياد الكنسية في بيزنطية من اعياد سيّدية وآحاد واعياد قديسين كبار والشهداء والأبرار.

كما بقي أيضاً حوالي مئة قانون وعدد كبير من الطروبريات. وقد وصل شعره الى اوجه في **وصفه لخطيئة الانسان وتوبته**. كان قويّ التعلّق بسيدتنا والدة الإله على ما يبدو من مواعظه في أعيادها. انما أشهر مؤلفاته الشعرية وغير الشعرية هو **قانون التوبة أو القانون الكبير**.

● **القانون الكبير :**

يتألف القانون الكبير من ٢٦١ طروبرية وهو أطول القوانين. وهو النموذج الافضل لشعره. بتعابير مؤثرة ومتنوّعة يقدّم القديس الشاعر **صورة الانسان المعذّب من جراء خطيئته :**

« من أين أبتدئ أنوح على أفعال عمري الشقي ؟

---

(٩) ايسفريا بلد مجاور لكيليكيا وتابع للكرسّي الانطاكي.

وأيّما أبتداءٍ اضعه ايها المسيح للمناحة الحاضرة؟ »

والنوح هذا ينتهي برجاء الخلاص ويتوقف عندما يتحوّل هذا الرجاء الى يقين :

«انت هو يسوع الحلو ، انت هو جابلي ، وبك يا مخلّص اتبرّر» (الجزء الأوّل -الأودية الثالثة) .

هذا القانون يُتلى على أربع مراحل ، على غرار المديح الذي لا يُجلس فيه ، وذلك في الايام الاربعة الاولى من الصوم الكبير . ويُتلى دفعةً واحدة يوم خميس التوبة في الاسبوع الخامس من الصوم[١٠].

(١٠) المرجع الرئيسي: كتاب الآباء للأستاذ خريستو بنايوتو .

أحد الابن الشاطر

(لوقا ١٥: ١١-٣٢)

عظة للقديس غريغوريوس بالاماس

● **المقدّمة :**

١ - « سوف يحدث يوماً ما **جوع** » ، قال النبي ناحباً أورشليم ، « لا الجوع الى الخبز ولا العطش الى الماء بل الى استماع كلمة الرب » **(عاموس ٨: ١١)** . انه جوع الحرمان وفي الوقت نفسه شهية الغذاء الضروري . إنما هناك أمر أسوأ وأشقى من هذا الجوع حين يفتقر الواحد إلى ما هو ضروري للخلاص ، وهو لا يشعر بالشقاء لعدم اشتهائه الخلاص . إن من يجوع دون ان تكون لديه الضروريات يفتش في كل مكان عن قطعة خبز . فإن وجد عجيناً معفناً او قدّم له أحد خبزاً من الشعير أو شيئاً آخر من الطعام الرديء ، يفرح به كثيراً نظراً إلى ما كان توجّعه سابقاً حين لم يكن لديه ما يأكله . هكذا أيضاً من يجوع روحياً ، أي من لديه جوع الحرمان والشهية معاً للغذاء الروحي ، يهيم سائلاً من كانت لديه موهبة التعليم من الله . فان وجَد ، يأكل بفرح خبزَ حياة النفس أي كلمة الخلاص التي من يسأل عنها حتى الانقضاء لا بدّ له ان يجدها « لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يُفتح لهُ » (لوقا ١١:١٠) .

٢ – هناك بعض الأشخاص الذين نظراً إلى عدم تغذية فكرهم لمدة طويلة فقدوا شهية الطعام . لذا لا يلحظون الضرر . فإن كان لديهم معلّم يصعب عليهم سماع تعاليمه ، وإن لم يكن لديهم معلّم لا يبحثون عن واحد سالكين في الخطايا أكثر من الابن الشاطر . لأن ذاك بأبتعاده حُرم من الغذاء الأبوي والسيدي ، فوقع في جوع شديد وأحسّ بتضوّره ، فتاب وأتى طالباً الغذاء الإلهي غيرَ المائت وناله ، وتمتع بالتالي عن **طريق التوبة** بمواهب الروح حتى إن غناه أثار حسد أخيه الأكبر .

٣ – لكن من الأفضل أن نتناول الموضوع من أوّله لكي نشرح ، محبّةً بكم ، هذا المثلَ الانجيلي الذي رُتبت تلاوته اليوم في الكنيسة .

● « قال : **إنسانٌ** كان له ابنان » (**لوقا ١٥ : ١١**) .

٤ – يدعو الرب نفسه في المثل إنساناً وهذا ليس بالأمر الغريب فإذا أصبح فعلياً إنساناً لخلاصنا فلم العجب بأن يُظهر نفسه إنساناً لمنفعتنا ؟ هذا الذي هو دائماً راعي نفوسنا وأجسادنا هو الربّ والخالق معاً ، هذا الذي وحده أظهر لنا أعمال محبة ورعاية حتى قبل ان نظهر الى الوجود .

الخلق :

٥ – لانه قبل وجودنا قد أعدّ لنا ميراثاً أبدياً للملكوت كما يقول هو نفسه « منذ تأسيس العالم » (متى ٢٥ : ٣٤) من أجلنا خلق قبلنا الملائكة لكي يرسلهم كخدّام « للعتيدين أن يرثوا الخلاص » كما يقول بولس الرسول (**عبرانيين ١ : ١٤**) .

لقد بسط السماء من أجلنا قبلنا في كل هذا العالم المحسوس كما لو أنه وضع خيمة عامة ومشتركة فوقنا جميعاً خلال هذه الحياة العابرة . هو نفسه الدائم الحركة والكثير الحركة وغير المتحرك . انه لا يتحرّك لكي لا يسبب للقاطنين أذيّة بانتقاله . هو كثير التحرك لكي ينحصر في مكانه بحركاته المضادة .

وهو دائم الحركة بحدّ ذاته يسيّر معه بحكمة مجموعة الكواكب لكي نتعلّم من كل كوكب منها أن حياتنا مؤقتة فنتنعّم به حين يستقرّ فوق رؤوسنا إلى أن يحلّ مكانه كوكب آخر.

قبلنا ومن أجلنا وضع الكوكب الكبير لضبط النهار والكوكب الصغير لضبط الليل. جعل الكواكب الأخرى والأنوار في الفلك تتحرّك وتتواجد معه وتتبدّل بأشكال عديدة لتكون علامة للزمن والأوقات. لا أحد يحتاج إلى هذه، لا الطبيعة العقلية الفائقة الحسن ولا طبيعة الحيوانات غير العاقلة التي تحيا فقط بالحواس. لقد جُعلت هذه لنا لكي ننعم بالشعور بالهبات الأخرى وبجمال المنظورات فندرك بالفكر هذه العلامات.

٦ - لنا وقبلنا أسس الارض، بسط البحر ونفث عليها الهواء بغزارة وأشعل فوقه بحكمة فائقة طبيعة النار لكيما تتعدل برودة السفليات الفائقة فتدور في محور ثابت ضابطة انتشارها. ان الحيوانات غير العاقلة وان احتاجت إليها للبقاء إلا أنها قد خُلقت قبلنا لخدمة البشر كما يترنم النبي داود (مزمور ١٠٣ : ١٤).

٧ - إذاً خلق جابلنا هذا العالم من العدم قبل جبلنا نحن وذلك لقوام جسدنا. أي أمر لم يصنع السيد المحبّ الصلاح لإصلاح الأخلاق وللإرشاد الى الفضيلة؟ إن هذا العالم نفسه قد أقيم كمرآة لما هو فوق العالم كما نصل إليه بالثاوريّا الروحية حوله كما بواسطة سلّم عجائبي. لقد وضع داخلنا ناموساً طبيعياً كمحطة غير خاضعة للانثناء، كقاض لا يخطأ، ومعلم غير كاذب. إنه **الضمير الشخصي** لكل فرد. هكذا ان كنا بالعقل مستجمعين انفسنا لن نحتاج الى معلّم آخر لفهم الصالح. ان جزنا بشعورنا العقل حسناً نحو الخارج، فالأمور غير المنظورة ترى مدركةً بالمصنوعات» يقول الرسول (**رومية ١ : ٢٠**).

٨ - إذاً بما انه بالطبيعة وبالخليقة أظهر تعليم الفضائل، فهو نفسه وضع **الملائكة كحرّاس**، أبرز الآباء والأنبياء للإرشاد، أظهر آيات ومعجزات تقود إلى

الإيمان وأعطانا الناموس المكتوب مساعداً لناموس طبيعتنا العقلية وللتعليم بواسطة الخليقة. أخيراً بما اننا ازدرينا بها كلها « يا لكسلنا ولطول أناته وعنايته الفائقة لنا) قدّم نفسه من أجلنا مفرغاً غنى لاهوته لكياننا الذليل آخذاً طبيعتنا وصائراً انساناً مثلنا فأصبح معلمنا. انه يعلّمنا عن عظمة محبته للبشر مشيراً اليها بالقول والعمل، مرشداً إيانا في الوقت نفسه إلى التشبه به في المحبة بينما يحذر تلاميذه من قساوة القلب.

٩ - بما ان المحبة تولد داخل القيّمين على الأعمال كما عند رعاة الأغنام فهي توجد أيضاً عند أرباب الملكيات لكن ليس بالقدر الذي توجد فيه عند ذوي الرباط الدموي والقرابة ومن بين هؤلاء خصوصاً محبة الآباء للأبناء. فمنهم نستدل على محبته للبشر، وهو القائل عن نفسه انه إنسان وأب لنا جميعاً. لانه من جهة أصبح من أجلنا انساناً حقيقياً، ومن جهة ثانية أعاد ولادتنا بالمعمودية الإلهية وبنعمة الروح القدس.

● « وقال: إنسان كان له ابنان» **(لوقا ١٥: ١١)**.

١٠ - لأن الاختلاف في الرأي فرّق الطبيعة الواحدة الى اثنين، والتمييز بين الفضيلة والرذيلة جمع ورتّب الكثيرين الى فريقين. في بعض الأحيان نتكلم عن فرد كأنه إثنان بحسب الشخصية (الأقنوم) وذلك عندما يكون له ازدواجية في الخلق ونتكلم عن مجموعة بالمفرد حينما يتوافقون فيما بينهم.

● « فقال أصغرهما لأبيه: يا أبي أعطني القسم الذي يصيبني من المال. فقسم لهما معيشته »[1] **(لوقا ١٥: ١٢)**

---

(١) يظهر الابن الاصغر غير عاقل، لانه يتقدّم بطلبه بفتوّة وتهوّر **ان الخطيئة التي في ذهنه المصوّرة عصيانه هي حديثة العهد** لانها وجدت لاحقاً نتيجة لارادتنا السيئة. **فالفضيلة** هي قديمة العهد لانها كانت عند الله ازليةً وقد وضعت من قبله في نفسنا منذ البدء بحسب النعمة.

١١ - يا للجهالة : إنه لم يسجد له ، لم يتوسل اليه ، بل كلّمه ببساطة . لم يكتفِ بهذا ، بل طالب بحصته كأنه يستوجب العطاء من ذاك الذي يعطي الجميع بحسب النعمة [٢].

أعطني حقي من الميراث حسب الشريعة ، حقي وفقاً للحق . أية شريعة هذه ، ومن أين هذا الحق أن يكون الآباء مدينين للبنين ؟ ان العكس يجب ان يحصل وهو ان البنين مدينون للآباء كما تشير الطبيعة نفسها بما انهم قد اتخذوا الوجود من قِبل اولئك لكن هذا دليل على التفكير المستحدث العهد

١٢ - اذاً ماذا صنع هذا الذي يمطر على الصدّيقين والظالمين ، الذي يُشرق الشمس على الأشرار والصالحين ؟ « قسم لهما معيشته » . أنظر كيف ان هذا « الانسان » والأب ليس بمحتاج . وإلّا لما كان قسّم الميراث على اثنين فقط ولا إلى حصّتين فقط بل لكان احتفظ لنفسه بحصة ثالثة . لكنه كإله كما يقول النبي داود (**مزمور ١٥ : ٢**) ليس بحاجة لخيرات من هذا النوع . لقد وزّع الميراثَ كلّه على هذين الولدين أي على العالم أجمع . لأنه كما تنقسم الطبيعة الواحدة بسبب الآراء المختلفة ، هكذ ينقسم العالم بحسب الاستخدامات المختلفة . بالحقيقة يقول الأوّل لله « طول النهار مددتُ اليك يدي » (مز ٨٧ : ٩) ، و « سبع مرات في النهار سبّحتُك على أحكام عدلك » (مز ١١٨ : ١٦٤) و « في نصف الليل نهضتُ » (مز ١١٨ : ٦٢) ، و « صرخت في ضيفي » (مز ١١٩ : ١) و « توكلت على كلامك » (مز ١١٨ : ٤٢) ، و « سأستأصل بالغداة جميعَ خطأة الأرض » (مز ١٠٠ : ٨) أي قطعت كل وثبات الجسد التي تتحرّك نحو الذلّ . أمّا الآخر فيُمضي أيامه في الخمر باحثاً عن مكان للشرب ، ويُمضي لياليه بأعمال غير لائقة وغير شرعية ، يسرع الى الدسائس في الخفاء أو الى مؤامرات جليّة ، الى اقتناص الأموال والى مخططات شريرة . ألعلّهما لم يشتركا

---

(٢) المعطي هو الله. يفترض هنا المفسّر ان الموضوع مرتبط دائماً بعلاقة الانسان بالآب السماوي.

في الليل الواحد ، في الشمس الواحدة ، وقبل هذه في الطبيعة نفسها ؟ إلا أنهما قد استغلّاها دون أن يتفقا أحدهما مع الآخر . لكن الله أقام الخليقة بدون انقسام على الجميع جاعلاً استخدامها بحسب مشيئة كل واحد .

● « وبعد أيام ليست بكثيرة جمع الابن الاصغر كل شيء وسافر الى كورة بعيدة ، وهناك بذّر ماله بعيش مسرف »[٣] . (لوقا ١٥:١٣)

كيف لم يسافر فوراً بل انتظر اياماً قليلة ؟ ان الشيطان الموحي بالشرّ لا يعرض على الانسان في الوقت نفسه الغرابة (النمط الخاص في العيش) والخطيئة ، بل بدهاء وبتدريج يختلس الاستعداد شيئاً فشيئاً هامساً لنا : « يمكنك أنت ان تعيش وحدك دون ان تتبع كنيسة الله ودون ان تتنبّه لتعليم الكنيسة . باستطاعتك ان تفقه الواجب بمفردك دون ان تبتعد عن الصلاح » . **عندما ينقطع شخص ما عن وفاق الشركة وعن الطاعة للمعلّمين الشرفاء يبتعد عن النظر الالهي** (النعمة الإلهية التي تصونه) مستسلماً للاعمال الشريرة . عندما نصل الى الشر عن طريق الخطيئة نبتعد عن الله كما يقول النبي داود « ولا يثبت ذوو المعاصي قدام عينيك » (مزمور ٥ : ٥) .

١٤ - إذاً بما ان الابن الاصغر ابتعد بهذه الطريقة وسافر الى بلد بعيد « بدّد ماله بعيش مسرف »[٣]. لكن كيف بدد ماله ؟ ان فكرنا المزروع فينا يفوق كل جوهر وكل ممتلكاتنا . طالما نحن ثابتون في مناهج الخلاص يكون الفكر (النوس) مجموعاً حول ذاته وحول الله الفكر الأوّلي والأسمى . **لكن عندما نفتح باب الأهواء يتشتّت الفكر** فوراً طائفاً باستمرار حول الجسديات والأرضيات ، نحو الملذات المتعدّدة الأشكال والأفكار الشهوانية . ان غنى الفكر هو الحكمة

(٣) الميراث المبعثر المبذّر هو قبل كل شيء فكرنا (النوس) الذي يجب ان يكون مجموعاً على نفسه وعلى الله الفكر الاسمى. تبذير الميراث هو **تشتّت الفكر (النوس)** بسبب الاهواء. الفكر هنا ترجمة للكلمة اليونانية nous.

(التعقّل) التي تبقى داخله مميّزة الأفضل من الأسوأ طالما يبقى منضبطاً بوصايا الآب العلوي وإرشاده . لكن عند عصيانه إياها تتبدّد الحكمة الى زنى وجهالة ينتج عنهما سيئات مختلفة .

١٥ - سوف ترى ان كل فضائلنا وقوانا هي في الحقيقة غنانا الذي يتبدّد عند جنوحنا الى الشر الكثير الأوجه . فالفكر (أو النوس) يحوّل رغبته نحو الله الواحد والحقيقي ، الصالح وحده ، المشتهى وحده ، المانح وحده اللذة معتقة من كل ألم . لكن عند تلاشي الفكر تتلاشى قوّة النفس الموجّهة نحو المحبة الحقيقية وتسقط عن المشتهى بالحقيقة وتتحوّل نحو الشهوات المختلفة وتتبدّد ، فتنجذب من جهة الى اشتهاء الأطعمة غير الضرورية ، ومن جهة اخرى الى اشتهاء أشياء غير مجدية ، ومن جهة ثالثة الى الرغبة في المجد الباطل . هكذا يتجرأ الانسان الشقي وينجذب بهذه الاهتمامات المتنوّعة فلا يعود قادراً على تنشق الهواء المشترك ولا الامتنان من أشعة الشمس المشرقة على الجميع بغزارة .

١٦ - ان لم يبتعد فكرنا هذا نفسه عن الله ، يرفع الغضب الموجود داخلنا فقط ضدّ الشيطان ويستخدم رجولة النفس ضدّ الاهواء الرديئة ، ضدّ رؤساء الظلام وضدّ الارواح الشريرة . لكن ان لم يتمسّك بوصايا الرب الالهية التي تجنّده فانه يتشاجر مع أقربائه ، يغيظ أبناء جنسه ، يثور على كل واحد لا يجاري مشتهياته المخالفة للصواب ويُصبح ، واحسرتاه ، انساناً قاتلاً للانسان ، مشابهاً ليس فقط للبهائم غير العاقلة بل للزحافات والحيوانات السامة . يُصبح عقرباً ، حيّةً ، ابن الافاعي ، هذا الذي كان قد خُلق لكي يكون برتبة أبناء الله . أرأيتَ كيف انه بدّد ميراثه وأضاعه ؟ .

● « فلما أنفق كل شيء حدث جوع شديد في تلك الكورة فابتدأ يحتاج . فمضى والتصق بواحد من أهل تلك الكورة فأرسله الى حقوله ليرعى خنازير . وكان يشتهي ان يملأ بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله . فلم يعطه أحد » **(لوقا ١٥ : ١٤-١٦)** .

بما أن الابن الاصغر بدّد كل ماله ابتدأ يحتاج ووقع في الجوع . لكنه لم يفكر بعد بالعودة لأنه كان ضالاً . لذا « مضى والتصق بواحد من أهل تلك الكورة . . .»

١٧ - من هم سكان ورؤساء البلد البعيد عن الله ؟ بالطبع انهم الشياطين الذين قال عنهم ابن الآب السماوي انهم قوّاد الفحشاء ، رؤساء العشارين ، السارقون والمتمرّدون . إذ إن راعي الخنازير في حياته يتعرّض لكل الأهواء نظراً للنتانة الفائقة ، فالخنازير يتمرّغون بكل أنواع الشهوات البربرية . عندما أصبح هذا راعي خنازير أي كأوّل فيما بينها في الملذّات لم يستطع الشبع من الخرنوب الذي تأكله أي انه لم يعد يستطع الشبع من ملذاته .

١٨ - لكن كيف لا تكفي طبيعة الجسد أن تخدم حمية الفاسق ؟ ان الذهب والفضة ان توفرا لمحبّ الذهب والفضة تزيد الرغبة إليهما . وكلما استُخدما كلما ازداد الطلب عليهما . لكن العالم بأسره لا يكفي الجشِع ومحب السلطة . فأولئك هم كثرة والعالم واحد ، فكيف يمكن لواحدهم أن يشبع شهواته ؟ هكذا فإن المتمرّد على الله لا يمكنه ان يشبع لعدم استطاعة أحد أن يروي ظمأه . يقول « لم يعطه أحدٌ » ، فمن يستطيع أن يرويه ؟ الله غاب عنه وهو الذي رؤيته وحده تشبع الناظر اليه بدون تعب ، وفقاً لما قال النبي في مزموره « وأشبع عندما يتجلّى لي مجدك » **(مزمور ١٦ : ١٥)** . لا يريد الشيطان إشباعه من الشهوات الدنيئة ، وهذا امر طبيعي ، إذ إن التخمة من الأشياء المتبدّلة تسبب له تحوّلاً عن التعلّق بها . وخيرٌ له ألا يجعله أحد يتخم بها .

● « فرجع الى نفسه وقال : كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز وانا أهلك جوعاً . أقوم واذهب الى أبي واقول له : يا أبي أخطأتُ الى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً . اجعلني كأحد أجرائك » **(لوقا ١٥ : ١٧ـ ١٩)** .

١٩ – لكن ما ان عاد الابن الضال الى رشده ونظر الى الحالة التي وصل اليها بكى نفسه قائلاً : « كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز وأنا اهلك جوعاً ! » **من هم الأجراء** ؟ انهم الذين بتعب التوبة والتواضع ينالون أجرة الخلاص . **أبناء الله** هم الذين حباً به يتبعون وصاياه طبقاً لما قال الرب «إن أحبّني أحد يحفظ كلامي » **(يو ١٤ : ٢٣)** .

٢٠ – هكذا اذاً ، بعد ان ابتعد الابن الاصغر عن البنوّة وتغرّب عن الوطن الشريف ووقع في الجوع ، تيقّظ للشقاء الذي وصل إليه فتواضع وتاب قائلاً : « أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له : يا أبي أخطأت الى السماء وقدامك » . حسناً قلنا في البداية إن هذا الأب هو الله ، إذ كيف يمكن ان يخطئ الى السماء الابن الذي قام على أبيه إن لم يكن هذا الأب سماوياً . يقول إذاً أخطأت « إلى السماء » أي إلى القديسين في السماء الساكنين فيها ، « وإليك » أنت القاطن مع قديسيك فيها . « ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً . اجعلني كأحد أجرائك » . حسناً يقول بتعقل نتيجة اتضاعه الآني « اجعلني » إذ لا ينال أحد من نفسه درجات الفضيلة ان لم يكن قد نالها بنيّته أيضاً .

● « فقام وجاء إلى أبيه . وإذ كان لم يزل بعيداً رآه ابوه فتحنّن وركض ووقع على عنقه وقبّله . فقال له الابن : يا أبي أخطأت الى السماء وأمامك ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً » **(لوقا ١٥ : ٢٠–٢١)** .

جاء الى أبيه وفي نفس الوقت ما زال بعيداً . لذا تحنن ابوه عليه وركض لملاقاته . الانسان الذي يتوب في نفسه عن نيّة صالحة للابتعاد عن الخطيئة يصل الى الله . لكن بسبب العادات الرديئة والافكار المظلمة يبتعد كثيراً عن الله ويلزمه تحنّن وعون كبيران من العلى لكي يخلص .

● « فقال الأب لعبيده : أخرجوا الحلّة الأولى وألبسوه واجعلوا خاتماً في يده وحذاءً في رجليه ، وقدّموا العجل المسمّن واذبحوه فنأكل ونفرح ، لأن ابني هذا

كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوُجد. فابتدأوا يفرحون » (**لوقا ١٥: ٢٢–٢٤**).

لذا تنازل أبو الرأفات ولاقاه، عانقه وقبّله، طلب من عبيده، أي من الكهنة، أن يُلبسوه الحلّة الأولى، أي **البنوّة**، التي كان قد سبق ولبسها أوّلاً بالمعمودية المقدّسة، وأن يضعوا خاتماً في إصبعه أي في الجزء العملي للنفس المعلن باليد، أن يختموها بالفضيلة كعربون للميراث الآتي. كذلك الحذاء في رجليه يعني الحماية والتأمين الإلهيين الذين سيقوّيانه لكي يطأ الأفعى والعقرب وكل قوّة العدوّ. بعد ذلك أمر أن يأتوا بالعجل المسمّن ويذبحوه وان يجعلوا منه مأدبة. فالعجل هو نفسه الرب الذي أتى من خفايا ألوهيته ومن عرشه الذي هو فوق الجميع، ولما ظهر كإنسان على الأرض ذُبح كالعجل لأجل خطايانا وهو مسمّن أي كالخبز المعطى لنا طعاماً.

٢٢ – ان الله بهذه المناسبة يجعل الفرح والوليمة عامّين مع قدّيسيه مجدّداً بمحبّته الفائقة للبشر عاداتنا وقائلاً « تعالوا نأكل ونفرح ».

● « وكان ابنه الأكبر في الحقل. فلما جاء وقرب من البيت سمع صوت آلات طرب ورقصاً. فدعا واحداً من الغلمان وسأله: ما عسى ان يكون هذا. فقال له: أخوك جاء فذبح أبوك العجل المسمَّن لأنه لقيه سالماً. فغضب ولم يرد أن يدخل. فخرج ابوه يطلب اليه » (**لوقا ١٥: ٢٥–٢٨**).

لكن الابن الأكبر غضب انه يذكّر باليهود الذين اغتاظوا من الدعوة وبالكتبة والعشارين الذين تعثّروا من قبول الرب للخطأة ومن تناوله الطعام معهم. إن أردتَ أن تفهم هذا التصرف حتى من قبل الصدّيقين، وما الغرابة أن البارّ (الابن الاكبر) لا يستوعب غنى محبّة الله الفائقة على كل ادراك؟

● « فقال له: يا بني أنت معي في كل حين وكل ما لي فهو لك. ولكن كان ينبغي ان نفرح ونسرّ لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوُجد » (**لوقا ١٥: ٣١–٣٢**).

لذلك يعزّيه أبو الجميع بأقوال مناسبة - «أنت دائماً معي» - جاعلاً إياه يشترك في الفرح المستديم. «لكن كان ينبغي ان تفرح وتسرّ لأنّ أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد». لقد كان ميتاً من جراء الخطيئة **وعاش بالتوبة**، **كان ضالاً اذ لم يكن مع الله**. وبما أنه وُجد امتلأت السماء فرحاً كما سبق وكُتب «يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب» (لوقا ١٥: ٧).

● «فأجاب وقال لأبيه: أنا أخدمك سنين هذا عددها، وقط لم أتجاوز وصيّتك وجدياً لم تعطني قط لأفرح مع أصدقائي. لكن لما جاء ابنك هذا الذي أكل معيشتك مع الزواني ذبحت له العجل المسمّن» **(لوقا ١٥: ٢٩-٣٠)**.

لماذا حزن الابن الأكبر؟ «لأني أنا أخدمك . . .» هكذا قال، وهكذا نِعمُ الله علينا هي فائقة لدرجة ان الملائكة تشتهي ان تطّلع عليها من جرّاء محبّته للبشر كما يقول بطرس الرسول الهامة في رسالته (١ بطرس ١: ١٢). لكن الصدّيقين اشتهوا ان يأتي المسيح قبل ساعة مجيئه وأيضاً ابراهيم اشتهى ان يرى يومه. لكنه بالطبع لم يأتِ في ذاك الوقت. ولما جاء لم يأتِ ليدعو صدّيقين بل خطأة الى التوبة، لاسيّما وأنه صُلب من أجلهم وهو الرافع خطيئة العالم لأنه «حيث كثرت الخطيئة ازدادت النعمة جداً» **(رومية ٥: ٢٠)**.

٢٤ - كونه لا يعطي ولا جدياً واحداً إلى الصدّيقين عندما يطلبون ذلك أي لم يضحّ ولا بخاطئ واحد، يتّضح لنا هذا من أمور كثيرة خصوصاً من رؤيا الشريف والمغبوط كاربس[٤]. هذا القديس لم يسمع له عندما لعن رجالاً اشراراً عديدين وعندما قال لهم إنه ليس من العدل ان يحيا رجال ملحدون مشوّهين طريق الرب المستقيم لا بل عندما جرب السخط الإلهي سمع أقوالاً رهيبةً أهلته لمعرفة التسامح الإلهي غير الموصوف والفائق العقل. وحُثّ ليس فقط على عدم

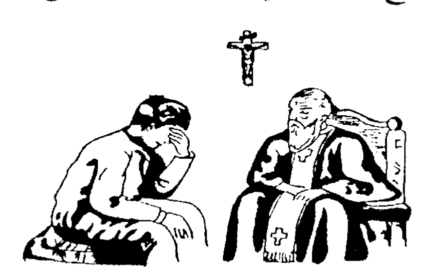
(٤) استشهد الاسقف كاربس في القرن الثاني في ١٣ تشرين الاول مع بابيلا وأغاثونيكس.

اللعن بل على ان يُصلّي من أجل الذين يعيشون حياة فاسقة لأن الله يمنح هؤلاء مهلة للتوبة . ان إله التائبين والآب الرؤوف يبرهن ذلك ويظهر انه يقدّم هبات كبيرة وغزيرة للتائبين ، ولهذا أعطى هذا المثل بهذه الطريقة .

● **خلاصة :**

إذاً لنشرع يا إخوة بالتوبة بالأعمال ولننزع عنّا الشرّ ورعايته . لنبقَ بعيدين عن الخنازير والخرنوب الذي يأكلونه أي عن الشهوات الممقوتة والملتصقين بها . لنقف بعيدين عن مرعى الشرّ أي عن العادات الرديئة . لنهرب من بلد الشهوات اي من الإلحاد والجشع والإفراط حيث جوع رهيب للصالحات وحيث تكون الشهوات أسوأ من الجوع . لنركض نحو أبي عدم الفساد ، نحو معطي الحياة ، سالكين طريق الحياة بالفضائل . هناك سوف نراه آتياً لملاقاتنا من جرّاء محبّته للبشر فيمنحنا مغفرة الخطايا علامة لعدم الفساد وعربوناً للميراث الآتي .

طالما كان الابن الضال ، حسب تعلّمنا من المخلّص ، في بلد الأهواء ، فحتى لو تفكّر بالتوبة وقال أقوالها إلا انه لم ينل أي أمرٍ حسنٍ الى ان ترك كل أعمال الخطيئة وأسرع ماضياً نحو أبيه حيث حصل على ما لم يكن يتوقّع . بقي بتواضع وبكل تأكيد الى جانبه متعقّلاً عاملاً بالحق وحافظاً تماماً نعمة الله المتجدّدة . عسانا جميعاً نحصل على هذه النعمة ونحافظ عليها بكمالها فنلتقي في الحياة الدهرية بالابن الضال المخلّص ونفرح معه في أورشليم العلوية أمّ الأحياء وكنيسة الآباء الأولين مع المسيح ربّنا الذي يليق له المجد الى الأبد آمين .



الصوم

ميمر للقديس باسيليوس الكبير
(يُقرأ نهار الجمعة السابق لمرفع الجبن)

■ **المقدّمة :**

« انفخوا في رأس الشهر بالبوق وفي يوم احتفال عيدكم الكبير » (مز ٨٠: ٤) . هذا أمر نبوي . أما بالنسبة لنا ، فان مقاطع إشعيا التالية تنبئ بعيد الأيام المقبلة بصوت يفوق كل بوق من حيث قوته وكل آلة موسيقية من حيث خاصّيتها - هذه الأقوال تدع جانباً الصوم اليهودي وتُظهر لنا الصوم الحقيقي على طريقته القويمة : « عندما تصومون أنظروا ألا تكونوا في خصومة أو مشاجرة مع الناس الآخرين ، بل اجعلوا حدًّا لكل ظلم طارئ » **(إش ٥٨: ٤-٦)** . أما الربّ يسوع فيقول : « متى صمتم فلا تكونوا عابسين . .. أما أنت فاغسل وجهك وادهن رأسك » **(متى ٦: ١٦-١٧)** . لأنه لا يكلل أحد ولا يحوز على راية الظفر ان كان وجهه عابساً أو قاتماً .

لا تكونوا عابسين وأنتم تستعيدون صحتكم . فإنه لا بدّ لنا أن نتهلّل لصحة نفسنا ، ولا مجال للحزن بسبب تبدّل الطعام وكأننا نؤثر ملذّات البطن على منفعة نفسنا ، لأن الشبع يقف إحسانه عند حدود البطن ، أما الربح الناتج عن الصوم فهو يَنفذ إلى النفس . كن فرحاً لأنك أعطيت من قبل طبيبك دواء ينزع الخطايا . لا تبدّل وجهك كما يفعل المراؤون . إن الوجه يتبدل عندما يظلم الداخل مع التظاهر الخارجي ، وكأنه مخفي وراء ستار كاذب .

المرائي هو الذي يكون له على المسرح وجه آخر. يرتدي قناع السيد وهو في الحقيقة عبد. يلبس قناع الملك وهو في الحقيقة من عامة الناس. هكذا أيضاً في الحياة الحاضرة، كثيرون يتظاهرون وكأنهم على المسرح. يكونون على شيء في عمق القلب ويتظاهرون بوجه آخر أمام الناس. أما أنت فلا تبدّل وجهك.. كما أنت هكذا أظهر للآخرين. لا تبدّل مظهرك عابساً ساعياً وراء الشهرة عن طريق التظاهر بالصوم والإمساك، لأنه لا نفع للإحسان الذي يطبَّل له، ولا ثمر للصوم الذي يشهَّر أمام الناس، أي كل ما يقوم به الانسان بغية التظاهر أمام الآخرين لا ينفذ إلى الدهر الآتي ولا يتخطى حدّه مدح الناس.

أسرع بفرح إلى هبات الصوم. إنه هبة قديمة العهد لا تعتق ولا تشيخ، بل تتجدّد وتزهر على الدوام.

■ **تاريخ الصوم:**

ربما تظن أنني سأعيد قدم الصوم الى مرحلة الناموس الموسوي. الصوم هو أقدم من ناموس موسى. ومع قليل من الصبر ستقتنع من كلامي هذا. لا يخطر ببالك الظن بأن بداية الصوم تعود إلى يوم الكفّارة الذي حُدّد لإسرائيل في العاشر من الشهر السابع (لاويون ٢٣: ٢٧). هلمّ تقدم اكثر في التاريخ وأبحث عن قدمه. فإن نظام الصوم لم يُبتكر في الأزمنة الحديثة. ان هذه الجوهرة هي من ميراث آبائنا. كل شيء يتميز بقدمه جدير بالاحترام والاجلال. فاحترم اذاً رأسه الشاحب. الصوم هو من عمر الانسانية نفسها. لقد شُرّع له في الفردوس. ان آدم هو الذي تقبل الوصية الأول للصوم «من ثمر شجرة معرفة الخير والشرّ لا تأكل» (**تكوين ٢: ١٧**). العبارة «**لا تأكل**» ما هي الا شريعة صوم وإمساك.

لو أن حواء لم تأكل من ثمر العود لما كنا بحاجة إلى الصوم الحاضر. «لأن الأصحّاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى» (متى ٩: ١٢). لقد ترتّب علينا كثير من الشرور بسبب خطايانا، فلنعالجها اذاً عن طريق التوبة. لكن **التوبة**

بدون صوم لا تأتي بثمر. «ان الأرض ملعونة بسببك وسوف تنبت شوكاً وحسكاً» (تك ٣:١٧-١٨). لقد تسلّمت وصية التعرّف ضمن حدود ولم تعطَ أن تستسلم للذّات الجسد. حسابك لله يكون عن طريق الصوم. إن العيش في الفردوس يعكس صورة الصوم، لا لأن الانسان كان يتشبه بالملائكة عن طريق القناعة، بل أيضاً لأنه لم يكن ليعرف في الفردوس كل ما ابتكره الناس بعد ذلك من شرب خمر وذبائح حيوانية وكل ما يعكر صفو ذهن الإنسان.

لقد طُردنا من الفردوس لأننا لم نصم. فلنصم اذاً حتى نعود إليه. ألم ترَ كيف أن الفقير لعازر دخل الفردوس عن طريق الصوم (لوقا ١٦)؟ لا تتشبّه بمعصية حواء وتتبع مشورة الحية. لا تتحجّج بالمرض الجسدي. إن هذا التعلّل لا يتوجه إليَّ بل إلى ذلك الذي يعرف حقائق الأمور بالضبط. تقول لي لا أستطيع أن أصوم، لكنك تقدر على اشباع البطن طيلة عمرك وعلى إجهاد جسدك بثقل المآكل التي تتناولها. انني أعلم من جهتي أن الأطباء يصفون **الصوم دواء للمرضى**، لا كثرة المآكل. كيف تقدر من جهة على إشباع البطن تدّعي من جهة أخرى انك لا تقدر على الصوم؟ ما هو الأسهل بالنسبة للبطن؟ أن تمضي الليل هادئاً، مع قليل من الطعام، أم ان تستلقي على الفراش مثقلاً بكثرة المآكل؟ أو قل بالأحرى ان تتقلب متنهداً ومواجهاً خطر القيء من كثرة الأطعمة؟ أو أنك تريد أن تقنعني أنه أسهل على البحارّة أن ينقذوا من الغرق مركباً مثقلاً بالحمولة من أن ينتشلوا مركباً قليل الحمولة وخفيفاً. هذا لأن المركب الثقيل ما إن ترفعه الأمواج قليلاً حتى يشرف على الغرق، بينما يسهل على المركب الخفيف أن يتجاوز العاصفة لأنه لا يصعب عليه ان يرتفع فوق الأمواج.

وان الأجساد التي تثقل بالأطمة بصورة متواصلة معرّضة أكثر للأمراض إلا أننا عندما نتناول طعاماً خفيفاً متوازناً، نتجنَّب شرَّ المرض كما يتجنّب المركب الخفيف العاصفة وينجو... الَّا اذا اعتبرت، حسب رأيك، أن الاستراحة أضمن من الركض والهدوء أشدّ من العراك. فاذا صحّ قولك هذا يكون أفضل

للمرضى أن ينتفخوا بالمآكل بدل أن يكتفوا بالطعام الخفيف . طعام بسيط يسدّ حاجة كل حيّ للغذاء أفضل من مأكل كثير يثقله ، لأنه مع كثرة الأطعمة تتعكر عملية التغذية بدخول أمراض متنوعة .

ولكن لنتقدم في تاريخ الصوم ونتقصَّ قدم تشريعه . كيف تقبّله القديسون جميعاً كميراث آبائي ومارسوه بدقّة مسلِّمين إياه من أب إلى ابنه إلى ان وصل الينا بالتسلسل . **لم يُعرف الخمر في الفردوس (كما ذكرنا) ولا الذبائح الحيوانية ولا أكل اللحوم** . لقد عرف الخمر واللحم بعد الطوفان لأنه اوصي عند ذلك « بأكل كل حي يدبّ كبقول العشب » **(تك ٩ : ٣)** . عندما يئس البشر من بلوغ الكمال الروحي حينئذ سمحوا لأنفسهم بالتمتع بكل شيء . والبرهان على أن البشر لم يعرفوا الخمر هو نوح الذي كان يجهل استعمال الخمر : لم يرَ أحداً يستخدمه ولم يذقه هو شخصياً ، لذلك حدث له ما حدث من أذى من جراء عدم احتياطه . « ابتدأ نوح بحرث الأرض وغرس كرماً وشرب من الخمر وسكر » (تك ٩ : ٢٠ - ٢١) ، لا لأنه كان سكيراً بل لعدم خبرته في شرب الخمر باعتدال . ان شرب الخمر بعيد عن مرحلة الفردوس بقدر ما يبتعد الصوم الشريف في قدم زمنه .

ونعلم أيضاً أن **موسى** لم يجرؤ على الإقتراب من جبل سيناء والصعود إليه إلّا بعد صوم طويل . لم تكن له الجرأة على الصعود إلى الجبل المدخن ولا الشجاعة على الدخول في وسط الغمام الذي غطاه (خر ٢٤ : ١٨) لو لم يتسلّح أوّلاً بالصوم . عن طريق الصوم تسلم الوصايا العشر التي دُفعت اليه على لوحين من حجر مكتوبين بإصبع الله (خر ٣١ : ١٨) . هناك على الجبل أصبح الصوم تقليداً لشرعة الله (خر ٣٤ : ٢٨) ، بينما في أسفل الجبل دفعت الشراهة الشعب إلى عبادة الأوثان ، لانه جلس يأكل ويشرب ثم قاموا كلهم يلعبون . البقاء على الجبل أربعين يوماً وابتهال عبد الله المؤمن ، كل ذلك لم يجد نفعاً مقابل يوم واحد من **السكر** والعربدة . وبعبارة أخرى ، إن لوحي الوصايا التي أتت عن

طريق الصوم مكتوبة بإصبع الله حطمهما **السكر** ، لأن النبي موسى قد حكم أن الشعب المستسلم للسكر لم يكن يستحق استلام الوصايا الإلهية (خر ٣٢ : ١٩) . بالنسبة للشعب الذي عرف الله الحقيقي والصانع له العجائب ، لحظة واحدة كانت كافية ليعود ويغرق في وثنية المصريين . فاجعلوا إذاً أمامكم الأمرين وقارنوا بينهما : انظروا كيف أن الصوم من جهة **يقرّب الانسان إلى الله** ، بينما التمتع من جهة أخرى يقضي على خلاص نفسه .

لكن لنتابع طريقنا ونتقدم في التاريخ . من الذي أضعف موقف عيسو وجعله عبداً لأخيه ؟ أليس هو طعام تناوله وباع من أجله بكريته لأخيه (تك ٢٥ : ٣١- ٣٤) ؟ في المقابل ، ألم يُهدَ صموئيل لأمه عن طريق الصلاة والصوم (١ملوك ١ : ٧- ١١) ؟ ما الذي جعل شمشون الكبير لا يُقهر ، أليس هو الصوم الذي ساهم أيضاً في الحبل به ؟ لأن الملاك أوصى به لأمه قائلاً لها : « والآن فاحتفظي ولا تشربي خمراً ولا مسكراً ولا تأكلي شيئاً نجساً لأنك ستحملين وتلدين ابناً يكون ناسكاً لله من بطن أمه إلى يوم وفاته » (قضاة ١٣ : ٧) .

الصوم يولّد أنبياء ، يجعل المشرّعين حكماء . هو كنز صالح للنفس ، وسكناه فيها ضمانة . هو سلاح المجاهدين ورياضة المتبارين . هو الذي يبعد التجارب ويحثّ على التقوى . يواكبه انتباه روحي متواصل . **الصوم يولّد العفة** . في الحروب يصنع الرجال ، وفي السلم **يعلّم الهدوء** . يقدّس المكرّس لله ، يجعل الكاهن يتقدم أكثر في طريق الكمال ، لأنه لا يمكن للكاهن بدون صوم ان يخدم العبادة الالهية الحاضرة والسريّة فحسب بل حتى العبادة الناموسية التي لموسى أيضاً .

الصوم هو الذي أهّل **إيليّا** لتلك الرؤية العظيمة ، لأنه بعد أن طهّر نفسه بالصوم مدّة أربعين يوماً أهلّ لرؤية الرب في مغارة حوريب بقدر ما يستطاع للناس أن يروا الله (**٣ ملوك ١٩ : ٨- ١٥**) . وقد أقام أبنَ الأرملة بعد صوم (**٣ ملوك ١٧ : ٢٠- ٢٣**) متغلباً هكذا على قوة الموت . من فمه ، وبعد صوم

طويل، خرج الصوت الذي حبس السماء معاقباً الشعب بسبب معصيته، وكان ذلك لمدة ثلاث سنين وستة أشهر (١٧ : ١)، لأنه اذ أراد أن يطرّي قلوب الشعب القاسية فضّل أن يحكم على نفسه معهم بالشقاء. لذلك قال «حيّ الرب ... إنه لا يكون ندى ولا مطر إلّا عند قولي». وفرض الصوم عن طريق الجوع الذي حلّ مع الجفاف من أجل تقويم الشعب الذي كان استسلم للملذات الجسدية واستفحل الضلال في عيشه.

وأيضاً كيف كانت حياة أليشع؟ بأية طريقة استضافته المرأة الشونمية؟ فكيف أطعم الأنبياء الذين استضافهم؟ ألم تقتصر ضيافته على بعض البقول البرية وقليل من الطحين؟ لأنه عندما وضعت البقول خطأ في القدر تعرّض الآكلون للموت من جراء الأعشاب المسممة. فجاءت بركة النبي الصوّام وأبطلت فعل السمّ (٢ ملوك ٤:٣٨- ٤٤).

بكلمة واحدة، لدى فحص الأمور، تجد أن الصوم كان مرشداً لجميع القديسين في سلوكهم وفقاً لوصايا الله.

هناك جسم طبيعي هو الأميانط (amiante) لا يحترق في النار ويبدو فيها وكأنه يصير فحماً، لكن عندما يُنتشل منها ويغسل بالماء يزداد لمعاناً. وهكذا استبان مع أجسام **الفتية الثلاثة** لأنها كانت نقية. لقد وُجدوا في لهيب الأتون وكأن أجسامهم من ذهب لا من لحم وعظام، وظهروا عند خروجهم أبهى مما كانوا عليه (**دانيال ٣**). طبعاً برهنوا على أنهم أسمى من الذهب لأن النار لم تشوه مظهرهم بل حفظتهم بلا عيب. فمن كان يستطيع أن يحتمل مثل هذا اللهيب الذي كان يوقد بالنفط والزفت والزرجون حتى ارتفع فوق الأتون تسعاً وأربعين ذراعاً وانتشر وأحرق الذين صادفهم حول الأتون من الكلدانيين؟ دخل الفتية الثلاثة في هذا الحريق بعد أن صاموا قبلاً فاستنشقوا اللهيب وكأنه نسيم عليل مندّى. لم تجسر النار على الإقتراب من شعر رأسهم لأنهم كانوا قد تغذوا بالصوم.

أما دانيال رجل الرغائب الذي طيلة ثلاثة أسابيع لم يأكل خبزاً ولا شرب خمراً، فقد علّم الأسود أيضاً أن تصوم عندما ألقي في الجب. وكأن جسمه مصنوع من حجر أو من نحاس أو من مادة جامدة أخرى لم تقوَ عليها الأسود بأسنانها. كما أن السقي يجعل الفولاذ أشد وأمتن، هكذا بطريقة مشابهة تقوّى جسم دانيال من جراء الصوم. جعله لا يُقهر أمام الأسود التي لم تجرؤ أمامه حتى على فتح أفواهها (دانيال ٦).

■ فضائل الصوم.

الصوم أخمد أجيج النار، الصوم سدّ أفواه الأسود (عب ١١: ٣٣). الصوم يرفع الصلاة إلى السماء وكأنه يعطيها أجنحة تخوّلها الطيران إلى فوق. الصوم يعمّر البيوت، يُعنى بالصحة كأم. هو مربٍّ للشباب ومزيّن للمتقدمين في السن. مرافق حسن للمسافرين وضمانة لكل من يساكنه. لا يشك الرجل بامرأته عندما يراها تصوم، كما لا تغار المرأة من رجلها عندما تراه يصوم بانتظام.

من الذي قضى على ثروته من جراء الصوم؟ ... لا ينقص شيء منها عن طريقه. هو يريح الطباخين قليلاً من العمل. تقتصر المائدة على الطعام القليل. لقد أعطي السبت لليهود «لكي يستريح فيه ثورك وحمارك وكذلك عبدك» (خر ٢٣: ١٢). ليكن الصوم فرصة استراحة سنوية للخدام من اتعابهم المتواصلة. يستريح الطباخ قليلاً من عمله. يأخذ مدبّر الموائد مأذونية. لا يعود يسكب خمراً في كأسك، وتتوقف صناعة الحلويات المختلفة. ليسترح بيتك أيضاً من أتعابه المتنوعة، من الدخان، من رائحة الشوي، من كل من يسرع هنا وهناك من أجل خدمة البطن وكأنه السيد الذي لا يكفيه شيء. كان من عادة جامعي الضرائب أن يريحوا الملزمين قليلاً في وقت من الأوقات من دفع الضريبة. فليعط بطنك استراحةً ما للفم، ويلجأ محبة منا الى السكينة. هو الذي لا ينفك يطالب بالمآكل وإن أعطي اليوم نسي غداً ما كان قد تناوله

البارحة . عندما يمتلئ يتكلم عن فلسفة الإمساك ، وعندما يفرغ ينسى ما كان قد علّمه في وقت شبعه .

الصوم لا يعرف ما هو الدَّيْن . .. ابن الصوّام اليتيم لا تخنقه ديون والده ملتفة حول عنقه كالحيات . ومن جهة ثانية الصوم مناسبة للابتهاج . كما أن العطش يجعل الشرب مستحباً ، كذلك الصوم المسبق يجعل المائدة مستحبة والطعام أشهى ، لأنك إن اردت ان تجعل مائدتك لذيذة وشهية اعتمد الصوم الذي يخلق مثل هذا التبدّل . أما أنت ، الذي تتسلّط عليك شهوة التمتع بالأطعمة ، ، فإنك تفقد بهذه الطريقة ملذاتها وتقضي على المتعة واللذة من جراء شهوتك وهوى محبة اللذة . لا شيء يُشتهى ويتمتع به المرء بصورة متواصلة ولا يزدري به في النهاية . كل شيء نادر مستحق التمتع به . هكذا شاء الخالق عن طريق التبدل في العيش أن يديم التمتع بما وهبنا من نعم . ألا ترى الشمس مستحبة أكثر بعد انتهاء الليل ؟ والاستيقاظ بعد النوم ، والصحة بعد المرض ، والمائدة أيضاً بعد الصوم ، أكان ذلك للأغنياء الذين تفيض عندهم المآكل أم للفقراء القانعين بالطعام القليل ؟

إذهب في مثال ذلك الغني لأن التمتع بالمآكل طيلة حياته سلّمه إلى نار جهنم (لوقا ١٦) . لقد أدين لا لظلمه بل لأنه كان يعيش في التنعم الدائم . لذلك أخذ يحترق في نار الأتون . والصوم يفيدنا ، ليس فقط من أجل الحياة الأبدية ، بل يفيد أيضاً، جسدنا البشري . ان **الرفاهية** الزائدة تجرّ سقطات لاحقة ، لأن الجسم يتعب ولا يعود يستطيع أن يحمل ثقل الأغذية الكثيرة . احذر ألا تزدري اليوم بالماء حتى لا تشتهي فيما بعد على مثال الغني نقطة واحدة منه . لم يسكر أحد من الناس من شرب الماء ولا أصابه صداع بسببه ، ولا تعبت رجلاه أو يداه منه أيضاً .

إن عسر الهضم الذي يرافق عادة كثرة الطعام والشراب هو الذي يولّد أمراض الجسد الصعبة . وجه الصائم محتشم ، لونه لا يحمّر بصورة فاقعة ، بل

يتزين بلون شاحب يعكس عفة صاحبه. عيناه هادئتان وكذلك مشيته. هو رصين الطلعة لا يستجلب الضحك. أقواله متّزنة وقلبه نقي. تذكّر القديسين القدماء الذين «طافوا هنا وهناك في جلود غنم معوزين مكروبين مذَليّن» (عب ١١:٣٧). تمثّل بحياتهم إن اردت ان تشترك في نصيبهم.

■ في العهد الجديد

من الذي أراح لعازر في أحضان إبراهيم (لوقا ١٦)؟ أليس هو الصوم؟ حياة القديس يوحنا السابق كانت صوماً مستمراً. لم يكن له لا سرير ولا مائدة طعام، لا أرض مفلوحة ولا حيوان يعلفه، لا قمح، لا رداء ولا شيء مما تحتاج إليه الحياة الحاضرة. لذلك لم يوجد فيما بين الناس أعظم من يوحنا المعمدان. وأيضاً الصوم هو الذي رفع بولس الرسول إلى السماء الثالثة (٢ كو ١٢:٢-٤). يأتي على ذكره في تعداد أحزانه والافتخار بها (٢ كو ٦:٥و ١١:٢٧). وعلى رأس ما أتيت على ذكره حتى الآن يأتي مثال ربنا يسوع المسيح نفسه، الذي عن طريق الصوم، حافظ على الجسد الذي اتخذه من أجل خلاصنا. بالصوم ردّ عنه هجمات الشيطان معلّماً إيانا بهذه الطريقة أن نهيّء أنفسنا وندرّبها من أجل مواجهة التجارب.

لقد أخلى الربّ ذاته وتنازل مقدّماً هكذا فرصة لقاء مع الشيطان ومحاربته. فإنه لم يكن بمقدور العدو أن يقترب عن طريق أخرى من السيد بما أنه إله، لو لم يتنازل إلى مصاف البشر «مخلياً ذاته آخذاً صورة عبد». وقد تناول طعاماً حتى بعد القيامة لكي يثبت بهذه الطريقة ان جسده القائم له طبيعة مادية.

أما أنت الذي تحشو بطنك بالمآكل، ألا تلاحظ رخاوتك من جراء ذلك، الا تتفوه بكلمة عندما ترى ذهنك يجف بسبب فقدان الأقوال المحيية الخلاصية المغذية إيانا؟ أم تجهل أن من يتخذ حليفاً ينجح في التغلب على العدو؟ هكذا فإن الذي يضيف على جسده شحماً يقاوم الروح. كما أن الذي يجعل للروح

حليفاً مساعداً يسيطر على جسده . ذلك لأن الروح مناهض للجسد حتى انك إن أردت أن تقوي ذهنك لجأت إلى الصوم من أجل إخضاع جسدك . هذا ما يتفق مع كلام بولس الرسول الذي يقول : « إن كان انساننا الخارجي يفنى فالداخلي يتجدد يوماً فيوماً » (٢ كور ٤ : ١٦) ، أو « حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي » (٢ كور ١٢ : ١٠) .

■ **وفي العهد القديم :**

ألا تزدري بالمآكل التي بكثرتها تفسد ؟ ألا ترغب في مائدة الملكوت التي يهيئها الصوم دائماً في الحياة الحاضرة ؟ من الذي ، عن طريق كثرة الطعام واستمرار التمتع الجسدي ، نال مرةً موهبةً روحيَّة ؟ لقد لجأ موسى إلى الصوم مرة ثانية من أجل تقبّل الوصايا ثانية (خر ٣٤ : ٢٨) . لو لم يصم أهل نينوى حتى مع بهائمهم لما نجوا من وعيد الخراب (يونان ٣ : ٤ – ١٠) . من هم الذين تناثرت أعضاء أجسادهم وعظامهم في الصحراء ؟ أليسوا هؤلاء الذين اشتهوا أكل اللحم ؟ عندما قنعوا بالمن والماء الفائض من الصخرة انتصروا على المصريين وعبروا البحر على اليبس ، ولم يكن فيما بينهم ذو علّة . لكن ما ان اشتهوا اللحوم المطبوخة حتى عادوا إلى مصر ولم يروا أرض الميعاد .

ألا تخشى من التشبه بهم ؟ ألا ترعبك شهواتك التي ربما تحرمك من الخيرات السماوية ؟ النبي دانيال أيضاً لم يكن ليشاهد مثل هذه الرؤى لو لم ينقِّ نفسه مسبقاً عن طريق الصوم (دانيال ١ : ٨ – ٢٠) . ان كثرة الطعام تجرّ نوعاً من خيالات تشبه غيوماً سوداء تقطع استنارات الذهن بالروح القدس . ان كان للملائكة طعام فما هو إلّا الخبز كما يقول النبي : « أكل الانسان خبز الملائكة » (مز ٧٧ : ٢٥) . لا اللحم ، لا الخمر ولا أي شيء آخر يشتهيه ذوو محبة البطن .

الصوم سلاح أمام جنود الشياطين . « لأن هذا الجنس لا يخرج إلّا بالصوم

والصلاة » (**متى ١٧ : ٢١**) . حسناته لا تعدّ . اما نتيجة الشراهة فهي الهلاك ، لأن التمتع بالمآكل والسكر وما اليها تجرّ مباشرة كل نوع من انواع الخلاعة التي تليق فقط بالبهائم . فالسكر يولد في النفس حب التمتع باللذات الجسدية والزنى . .. بينما الصوم ، يساعد حتى الزوجين على نوع من الاتزان الجنسي ويحدّ من المبالغة في التمتع الجسدي ، مما يساعد كثيراً على الاستمرار في حياة الصلاة .

■ فضائله على صعيد أوسع :

لكن حسنات الصوم لا تقتصر على الابتعاد عن الأطعمة الشهية ، لأن الصوم الحقيقي هو في الابتعاد عن كل شر . الحد من كل عمل ظالم ، الابتعاد عن كل ما يحزن الآخر بل اعانته في كل ما يحتاج اليه (إشعيا ٥٨ : ٦) . **لا تصوموا وانتم في نزاع مع الآخرين** . أنت لا تأكل لحماً بل ترغب في مأكل لحم أخيك . تمتنع عن شرب الخمر ، لكنك لا تقطع لسانك عن التجديف . تنتظر هبوط الليل لكي تفطر بينما تمضي النهار كلّه في المحاكم . الويل للسكارى من غير شرب الخمر . **الغضب ما هو إلا سكر للنفس** لأنه يُخرج الانسان عن صوابه كما يفعل فيه الخمر . الحزن أيضاً نوع من السكر لأنه يُظلم الفكر . والخوف أيضاً نوع آخر عندما لا يبرّر مصدره . لذلك يقول المزمور : « نجِّ نفسي من خوف العدو » (مز ٦٣ : ٢) . وبصورة عامة **الأهواء النفسية** المختلفة التي تسبب اضطراباً للذهن يمكن اعتبارها نوعاً من السكر .

أنظر جيداً إلى الغاضب كيف يصبح من شدة غضبه كالسكران ، لا يعود يسيطر على نفسه ، لا يلاحظ حاله ويتجاهل وجود الآخرين . كما في حرب ليلية يضرب عشوائياً . يتفوه بكلام غير لائق ، يشتم ، يضرب ، يهدد ، يحلف ، يصرخ وكأنه على وشك الانفجار . تجنب مثل هذا النوع من السكر كما ولا تسكر أيضاً بالخمر . لا تفضل شرب الخمر على الماء ، حتى لا يسوقك السكر نفسه إلى الصوم . لا يمكن للسكر أن يكون مقدمة للصوم المبارك كما أن الطمع

لا يقود إلى العدالة . كذلك لا تستطيع عن طريق الخلاعة أن تصل إلى العفة وبصورة عامة عن طريق الرذيلة أن تصل إلى الفضيلة . الصوم له مدخل آخر . السكر يقود إلى الخلاعة ، أما القناعة فهي تقود إلى الصوم .

كما ان المتباري يتدرب ويتروض مسبقاً ، كذلك الصائم يجب أن يتعفف من قبل . لا تخزّن خمراً في معدتك خلال أيام الفسحة الخمسة وكأنك تريد ان تعادل أيام الصوم وتضحك على صاحب الوصية . إن تعبك سيذهب باطلاً مجهداً جسدك دون ان تعوض له في أيام الإمساك . تخزن في جرة مثقوبة ، يتسرّب منها الخمر ويجري في طريقه ، أما الخطيئة فتبقى وحدها في مكانها .

العبد يهرب من سيده عندما يضربه . وانت تنوي البقاء مع الخمر وهو يضربك كل يوم على رأسك ؟ ان افضل مقياس لشرب الخمر هو حاجة الجسد . ان تخطيت هذا الحد يأتي وجع الرأس ، تتثاءب ، تستنشق رائحة الخمر المخلّل ، كل شيء حولك يدور ويضطرب . **السكر** يقود الى النوم الذي يشبه الموت أو الى الصحو الذي يشبه الحلم .

أتعلم يا ترى من هو مزمع أن يأتي وتتقبله ؟ هو الذي وعدنا بقوله « نأتي أنا وأبي وعنده نصنع منزلاً » (يوحنا ١٤ : ٢٣) . لماذا اذاً تسرع عن طريق السكر وتوصد الباب أمام الرب ؟ لماذا تفتح مجالاً للعدو حتى يقوّض تحصيناتك ؟ ان السكر لا يتقبل الرب . هو يطرد الروح القدس . كما أن الدخان يطرد النمل كذلك تهرب المواهب الروحية من السكر .

■ **الخلاصة :**

الصوم حشمة المدينة ، سكينة الأسواق ، سلام العائلات وضمانة لموجوداتنا . أتريد أن تتعرف إلى وقاره ؟ قارن بين الليلة الحاضرة والنهار المقبل ، تجد كيف أن المدينة تتبدل وتتنقل من السكينة الكلية إلى الضجة والاضطراب .

أرجو أن يتشبه نهار غد باليوم الحاضر من حيث السكينة والوقار دون أن

يفقد شيئاً من بهجته . عسى أن يعطينا الرب الذي أهلنا للوصول إلى مثل هذا اليوم ما يهب عادة للمجاهدين الأشداء فإنه بمواظبتنا على الجهاد والصبر سوف يؤهلنا أن ندرك ذلك اليوم الذي يوزع فيه الأكاليل ، أن نصل ههنا الى أيام ذكر آلام الرب وفي الدهر الآتي إلى مجازاتنا حسناً على أعمالنا حسب حكم المسيح العادل الذي يليق له المجد الى الأبد .

آمين

أحد مرفع اللحم

أحد الدينونة

(متى ٢٥: ٣١-٤٦)

عظة للقديس غريغوريوس بالاماس

● **رحمة الله وعدالته**

١ - الأحد الماضي جاءت الكنيسة على ذكر محبة الله للبشر الفائقة الوصف الواردة في مثل الابن الشاطر. أمّا اليوم فهي تعلّمنا عن دينونة الله الآتية الرهيبة، مستخدمة هكذا ترتيباً حسناً، ومتّبعة الأصوات النبوية القائلة: «رحمةً وحكماً[1] أسبّحك يا ربّ» (مز ١٠٠: ١١)، وأيضاً: «الله تكلّم مرّة وانا سمعتُ هاتين الاثنتين. إن العزّة[1] هي لله وان لكَ هي الرحمة يا رب لانك سوف تجازي كلَ واحد حسب أعماله» **(مز ٦١: ١١)**.

٢ - الرحمة وطول الاناة إذاً يسبقان الدينونة الإلهية. في الواقع يمتلك الله الفضائلَ كلّها. هو **رحيم وعادل** في آن معاً. وبما أن الرحمة لا تتفق مع الدينونة وفقاً لما كُتِب: «مراعاة الوجوه في القضاء ليست في شيء من الصلاح» (أمثال ٢٤: ٢٣)، لذلك رتّب الله كلَ شيء في وقته، فحدّد الزمن

(١) بمعنى القضاء أو العدالة أو الحق.

الحاضر من أجل طول الأناة ، والزمنَ المقبل من أجل المحاسبة . وأيضاً رتّبت النعمة الآلهية في الكنيسة الأمور بشكل نفهم فيه أنه علينا أن نسعى وراء مغفرة خطايانا طالما نحن عائشون ههنا لكي نحظى بالرحمة ونستحق العطف الإلهي . فان الدينونة الأخيرة ليس فيها رحمة للذي لم يُظهر رحمة .

٣ - لقد تكلّمنا سابقاً عن رحمة الله . اليوم نتكلّم عن مجيء المسيح الثاني أو الحضور الثاني . وكذلك عن الدينونة الرهيبة وعمّا سيحصل حينئذ : « ما لم تره عينٌ ولم تسمع به أذنٌ ولم يخطر على بال إنسان » (١ كور ٢ : ٩) هذا ان لم يشترك في الروح الإلهي . كل ذلك يتخطّى المشاعر الانسانية لا بل العقل والمنطق . فإن الذي يعلّمنا كل ذلك عالم بكل شيء ومزمع أن يدين الأرض ، لكنه يتنازل الى مستوى السامعين مقدّماً لهم أقوالاً موافقة . لذلك يتكلم عن البرق والسحاب ، عن البوق والعرش وأمور مشابهة ، مع العلم انه « بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة وأرضاً جديدة » (٢ بطرس ٣ : ١٣) طالما ان الحاضرات تتغير (وجه هذا العالم على زوال) .

● **المجيء الثاني :**

٤ - ان كانت هذه الأقوال فقط ، التي تفوّه بها مع تنازله ، قد ملأت نفوس السامعين الحكماء خوفاً ورعدةً ، تُرى من يستطيع أن يحتمل الأمور عندما ستحصل كلّها في النهاية ؟ كم علينا إذاً أن نكون جدّيين في الدراسة والتقوى عندما نترجّى حضور يوم الرب الذي يقول عنه بطرس : « منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب الذي فيه تنحلّ السموات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب » (**٢ بطرس ٣ : ١٢**) « بينما تحترق الارض والمصنوعات التي فيها » (٢ بطرس ٣ : ١٠) .

وقبل كل ذلك سيتحقق مجيء المسيح الدجال الثقيل وعمله ضدّ الإيمان ، فإنه لو لم تقصّر الأيام لما خلص إنسان حسب قول الرب في الأناجيل (متى

٢٢:٢٤ ومرقس ١٣: ٢٠) . لذلك يعلن لتلاميذه : « **اسهروا اذاً وتضرّعوا في كل حين** لكي تُحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع ان يكون وتقفوا قدام ابن الانسان » **(لوقا ٢١: ٣٦)** .

٥ – طبعاً كل ذلك مليء بالرهبة الفائقة ، لكن أولئك الذين يصرفون حياتهم في **الخلاعة والظلم والكسل** سوف يواجهون أشنع من ذلك كما يقول الرب : « وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض » (متى ٢٤: ٣٠) . هذه القبائل لم ترضخ للآتي من السماء ، لم تعترف بالآب السماوي ولم تطلبه ولم تدعو الناس الى طاعته . ويقول أيضاً : « لأنه **كالفخ** يأتي على جميع الجالسين على وجه الأرض » **(لوقا ٢١:٣٥** وإشعيا ٢٤: ١٧) ، أي على أولئك الملتصقين بالأرض وبالأرضيات عن طريق السكر والتنعّم والهموم الدنيويّة وكذلك **عن طريق الغنى والمجد واللذة** [٢]. وهنا باستخدامه كلمة « وجه » يشير الى المتعة الظاهرية ، وبكلمة « الجالسين » يشير الى التعلّق والالتصاق . عن طريق هذه الأقوال يربط بين الجاحدين والخطأة الباقين بدون توبة حتى النهاية كما سبق وأنبأ إشعيا « ويصير الجاحدون كالخطأة وعملهم كالشرارة ، يحترقان كلاهما وليس من يُطفئ » **(إشعيا ١: ٣١)** . « أمّا سيرتنا نحن فهي في السماوات التي منها أيضا ننتظر مخلّصاً » (في ٣: ٢٠) كما يقول بولس الرسول . « لأنكم لستم من العالم » (يو ١٥: ١٩) كما كان يقول الرب لتلاميذه ، وأيضاً : « ومتى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأن نجاتكم تقترب » (لوقا ٢١: ٢٨) .

٦ – أرأيتم كيف يمتلئ العائشون بحسب المسيح فرحاً ودالةً امام الأحداث مباشرةً بعد وقوعها ، في حين أن العائشين بحسب الجسد يمتلئون خزياً ووجعاً وحزناً ! كما يصرخ بولس قائلاً :

« **الله سيجازي كلَ واحد حسب أعماله** : أما الذين بالصبر في العمل

---

(٢) هي الشهوات الثلاث الرئيسية عند الإنسان: **المال والسلطة واللذة.**

الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية ، وأما الذين هم من أهل التحزّب ولا يطاوعون للحق بل يطاوعون للاثم فسخط وغضب ، شدّة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر » **(رومية ٢:٦–٩)** .

● تاريخ التدبير الإلهي :

في الواقع عندما ازدادت الخطيئة ايام نوح وسادت الجنس البشري بأكمله تقريباً ، جاء الطوفان من الله وقضى على كل نسمة حياة بينما حُفظ البار وحده مع عائلته من أجل ولادة عالم جديد . ثم بعدها قضى الله على الشر المتزايد بصورة جزئية عندما أحرق بالنار الصادوميين وغرّق في البحر الفرعونيين وجرّب العبرانيين بالجوع ، بالأمراض والعقابات .

٧ – **لكن الطبيب** الواحد الذي استخدم الأدوية والعلاجات القاسية هو نفسه الذي أعطى المواهب السارة المفيدة . أوجد آباء ، أظهر أنبياء ، أبدع آيات ، أعطى الناموس الموسوي ، أرسل ملائكة . ولكن بما ان كل هذا لم يكن كافياً أمام إفراط شرّنا ، نزل الكلمة نفسه إلى الأرض وأحنى السماوات الى أسفل . هذا هو السبيل الشفائي العظيم الذي وضع حدًّا للخطايا الثقيلة .

وبعد أن أصبح كل شيء من أجلنا ما عدا الخطيئة ، ألغى الخطيئة في نفسه ، وبعدها قوّانا نحن أيضاً عن طريق كسر شوكة الخطيئة ، أدّب على الصليب رئيس الظلام وأعوانه قاضياً بالموت على من كان له سلطان الموت (عب ٢ : ١٤) .

٨ – وكما قضى بالطوفان على الخطأة الذين كانوا في عهد نوح ، هكذا بعدها قضى على الخطيئة عن طريق العدل ونعمته . وأقام نفسه بلا فساد بمثابة زرع وبداية عالم أبدي ، بمثابة مثال نموذجي للقيامة التي نرجوها . وبعد القيامة صعد الى السموات ، وأرسل رسلاً الى المسكونة كلّها ، ووضع سرباً من الشهداء وكذلك معلّمين وابراراً . لقد فعل كلَ شيء دون ان ينسى أياً من الضرورات .

فرأى من جديد الشرّ ، بسبب حريّة ارادتنا ، يتفاقم الى الغاية ، الى حدّ ان الناس سوف يسجدون للمسيح الدجّال تاركين الإله الحقيقي ومسيحه الحقيقي . لذلك سوف ينزل من جديد من السموات بقدرة ومجد كبيرين ، لا ليطيل أناته بل ليعاقبَ اولئك الذين عن طريق أفعالهم الشريرة يدّخرون لأنفسهم الغضب في زمننا هذا ، زمن طول الأناة . حينئذ سوف يفصل من لا شفاء لهم عن الاصحاء ويلقيهم في النار ، بينما يقي خاصته من الناس الاشرار ومعاشرتهم ويجعلهم وارثين لملكوت السموات .

٩ - مباشرة بعد ظهور المسيح الدجال الوقح ، سيزعزع الربُ كلَّ شيء وهو الذي كان جمع كل شيء حسب قول النبي : مرّة أخرى « انا سأزلزل لا الارض فقط بل السماء أيضاً » (حجّاي ٢ : ٢١) . للحال اذاً يزعزع العالم ويحلّ حدود الكون الفوقية . يلفّ السماء كالدرج ويمزج الأرض بالنار ، فيخلط كل شيء مزعزعاً أساسات الكون بأسره من تحت ومرسلاً كثرة النجوم من فوق كبروق لا توصف على رؤوس الذين ألّهوا الشرّير ، بحيث يعاقَب أوّلاً عن طريقهم كلُ من آمنوا بالمسيح الدجّال لانهم التصقوا ذهنياً بمعاند الله واتخذوه إلهاً . وبعدها يظهر الرب نفسه بمجد لا يوصف ، ببوق قويّ . وكما نفخ في القديم في الجدّ الأوّل ، كذلك سوف يُحيي الكلّ ، ويمثل الموتى كلّهم أحياءَ أمامه . أمّا الأشرار فيرسلهم الى الدينونة دون ان يستحقوا كلاماً ، لأنهم ، كما هو مكتوب سيقومون لدينونة .

- **المقطع الإنجيلي :**

١٠ - « ومتى جاء ابن الانسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه » **(متى ٢٥ : ٣١) :**

عند حضوره الأوّل كان مجد ألوهيته مخفياً وراء بشرتنا التي اتخذها من أجلنا . الآن يتخفّى في السماء عند الآب بجسده الإلهي . أمّا عند حضوره

الثاني فسوف يتراءى بكل مجده ، لأنه سيظهر برّاقاً من المشارق حتى المغارب منيراً الأقطار بشعاعات الألوهة ، بينما يدوّي البوق العالمي والمحيي ويدعو في الوقت نفسه الكلَّ اليه . في السابق كانت الملائكة ترافقه بصورة غير منظورة ضابطة غيرتها أمام محاربي الله ، لكن في اليوم الأخير سوف يظهر ابن الإنسان جلياً ولن يصمت بل يوبّخ الجاحدين ويسلّمهم الى العقابات .

١١ - « ومتى جاء ابن الانسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه ، فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيميّز بعضهم من بعض كما يميّز الراعي الخراف من الجداء » **(متى ٢٥:٣١-٣٢)** :

إن الأمر نفسه سبق فرآه دانيال النبي :

● **وصف المجيء الثاني :**

« فجلس القديم الأيام ، وكان لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار وعجلاته ناراً مضطرمة ، ومن أمامه يجري ويخرج نهر من نار ، وتخدمه ألوف ألوف ، وتقف بين يديه ربواتُ ربواتٍ . فجلس أهل القضاء وفُتحت الأسفار . ورأيت في رؤى الليل ، فاذا بمثل ابن البشر آتياً على سحاب السماء ، فبلغ الى القديم الايام وقُرّب الى أمامه ، وأُوتيَ سلطاناً ومجداً وملكاً ، فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه ، وسلطانه سلطانٌ أبدي لا يزول ، وملكه لا ينقرض » **(دانيال ٧:٩-١٤)** .

يأتي المقطع الإنجيلي عند متى منسجماً مع هذه الرؤية النبويّة وفي هذا المقطع يدعو الرب الأبرارَ **خرافاً** لأنهم **ودعاء** ومطواعون ، سلكوا طريق الفضائل القويمة التي سلكها الرب نفسه ، كانوا أمينين له ، هو الذي دُعي **حملاً** amnos من قِبل السابق المعمدان الذي قال : « هوذا حمل الله الرافع خطيئة العالم » (يو ١ : ٢٩) . ويدعو الخطأة جداء لأنهم وقحون وغير مطواعين ، مائلين دوماً الى منعطفات الخطيئة . ويضيف :

• الحكم : وراثة الملكوت

« فيقيم الخرافَ عن يمينه والجداء عن اليسار . ثم يقول الملك للذين عن يمينه : تعالوا يا مباركي أبي ، **رثوا الملكوت المُعَدَّ لكم منذ تأسيس العالم** » (**متى ٢٥:٣٣-٣٤**) :

« يقيم الخراف عن يمينه » لأنهم عملوا الصالحات ، « والجداء عن اليسار » لأنهم لم يفعلوا مثل هذه الأعمال الحسنة .

هنا لم يحدّد من هو هذا الملك لأنه لا يوجد ملك سواه . طبعاً هناك أسياد وملوك كثيرون ، إلّا أنّ السيّد الحقيقي واحدٌ والملك الحقيقي واحدٌ وهو ربّ الكون بأسره .

١٢ - في الواقع كانت مشيئة الآب السماوية القديمة تتطلّع دوماً **الى هذا الهدف** بالذات . حسب هذا التدبير الإلهي منذ إنشاء العالم ، صنع « رسول الرأي العظيم » (إشعيا ٩ : ٦) ، أي ملاك مشيئة الآب العظيمة ، صنع الانسانَ حياً لا على صورة الله فحسب بل وعلى مثاله أيضاً لكي يتمكن وقتاً ما من **أن يَسَع عَظَمَة الملكوت الإلهي** ، غبطة الميراث الإلهي ، كمالَ بركة الآب السامية التي من أجلها صارت المنظورات وغير المنظورات . فإنه لم يقل « العالم المنظور » بل قال « العالم » بصورة غير محدّدة ، أي السماوي والأرضي معاً .

ليس هذا فقط بل أيضاً إفراغ الله ذاته بشكل فائق الوصف Kénose، السيرة الإلهية الانسانية ، الآلام الخلاصية ، الأسرار كلّها ، كل ذلك رُتّب من **أجل هذا الهدف** بعناية الله المسبقة والجزيلة الحكمة ، حتى ان الذي يظهر أميناً في الزمن الحاضر سوف يسمع من المخلّص الصوتَ القائل : « نعمّاً أيها العبد الصالح والأمين ، **كنتَ أميناً في القليل فأقيمك على الكثير** . أدخل الى فرح سيّدك » (**متى ٢٥ : ٢١**) . تعالوا اذاً يا من استخدمتم حسناً حسب وصيتي هذا العالم الارضي الفاسد والعابر ، رثوا العالم السماوي غير الفاسد والدائم .

- **عمل المحبة :**

« لأني جعت فأطعمتموني ، عطشت فسقيتموني ، كنت غريباً فآويتموني ، عرياناً فكسوتموني ، مريضاً فزرتموني ، محبوساً فأتيتم اليّ » (**متى ٢٥:٣٥-٣٦**) :

١٣ - هنا يجب أن نبحث لماذا ذكر **الرحمةَ** فقط أو عمل الاحسان وأعطاها وحدها البركة مع الميراث والملكوت ؟ الجواب هو انه لم يذكر الفضيلة هذه وحدها ، وهذا ما يتّضح لكل الذين يدركون تماماً كلامه .

لقد دعا « قبلاً العاملين بالرحمة **خرافاً** . عن طريق هذه الصفة أكّد على التشبّه به ، وفي الوقت نفسه أكّد على **كلّ فضيلة** كانت عندهم ، أي عند أولئك المستعدّين دائماً للموت من أجل الخير . كما كان هو « الخروف الذي سيق الى الذبح وكحمل بريء أمام الذي يجزّه هكذا لا يفتح فاه » (أعمال ٨: ٣٢، وإشعيا ٥٣: ٧).

١٤ - على هذه الصورة يمدح عمل الرحمة أو محبة البشر على الأخص ، لأنه ينبغي أن تكون هذه الفضيلة نموذجاً وثمراً للمحبة ، وهي الرأس الذي يفترض الفضائل الأخرى كلّها عند الذي هو مزمع ان يرث ذلك الملكوت الأبدي .

هذا ما أظهره الرب في مثل العذارى العشر (متى ٢٥: ١١) لأنه لا يُدخل الى الخدر الإلهي العذارى كلّهن بل المتحلّيات بالعفة التي تُكتسب بالنسك والإمساك والجهادات المتنوّعة المبذولة من أجل الفضيلة . بالإضافة الى ذلك كلّه يتكلّم عن المصابيح التي تمسكها العذارى في الأيدي المشيرة الى ذهنهنّ ، وما في هذا الذهن من معرفة ساهرة موطّدة في عمل النفس ، مبنية بواسطة الأيدي ، مقدَّمة لله عن طريق العيش الفاضل ، ومرتبطة بإشراقات الرب وأنواره .

ولكن كل ذلك يحتاج إلى زيت غزير يمكن للمصابيح أن تبقى شاعلة .

الزيت هو المحبة التي هي قمة الفضائل . أي كما أنك عندما تصنع أساسات وتبني عليها جدراناً ولا تضيف سقفاً تجعل كل ما بنيت بلا فائدة ، كذلك إن اكتسبت الفضائل كلّها دون الحصول على المحبة جعلتَ مسعاك كلّه باطلاً لا فائدة منه . إلا أن سقف البيت بدون العناصر الأخرى التي تسنده لا يستطيع وحده أن يقوم .

١٥ – يقدّم الرب ميراثه للذين **ختموا** الفضائل الأخرى **بأعمال المحبة** ، وارتفعوا الى قمة الفضائل هذه عن طريق العيش بلا عيب ، والتجأوا الى المحبّة **عن طريق التوبة** métanoia .

أوّلاً هناك الأبناء الذين هم ذخيرة الولادة الجديدة السريّة من الله ، وثانياً الأجراء الذين اكتسبوا هذه النعمة كأجرةٍ لهم عن طريق أتعاب **التوبة والتواضع** .

١٦ – لذلك بعد أن شرح في الإنجيل بطرق متنوّعة عن الدينونة ، يتكلم على المحبة التي تختم الفضائل المذكورة سابقاً وتفترض وجودها كلها .

● **تواضع الأبرار**

« فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يا ربّ ، متى رأيناك جائعاً فأطعمناك أو عطشاناً فسقيناك ، ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عرياناً فكسوناك ، ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا اليك ؟ » **(متى ٢٥ :٣٧– ٣٩)** .

يُدعى القائمون عن اليمين أبراراً لأن رحمتهم تأتي عن طريق البرّ والعدالة . وانظروا أيضاً الى فضيلة أخرى هي **التواضع الذي يشهدون له من فيض المحبّة** . فيدّعون أنهم متعجّبون من كلام السيّد وكأنهم غير مستحقين لمثل هذا الإعلان وهذه المدائح أو كأنهم لم يفعلوا شيئاً صالحاً ، وهم الذين اجتهدوا في عمرهم كلّه في عمل الصالحات .

١٧ – لذلك ، على ما أعتقد ، يجيبهم الرب بجرأة لكي يُظهر فضيلتهم ويرفعهم من التواضع فيجدون النعمة عن استحقاق ، تلك التي يمنحها السيّد بغزارة للمتواضعين « لأن الرب يحطّ المتكبرين أمّا المتواضعون فيجدون نعمةً » (يعقوب ٤ : ٦، أمثال ٣ : ٣٤) .

● **الفقراء والأغنياء**

« فيجيب الملك ويقول لهم الحق أقول لكم ، بما انكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتم » **(متى ٢٥ : ٤٠)** .

هنا يدعو الإخوة الآخرين « صغاراً » لفقرهم وعدميتهم ، « وإخوة » لعيشهم مثله بالجسد على الأرض .

١٨ – أسمعتم ! افرحوا يا أيها الفقراء والمعوزون لأنه بسبب ذلك أنتم إخوة الله . حتى ولو كنتم فقراء ومُعدمين بغير إرادتكم ، إلّا انه يمكنكم بإرادتكم اكتساب الصلاح عن طريق الصبر والشكر .

أسمعتم انتم أيها الأغنياء . اشتهوا الإفتقار المبارك لكي تصيروا وارثين حقيقيين وإخوة للمسيح أكثر من أولئك الذين افتقروا من غير إرادتهم ، لأن ذاك قد افتقر من أجلنا بإرادته .

اسمعوا وتنهّدوا أنتم الذين تزدرون بإخوتكم أو بالأحرى بإخوة الله ، عندما يتألمون ، ولا تعطون المعوزين ما يتوفّر عندكم بسعة من طعامٍ وكساء واهتمام موافق ، ولا تقدّمون ما يفيض عنكم لمن ينقصهم .

لنسمع كلّنا ونتنهد طالما انا الذي أتكلّم يوبّخني ضميري لأنني غير متحرّر من هذا الهوى ، إذ فيما يعاني الكثيرون من البرد ، والحرمان ، أنا عائش في الدفء وكمال اللباس . وممّن يستحقون الرثاء اكثر من غيرهم أولئك الذين يذخّرون كنوزاً تفوق حاجتهم اليومية ، ويهتمون بزيادتها . يُطلب منهم ان يحبّوا

القريب كأنفسهم، وهم لا يعتبرونه حتّى كالتراب. فما هو الذهب أو المال الذي نحبّه اكثر من القريب؟

١٩ - لنعد ونَتُب ونخدم حاجات إخوتنا الفقراء الذين بيننا بما نملك من إمكانات. وان كنا لا نستطيع ان نفرّغ كل مالنا، فلا نُبقينّ على الأقل كل شيء لأنفسنا بدون رحمة. لنعمل شيئاً جزئياً، ولأتمام ما تبقّى علينا من عمل فلنتواضع أمام الله لكي نحصل منه على الغفران، فإن محبته للبشر سوف تعوّض عن تقصيرنا حتى لا نسمع ذلك الصوت المريع، فهو «يقول أيضاً للذين عن اليسار: إذهبوا عني يا ملاعين الى النار الأبدية المعدّة لإبليس وملائكته» **(متى ٢٥: ٤١)**.

يا له من أمر رهيب! ابتعدوا عن الحياة، عن النعيم، عن النور.

٢٠ - ولا يقول هذا فقط بل يتابع: «النار الأبدية المعدّة لابليس وملائكته». كما ان الذين عن اليمين سوف تكون لهم الحياة وما يفيض عنها الحياة كونهم مع الله وما يفيض عنها كونهم أبناء ملكوت الله وورثته هكذا الذين عن اليسار يخسرون الحياة الحقيقية كونهم بعيدون عن الله ويخسرون أكثر من الحياة اذ يلتصقون مع الشياطين ويسلّمون الى النار المهلكة.

٢١ - تُرى ما هو نوع تلك النار التي تُحرق الأجساد والكائنات، وأمّا الأرواح غير المتجسّمة فتجعلها في شقاء أبدي، كما وتذيب حتى النار المخلوقة الخاصة بنا بحسب ما هو مكتوب: «وتذوب العناصر المضطربة» (٢ بطرس ٣: ١٢)؟ إضافةً إلى ذلك كم من الوجع يأتي من عدم الرجاء بالخلاص؟ فهناك نهر من نار يجرفهم بعيداً عن الله، ولذلك لم يقل: «سيروا»، بل قال: «اذهبوا عني يا ملاعين» لأنكم قد جلبتم اللعنات من الفقراء، وبقدر ما كان هؤلاء يتحمّلون بقدر ما أنتم تستحقون اللعنة. ويضيف «اذهبوا الى النار المُعَدَّة» ليس لكم بل لإبليس وملائكته. فإن تلك لم تكن إرادتي. لم أخلقكم لذلك،

ولم أهيِّء النار لكم. لقد أشعلت النار من أجل الشياطين الثابتين في ميلهم الى الشرّ والذين وافقتموهم أنتم برأيكم غير التائب. صارت معايشتكم للملائكة الأشرار بإرادتكم.

«لأني جعت فلم تطعموني، عطشت فلم تسقوني، كنت غريباً فلم تأووني، مريضاً ومحبوساً فلم تزوروني» (**متى ٢٥: ٤٢–٤٣**).

كما أن المحبة وأعمالها هي اكتمال الفضائل، كذلك **الكراهية** وأعمالها، أي الطريق غير اللائق والرأي غير المشارك، كلّها اكتمال الخطيئة. وكما ان الفضائل تواكب المحبة للبشر، كذلك الرذائل تواكب الكراهية للبشر. إذاً بسبب هذه الأخيرة سوف يُدان الاشرار.

٢٢ – كنت أودّ أون أقول أن ليس هناك شيء يبرهن عن كراهية اكثر من تفضيل الانسان الفضة على أخوته البشر. لكنني أرى أن الشرّ قد وجد مثالاً أعظم للكراهية: أعني وجود إناس لا يكتفون فقط بعدم الإحسان ممّا يدّخرونه بوفرة بل ويفتشون عن اغتصاب ما هو للغير. فليتصوّر اذاً، من خلال عقاب الذين لم يُرحموا، ماذا سيصيبهم وأية دينونة قاسية سوف يلاقونها. فليضعوا حدّاً لظلمهم وينصاعوا للأمر الألهي عن طريق أعمال التوبة والرحمة.

٢٣ – «حينئذ يجيبونه هم أيضاً قائلين: يا ربّ، متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً أو غريباً أو عرياناً أو مريضاً أو محبوساً ولم نخدمك» (**متى ٢٥: ٤٤**).

أرأيتم هذا الشر الأخير، أعني **التكبّر** المرتبط بالتعاطي غير العطوف، كما كان التواضع مرتبطاً بالمسلك العطوف؟ يُمدح الأبرار من أجل محبتهم للبشر، فيتواضعون أكثر ولا يبرّرون أنفسهم. أمّا المتكبّرون فعندما يُدانون على عدم رأفتهم لا يتواضعون بل يتذمّرون ويبرّرون أنفسهم، لذلك سوف يسمعون الكلمات التالية:

« الحق أقول لكم : بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الإصاغر فبي لم تفعلوا . فيمضي هؤلاء الى عذاب أبديّ ، والأبرار الى حياة أبدية » **(متى ٢٥:٤٥-٤٦)** .

٢٤ - لنرحم اذاً أنفسنا برحمة الإخوة . لنكتسب العطف بتعطّفنا على الآخرين لنحسن لكي يُحسَن الينا . المجازاة واحدة عند الإحسان ، عند المحبة ، عند الرحمة والعطف . ولكن هذه المجازاة لن تكون بالقدر والإستحقاق نفسه ، لأنك أنت تعطي بقدر ما يستطيع الإنسان العطاء بينما تأخذ من الكنوز الإلهية التي لا تفرغ مئة ضعف والحياة الأبدية « ممّا لم تره عينٌ ، ولا سمعت به أذنٌ ، ولم يخطر على بال إنسان » (١ كور ٢:٩) .

المجيء الثاني

ميمر للقديس افرام السرياني

يُقرأ في أحد الدينونة

«وبينما كنتُ أرى... فجلس القديم الايام...تخدمه – الوف ألوف... فجلس أهل القضاء وفُتحت الكتب» (دانيال ٧: ٩–١٠)

■ عند المجيئ الثاني للمسيح، يظهر الصليبُ الكريم اوّلاً لأنه علامة المسيح الملك العظيم، علامةٌ مكرّمة ومحيية، وقورةٌ ومقدّسة، حسب كلام السيّد الذي قال: «حينئذ تظهر علامةُ ابن الانسان في السماء» (متى ٢٤: ٣٠).

ينبغي اذاً أن يظهر الصليبُ أوّلاً في السماء مع مصفّ الملائكة كلّه عند مجيئ السيّد المسيح، وان ينير الأرضَ كلّها من اقاصيها الى أقاصيها. يلمع أقوى من ضوء الشمس. هذا ما ينبغي أن يحصل في المستقبل، وهو يفوق على كل قول وعلى كل فكر وعلى كل معنى، ويدهش كل سمع. كيف يمكنني أيها الاخوة الاحباء في المسيح أن أروي لكم كلَ ذلك؟

تذكرتُ تلك الساعة وارتعدتُ، وأردتُ أن أتوقّف عن الكلام من خوفي الكثير، لكن كيف يتذكّر الواحد ما سوف يتراءى ما وراء الصليب المحيي وينوي روايته؟ من يتجاسر على وصفه؟ أي فمٍ يمكن ان يتفوه بذلك؟ أي لسان يتكلم به او أي صوت يمكنه أن يعلنه؟ اي سمع يمكن ان يتقبّله؟ لأنه، عندما تتزعزع قوّات السماوات، من الذي لا يتزعزع؟ من الذي لا يخاف ويرتعد ولا يختبئ

في تلك الساعة عندما ينهض ملك الملوك من مجده وينزل لكي يزور المسكونة كلّها ويتكلّم مع عبيده ويجازي المستحقين ويعاقب غيرَ المستحقين لانه عادلٌ ؟

هذه كلّها عندما أتذكرها يعتريني الخوف ، تنشلّ أعضائي كلّها ، تدمّع عيوني من الخوف ، ينطفئ صوتي ، تتجلّد يداي ، يلتصق لساني بحلقي ، ويتوقّف تفكيري . لكن رغبتي في إفادتكم تضطرّني على الكلام . هذه الرغبة تتملّكني وتدفعني الى الصمت لأن الخوف كبير جداً ، فإن مثل هذه الأشياء الكبيرة والمخيفة لم تحْصل منذ إنشاء العالم ولن تحصل في الأجيال كلّها .

● **صوتُ البوق :**

كما يحصل الان في كثير من الأحيان ، عندما يصير برق مفاجئ أو رعدة قويّة ، يخاف الناس كلّهم ، وللحال يتّجه الوجه الى الأرض . إن كانت مثل هذه الاشياء الصغيرة تخيفنا ، فكم بالأحرى صوت البوق الرهيب[1] **(اتسا ٤ : ١٦)** الذي سوف يدويّ في السماء اكثر من كل رعد ، ويقيم الأموات كلّهم منذ الدهر ، الصالحين وغير الصالحين . حينئذ سوف تسمع عظام البشر في وسط الجحيم صوتَ البوق ، فتتحرّك كلّها بسرعة ، ويقف كل واحد في الحالة التي كان فيها عندما وُجد في الحياة .

اذاً عندما نرى الناس كلّهم فجأة واقفين ، ومن كل أقاصي الأرض يركضون نحو المحكمة ، من يستطيع ان يهرب من الرعدة الرهيبة والخوف . فإنه ما إن يأمر الملك العظيم الذي يسود على الإنسانية كلّها ، حتى تُخرج الأرضُ والجحيم أيضاً أمواتهما ، وكذلك كل من ابتلعته الوحوش أو الأسماك في البحر أو الطيور الكاسرة . كل ذلك مثل البرق (متى ٢٤:٢٧) يظهر ، وشعرة واحدة من رؤوسهم لن تسقط .

---

(١) أنظر أيضاً متى٢٤:٣١ و **اكور١٥:٥٢** .

• النهر الناري

أيها الاخوة ! من يستطيع ان يحتمل رؤية النهر الناري (**دانيال ٧ : ٩**) كمثل بحر متوحشّ يبتلع الجبال والسهول ويحرق المسكونة كلّها مع جميع أعمالها ؟ حينئذ بفعل تلك النار تتلاشى الأنهار، وتختفي ينابيع المياه، وينشف البحر، وتسقط النجوم من السماء، وتظلم الشمس، والقمر يتحوّل الى دم، وتلتفّ السماء كالدرج.

عندما نرى أيها الاخوة الملائكة المرسَلين يركضون بسرعة ليجمعوا عبيد الله الصالحين من أقاصي الارض الى أقاصيها، عندما نرى سماءً جديدة وأرضاً جديدة، عندما نرى العرشَ الرهيب يتهيّأ، وابن الانسان المسيح يظهر في السماء، والصليب المحيي ينير أقطار الأرض، سوف يرى الكل في العلاء هذا الصولجان الملكي، وحينئذ يدركون انه من ورائه يطلّ ملك الملوك.

في تلك الساعة إن تذكّر الواحد بأية طريقة سوف يواجه القاضي، إن تفكّر بخطاياه، سوف يقف عرياناً مكشوف الرأس منتظراً إصدارَ الحكم.

عندما يشاهد كلُّ إنسان أعماله مكشوفة أمامه، حسنةً كانت أُمْ سيئة، عندئذ يقف السالكون الطريق الضيقة المحزنة، جميع الرحماء ومحبّو الغرباء، يقفون بعزم منتظرين بفرح كبير الرجاء المغبوط، ظهور الاله العظيم مخلّصنا يسوع المسيح الذي سوف يأتي لكي يفرّح المجاهدين في الأسهار، في الصلوات، في الأصوام وأعمال الرحمة. سوف يأتي ليفرّح المحزونين، ليفرّح ويرفع الفقراء من أجل اسمه، الذين لم يحبّوا العالم ومغرياته، وكذلك الذين تركوا كل شيء وأحبّوه وحده (٢تيمو ٤ : ٨) وتبعوه.

سوف يأتي ليس من الأرض بل من السماء **مثل البرق** (**متى ٢٤ : ٢٧**). عندئذ سوف يُسمع صوتٌ كبير يقول : ها هوذا الختن يأتي، هوذا القاضي

يصل ، هوذا الحاكم يظهر ، هوذا إله الكل يجيء ليُدين المسكونة كلّها ويعطي كل واحد حسب أعماله .

عندئذ ايها الإخوة الأحباء سوف ترتعد من ذلك الصوت أحشاء الأرض من أقصى الأرض الى أقصاها مع البحر والأودية .

عندئذ يعتري الناسَ خوف وشدّة من ذلك الصوت ومن لحن البوق اللذين سوف يطنّان في العالم كلّه .

عندئذ تتحوّل قوّات السماوات من أساساتها ، ويركض جنود الملائكة في الأمام ، وتستعدّ أجواق الشاروبيم والسيرافيم الصارخة عالياً : « قدوس قدوس قدوسٌ الكائن ، الذي كان ، وسيأتي ، الضابط الكلّ » **(رؤيا ٤ : ٨)** .

عندئذ تصرخ كل خليقة في السماء وعلى الارض وفي جوف الأرض بصوت قويّ « مبارك الملك الآتي باسم الرب » .

عندئذ تتمزّق السماوات ، ويظهر ملك الملوك وأولئك الذين عذّبوه (رؤيا ١ : ٧) ، وسوف تبكي لذلك قبائل الأمم كافة .

- **رؤية الله**

عندئذ تهرب السماء والأرض كما أنبأ يوحنا : « ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء » **(رؤيا ٢٠ : ١١)**

عندئذ سيجلس على عرش مجده كما سبق وقال ، وستجتمع أمامه أمم الأرض كلّها . أيُّ نفس يمكنها أن تحتمل كل ما سوف يحصل عندما توضع العروش ويُقام القضاء وتُفتح الكتب (رؤيا ٢٠ : ١٢) ؟

عندئذ سوف نرى قوّات الملائكة الكثيرة العدد تقف حول العرش بخوف . سوف تقرأ أعمال كل انسان أمام الله وأمام الناس كلّهم . وتتحقق نبوءة دانيال القائلة :

بينما كنت أنا دانيال أرى ، إذا نُصبت عروشٌ ، فجلس القديم الأيام ، وكان لباسه أبيض كالثلج ، وشعر رأسه كالصوف النقي ، وعرشه لهيبَ نار ، وعجلاته ناراً مضطرمة ، ومن أمامه يجري ويخرج نهرٌ من نار ، وتخدمه ألوف ألوف ، وتقف بين يديه ربواتُ ربواتٍ . فجلس أهل القضاء وفُتحت الكتب » **(دانيال ٧ : ٩ – ١٠)** .

يا اخوةُ ! سوف يعتري الناسَ خوفٌ شديدٌ في تلك الساعة عندما تظهر أعمالهم مكتوبةً . كلُ ما فعلناه في هذه الحياة واعتقدنا أنه قد يخفى عن وجه الله ، الذي يفحص القلوب والكلى أي كلّ شيء ، كلُّه مسجلٌ : الأفعالُ والأفكار ، خطايا كانت أم فضائل .

- **الاعتراف**

كم من دموعٍ نحن بحاجة إليها في تلك الساعة الرهيبة ونحن نتهامل ؟ فإنه فقط عن طريق **الاعتراف والدموع** يستطيع الانسان أن يمحو جرائمه المدوّنة في تلك الكتب . كم علينا ان نتنهدّ ، أن ندمّع بحسرة في تلك الساعة عندما ترى أعيننا **ملكوت السماوات** الذي لا يُعبَّر عنه ؟

عندما نرى بوضوح أمكنة الهلاك الرهيبة[٢] وفي وسطها الناس كلّهم من آدم أوّل الجبلّة حتى المولود الاخير يخرّون ساجدين ، حينئذ يتحقق ما هو مكتوب : « حيّ أنا ، يقول الرب ، لأنه سوف تسجد لي كل ركبة في السماوات وعلى الأرض وما تحت الارض ، كل لسان سوف يعترف بي » .

عندئذ أيها الإخوة الأحباء تقف الإنسانية كلّها بين الملكوت والقضاء ، بين الحياة والموت ، بين الفرح والعوز ، سوف يتطلّعون كلّهم الى أسفل سنقف حول المنبر الرهيب ، نُسأل ونُفحص بدقة كبيرة وخصوصاً من عاش هنا في **الكسل** .

---

(٢) هي حالات وليست أمكنة مادية بالمعنى الحرفي للكلمة.

عندما يرى الناسُ كل ذلك ، ويتذكرون أعمالهم ويقولونها امام الله ، حينئذ سوف يبكي اولئك الذين **لم يتوبوا في حياتهم** قائلين : لماذا لم **نتعب** قليلاً نحن الأشقياء بل أضعنا وقتنا في اللعب ؟ لماذا لم **نسهر ونساعد الفقراء** ، لماذا كرهنا أخانا وتمسّكنا بالجسد ؟ نعم لقد فعلنا كل ذلك ، ولكن لماذا لم نتب طالما كان لنا وقتٌ للتوبة ؟ بل ضحكنا وتسلّينا صرفنا عمرنا بلا معنى ؟ ماذا نفعل الآن وقد جاءت الساعة الرهيبة ؟ سمعنا عنها من قِبل الناس إخوتنا واستهزأنا بكلامهم . ماذا نعمل الآن نحن الاشقياء عندما تُفتح كتبُ أعمالنا ونُحاكم على كل شيئ ؟

وبينما يفتكر عديمو التوبة في ذلك ، يسمعون صوت الرب الرهيب قائلاً : « أروا أعمالكم لكي تأخذوا أجركم » .

في تلك الساعة سوف تتزعزع مراتب البشر كلها : أوّلاً رؤساء الكهنة والكهنة والشمامسة ، ثم تأتي بقية المراتب من الأكبر حتى الأصغر كما قيل : « كل واحد سوف يُرفع الى مرتبته لكي يعطي مجداً لله » .

عندئذ يرتعد خوفاً الحكّام والحكماء والأغنياء لأن الساعة قد أتت لكي يظهر عمل كل واحد أمام الله والناس ، **وسوف يحصد كل واحد ما قد زرع في حياته هذه** .

الويل لنا أيها الإخوة . أريد ان أقولَ ما سوف يحصل بعدها لكن الخوف يمنعني عن ذلك . تنهمر دموعي ويصيبني الدوار لأن روايته رهيبة .

عندئذ يا أحبائي سوف يُفحص **الختم** ، الختم المسيحي ، أي حياة كل مسيحي أخذها من الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة الرسولية عن طريق **المعمودية** . يُفحص كل واحد إن كان قد حفظ الايمانَ طاهراً ، والختم غير مشوّه ، والجسد غير ملطّخ ، والاعتراف الحسن الذي جاهرنا به أمام أناس كثيرين وهو التالي : « أرفض الشيطان وكل اعماله » .

أسمعتم ذلك أيها الأخوة ؟ ليس عملاً واحداً ذاك الذي رفضتموه ، وليس

اثنين أو خمسة بل كل اعمال الشيطان ، هذا العدوّ الكبير . في تلك الساعة اذاً نُفحص إن كنّا حافظنا على هذا الرفض الكامل ، وطوبى للذي حافظ عليه حسب وعده .

لقد رفضتَ بكلمة واحدة كل عملٍ شيطانيّ قبيح ، كل خطيئة ، أي الزنى والدعارة والقتل وعدم الطهارة والكذب والحسد والسرقة والغضب والكراهية والعداوة والخصام والثرثرة والتكبّر والضحك والموسيقى والاغاني المطربة والترف ، وقبل كل شيئ الوثنية والسِحر أي الالتصاق بالأرواح الشريرة والقوات المظلمة اللامادية الاخرى .

لقد رفض المسيحي هذه الشرور كلّها عند المعمودية في الجرن المقدّس . أودّ أن أتابع ، لكن الخوف والألم يعترياني . إلّا أني سأقولها بتنهّد ودموع لأنها رهيبة ولا يستطيع أحد أن يرويها بدون دموع وتنهّد .

● **الدينونة**

عندئذ سوف يجد الواحد نفسه أمام الملائكة والناس ، وتنتفي كل سلطة ، ويسقط أعداء الله على قدميه . حينئذ يقول الرب : « يميّز بعضهم عن بعض كما يميّز الراعي الخراف عن الجداء فيقيم الخرافَ عن يمينه والجداء عن اليسار » **(متى ٢٥ : ٣٢ـ ٣٣)** .

إن الخراف ، أي الذين أثمروا ثماراً جيّدة ، الناس الصالحين الذين عرفوا الراعي الصالح ، وحافظوا على ختمه غير مشوّه ، وتبعوه بعد أن قال : تعالوا ورائي يا من لم تدّنسوا الايمان مع الهراطقة ، تلك الخراف سوف يجعلها عن يمينه . امّا الجداء ، أي الناس غير المثمرين ، الذين لم يرضوا راعيهم بل جلسوا مع الهراطقة ودنّسوا الايمان المقدّس ، الذين ساروا سيرة غير لائقة ، وعاشوا في تنعّم الحياة ، ورقصوا ومارسوا شرور الحياة ، وخرجوا عن القانون الموضوع ، وتغرّبوا

عن كل عمل صالح وامتلأوا بذلك من كل خطيئة فيرى الرب كل ذلك في تلك الساعة ويحوّل نظره عنهم.

عندئذ يقول للجالسين عن يمينه: «تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعدّ لكم. تعالوا يا أبناء النور، تعالوا يا وارثي ملكوتي، تعالوا أنتم الذين جعتم وعطشتم من أجلي ولم تحبّوا العالم وما في العالم، تعالوا يا من تركتم العالم وأهلكم وأصدقاء كم ...، تعالوا يا من سلكتم البراري والجبال والمغاور وثقوب الأرض اسكنوا الان مع الملائكة في السماوات».

وكذلك يقول للذين عن يساره: «اذهبوا عني يا ملاعين والمزدرى بهم، لأنكم لم ترحموا الإخوة بل ازدريتم بهم وبالمسيح. لم ترحموا الفقراء، لذلك لن تُرحموا. لم تريدوا سماع أقوال الإنجيل، وتلاميذي، لذا لن أسمعكم. لقد عشتم في التغرّب وتمتعتم بملذات الحياة بينما انا أصرخ في كل يوم عبر الكتب المقدّسة. سمعتم كل ذلك وضحكتم وأنا اذكّركم به. لذلك اقول لكم الآن: لا أعرفكم، اذهبوا يا ملاعين الى النار الابدية التي أُعدّت للشيطان وملائكته **(متى ٢٥: ٤١)** فيذهب هؤلاء الى الهلاك الأبدي.

- **أمكنة العذاب:**

الآن سوف اكشف لكم يا إخوتي عن أمكنة العذاب المختلفة كما يقول الإنجيل: هناك الظلمة الخارجية (متى ٨: ١٢)، وهناك جهنم النار (متى ٥: ٢٢)، وهناك صرير الاسنان المختلف عن الأوّل، وهناك الدود الذي لا يموت (مر ٩: ٤٤)، وهناك النهر الناري (دا ٧: ٩). يُوزَّع الخطأة على اماكن العذاب المختلفة هذه، كل واحد حسب عِظَم خطاياه وكميّتها.

كما توجد خطايا مختلفة، هناك أيضاً عقابات مختلفة، أي ان الزاني يعاقَب بصورة تختلف عن القاتل والسارق والسكّير.

كل من وقع في **هرطقة** سوف يسمع الأمر الرهيب: ليُرْمَ الجاحد خارجاً

حتى لا يرى مجد الرب . كل من كان في **عداوة** ولم يسامح خلال حياته سوف يهلك حتماً . سوف يُرسل الذين يكرهون إخوتَهم الى الظلمة الخارجية ، لأنهم عندما يكرهون أخاهم يكرهون المسيح الذي قال : أحبّوا بعضكم بعضاً ، واغفروا لبعضكم البعض زلاتكم .

الويل لمحبّي الزنى والسكر . الويل للسحرة وللذين يتعاطون ضرْب المندَل واستحضار الارواح الميتة والذين يلتذّون بالخمرة والرقص والموسيقى المطربة . الويل للذين يستهزئون بالكتب المقدّسة .

الويل للذين يمضون زمن التوبة باللعب والضحك ، لأنهم سوف يطلبون ما أضاعوه باطلاً ولن يجدوه . سيصرخون **بدموع** وتنّهدات ، ولن يجدوا عطفاً . الويل للذين يخطفون الاشياء الغريبة . ولكي أختصر كلامي ، الويل للذين سوف يكونون عن اليسار لأنهم سوف يصابون بالدوار ويرتعدون ويصرّون على أسنانهم عندما يسمعون العبارة: «لن أعرفكم» عندها سوف يطردون من المنبر الرهيب ، ويسلَّمون بخوف كبير الى أيادي الموت لكي يرعاهم .

إن ذكر مثل هذه الساعة الرهيبة هو حقاً مخيف . من يستطيع ان يتكلم عنها ؟ إن شئتم أن تسكبوا دموعاً تعالوا اسمعوا ما ينتظرنا في ذلك اليوم العظيم .

سوف ينفصل الأساقفة عن إخوتهم الاساقفة ، والكهنة عن إخوتهم الكهنة ، والشمامسة عن الشمامسة الآخرين . .. سينفصل الملوك بعضهم عن بعض ، ويبكون كالأطفال ، ويقفون كالحيوانات . سوف يرتعد حكّام الشعوب ، ويفتشون هنا وهناك دون أن يروا عوناً ، لأن الغنى يتلاشى وكذلك التملّق . **عندئذ يُفصل الرهبان العائشون في الكسل** لأنهم ابتعدوا عن العالم ولم يفكّروا الّا دنيوياً . عندئذ سوف يُفصل الأهل عن الاولاد والأصدقاء بعضهم عن بعض والأقارب كذلك . سوف ينفصل الأزواج الذين لم يحفظوا مضجعهم طاهراً .

يعتريني الخوف عند رواية كل هذا وسأتوقّف . .. حينئذ إذ يُطردون

ويُضرَبون ويُدفَعون من قبل ملائكةٍ متشددين، سوف يصرّون على أسنانهم ويتحوّلون الى الوراء بعد اقترابهم من ذلك المكان الرهيب حيث يرمى كل واحد في مكان عذابه. عندئذ سوف يعاينون الحكم النهائي إذ لم يبقَ من يتوسّل من أجلهم ولم يعد لهم رجاء بالعودة. لذا يبكون ويُضرَبون قائلين:

كم خسرنا من الوقت لأننا عشنا في **الكسل والإهمال**؟ كم ضحك منّا هذا العيش الباطل! رفضنا الجهاد ونحن نشاهد الآخرين يجاهدون الجهاد الحسن!؟ كنا نسمع قراءة الكتب المقدسة ونستهزئ بها.

هناك كلّمنا الله عن طريق الكتب المقدسة ولم نُعِرْها نحن أيّ اهتمام. الآن نحن نصرخ وهو يصرف وجهه عنا.

ماذا أفادتنا ملذات العالم وماذا أكسبَنا التمتّع به؟ أين هو الأب، أين هي الأمّ، أين اللذان ولدانا؟ اين هم الاولاد والأصدقاء والغنى؟ أين الملذات والموائد الغنية؟ أين الاهل والأصدقاء، أين الملوك والحكام، أين الحكماء والمعلّمون؟ من كل ذلك لم نجتنِ نحن الاشقياء أية فائدة.

عندئذٍ نرى هجر الله والقديسين لنا ونقول: افرحوا أيها الأصدقاء والأقارب، ايها الآباء والأمهات والاولاد والبنات. افرحوا ايها الرسل والشهداء والأنبياء. افرحي يا طغمة الرهبان. افرحي أنتِ يا والدة الإله السيدة التي توسّطت كثيراً من أجل خلاصنا، إلا أننا لم نُرِدْ أن نتوب ونخلص. افرح ايها الصليب الكريم المحيي. افرح يا فردوس الفرح الذي خلقه الرب. افرحي يا اورشليم السماوية امّ الأبكار التي لا نهاية لها. افرحي يا ملكة السماوات. افرحوا كلكم معاً لأننا ذاهبون الى العذاب الأبدي الذي لا عزاء فيه.

اذاً كل واحد يذهب الى المكان الذي أعدّه هو لنفسه، ولم يرد ان يتوب وينجو من ذلك الغضب. أسمعتم ايها الإخوة ماذا ينبغي ان يرث الذين تعبوا

وجاهدوا في الحياة الحاضرة ، وكيف سيُطرد الذين تكاسلوا ولم يتوبوا الى الهلاك الرهيب ؟ سمعتم عن تلك الساعة وذلك اليوم الرهيب ؟

إن الكتاب المقدّس من مشرق الشمس حتى مغاربها يصرخ بصورة مستمرّة ، ويقول عن طريق الكنيسة : « تعالوا ايها المتعبون والثقيلو الأحمال وانا أريحكم » ، وأيضاً : « انا هو الحياة والقيامة والحق » .

فلنحبّ ايها الاخوة هذا الطريق وتلك الحقيقة لكي نرث الحياة الأبدية بمعونة المسيح ربنا وإلهنا ، لأنه ينبغي له المجد والإكرام والسجود مع أبيه الذي لا بدء له وروحه الكلي القداسة الصالح والمحيي ، الآن وكل أوان والى دهر الداهرين ، آمين .

ميمر إلى الأبرار الراقدين [1]

للقديس افرام السرياني

يقرأ نهار السبت قبل
مرفع الجبن والمخصص للأبرار.

في هذا اليوم الذي فيه تُرتَّل بمجدٍ أسرارُ الابن الوحيد، لنصرخ بالتسابيح في الكنيسة عروس المسيح كارزين بمآثر الآباء القديسين ومرنّمين مدائح للساكنين في البريّة. لنسرد جهادات اولئك الذين تركوا المدن وأرادوا بشوق ان يسكنوا البريّة، وذلك من أجل فائدة السامعين كلّهم. وان غاب أحد يُعتبر من الحاضرين ويصبح شريكاً بطلبات الآباء الأبرار وبطلبات السامعين يخلص المتكلّم.

لم يغب عنّا الآباء الابرار لأنهم يتشوقون إلينا دائماً ويصلّون من أجل زلّاتنا. ليسوا فقراء وهم ممجّدون. ليسوا أدنياء وهم مكرّمون. ليسوا أمّيين لانهم يعلّمون الناس كلّهم عن طريق الأعمال الصالحة. السيّد نفسه معلّمهم. يتيهون في الجبال ويغتذون كالوحوش. هم كاملون. كلّهم عدلٌ. أعضاء الكنيسة لم ينفصلوا عن الرعية كونهم أبناء الروح القدس. لا يحلّون الناموس، بل يحفظون الكهنوت والوصايا كلّها. لا يقاومون الناموس لانهم حارّون في الإيمان.

عندما يحضر الكهنة الشرفاء امام المائدة المقدّسة ليتمّموا الليتورجيا الإلهية، يأتي هؤلاء الأبرار أوّلاً ليرفعوا أيديهم ويقتبلوا بإيمان جسد السيّد الذي هو معهم دائماً. هم كالحمام يطيرون في العلى يجعلون أوكارهم في الصليب. يجولون

---

(١) في الاصل اليوناني étéliothendas اي وصلوا الى النهاية (رقدوا) أو بمعنى **اكتملوا**.

الأماكن النائية كالخراف وعند سماعهم صوت الراعي للحال يعرفون السيّد الصالح. هم كالتجار الخارجين ليطلبوا اللؤلؤة الثمينة [٢]. هم مجاهدون يختبرون التقوى.

أميلوا إليّ أذنكم في هذه الساعة لكي أروي لكم سيرة الآباء الذين عاشوا في البريَّة. انقلوا ذهنكم الى وسط القفر، هناك ترون عجباً ومجداً. لنخرج بسرعة ونروي بعض الأمثلة الصالحة لسيرتهم لان الشوق يضطرّني أن أغرف أنا أيضاً من كنوزهم.

إن حياتهم تملأني خشية إذ أتقدّم إليهم خفيةً. هكذا يشعر كل واحد يقترب منهم للحظة، لأنهم عندما يحنون الركب من أجل الصلاة يجعلونني نشيطاً بعدما كنت متهاملاً. عندما يرفعون ايديهم الى السماء عندها يشتدّ صوتي لتسبيح الله بإيمان. عندما يقدّمون ابتهالات يرتفع ذهني معهم ويرتكض لوداعتهم، وكذلك لساني يبتهج لسيرة حياتهم.

ان سكب واحد منهم سحابةً من الدموع من أجل زلّاته للحال يُستجاب له. لقد تشبّهوا بالمسيح نفسه ومنه يحصلون على مسكن وهم قاطنون البريَّة. انه لا يحجب كنوزه الصالحة عن الآتين في الساعة التاسعة أو الحادية عشرة [٣]. فهو كسيّد صالح يمنح العامل الذي اشتغل في الحقل من الساعة الحادية عشرة أجره. يفتح كنزه بنشاط ويُعطي غناه لكل من أراد أن يأتي ويلبس لباس المجد الذي يتحلّى به اولئك الأبرار دوماً ويعملون أعمالاً صالحة ويتشبّه بسيرتهم.

ان اجتهد الواحد أن يعتزل العالم ويلبس ثوبهم، يغتني بغناهم. وان اقترب الواحد منهم للحال يبدأ بمنح العطايا للطالبين اليه. هؤلاء يعطون المتوسّلين اليهم مما عندهم. فلنذهب نحن أيضاً ونأخذ من عطيتهم صلاةً ونعمةً روحية. لنأخذ

---

(٢) متى١٣:٤٥.
(٣) متى ٢٠:٥-٩

من محبتهم المجيدة اكثر من الحجر الكريم ، اكثر من الزمرّد الشهير وبدل اللؤلؤة لنأخذ ايمانهم .

أنت أيها الإله الكلّي القدرة الذي يدفع اولئك في تجوالهم على الجبال والتلال ، في المغاور وثقوب الأرض[٤] أعطني قوّةً وشدّد لساني لكي أستطيع ان أتكلّم عن سيرتهم وان لا أنسى أيًّا من جهاداتهم اللامعة .

* * *

• مآثر الأبرار

لذلك بعد نهوضنا لنطرح عنّا أسلحةَ الشيطان ، وبعد تنقية قلوبنا تنقيةً حسنةً لنجنّح أنفسنا كالحمام ولنحلّق لنرى مثل أولئك الذين تركوا المدن وضجيجها وقصدوا بالأحرى الجبال والصحراء. لنذهب ونشاهد مساكنهم، كيف يجلسون كالأموات في القبور . لنذهب ونرَ موهبتهم الروحية التي يتمتّعون بها ببهجة وسط الجبال . لنذهب ونرَ اولئك الذين ازدروا بالعالم (الفاسد) وفضّلوا العيش في الصحراء .

لنذهب ونرَ أجسادهم وكيف لم يرتدوا إلا شعر أجسادهم . لنذهب ونرَ **مسوحهم** التي يلبسونها بفرح ممجّدين الله . لنذهب ونرَ **وجوهَهم** وكيف يستخدمون عبوستهم لكي يُشرقوا بها قلوبهم . لنذهب ونرَ **الملائكة** يسبّحون ويرتّلون معهم بفرح كبير . لنذهب ونرَ **الماءَ** الذي يشربونه ممزوجاً بدموعهم . لنذهب ونرَ **مائدتهم** المليئة دوماً بالأعشاب البريَّة . تعالوا نشاهد الحجارة التي يضعونها دوماً تحت رؤوسهم . لنذهب ونأخذ من شعر رؤوسهم حتى يرضى السيِّد علينا .

ان رآهم لصّ سقط للحال على ركبتيه وسجد لهم لأنهم يحملون دوماً

(٤) عبرانيين ١١:٣٨ .

الصليب على صدرهم. عندما ترى الحيوانات المفترسة مسوحهم تبتعد عنهم للحال اذ تشاهد الرؤية العجيبة. يدوسون بأرجلهم زحافّات الأرض لأنهم يلبسون **الإيمان** الذي يقود الى العدل.

عندما يراهم الشيطان يرتعد للحال ويصرخ بشقاوة ويبتعد في اللحظة نفسها لأنه نصب فخاخاً عديدة واختبأ وراءها ولم يستطع ان يؤذيهم. فهم **ما كانوا غيرَ مبالين** كما هو الحال معنا اليوم نحن الأغبياء **لكنهم يحاربون العدوّ بشجاعة** من أجل سحق الشيطان تحت أرجلهم. لذلك حطّموا سهامه وما عادوا يخشون مكائده المضلّة. ان ظهر الغنى أمامهم يعتبرونه لا شيء ويدوسونه كالحجارة كونهم يزدرون به، إذ إن غناهم هو في السماء مع الملائكة القدّيسين. **الجوع لا يقلقهم** لانهم يشبعون من خبز الحياة[٥]، من المسيح الذي ينحدر من السماء. وكذلك العطش لا يدفعهم وراء الماء لأن في نفوسهم دوماً وعلى لسانهم المسيح الينبوع الحيّ[٦]. لا يملك الشيطان اللعين القدرة على جعل ذهنهم يضطرب لأنهم وضعوا أساسهم على الصخر[٧]. يسكنون المغاور وكأنهم في القصور. الجبال حولهم والتلال عزيزة الى حدّ اعتبارها أسواراً شاهقة. مائدتهم الأرض كلّها والجبال. طعامهم العشب البرّي. ماؤهم المفضّل هو ماء الجداول، وخمرهم ماء بحيرات الصخور. كنائسهم لسانهم الذي به يمارسون الصلوات. اليوم له اثنتا عشرة ساعة وصلاتهم للرب كذلك. يقدّمون على الجبال وفي المغاور تمجيداً لله متواصلاً بمثابة ذبيحة مرضيَّة له. هم كهنة لأنفسهم **يشفون أمراضنا بصلواتهم** يتشفّعون دوماً الى الله. لا يتكبّرون ولا يفتّشون عن المجالس الأولى. مجدهم التواضع لانهم يتشبّهون بالمسيح الذي افتقر[٨] من أجلنا نحن

---

(٥) يوحنا ٦:٣٣ و٣٥.
(٦) يوحنا٤:١٤.
(٧) لوقا٦:٤٨.
(٨) ٢ كور ٨:٩.

الأشقياء. لا يسمحون لأنفسهم بأن يرتاحوا في العالم لأنهم ينتظرون الراحة هناك.

* * *

● شهادة حياتهم

لنتشبه بالذين يسكنون الجبال ولنشترك بطريقة حياتهم. انهم تائهون مع الوحوش ومثل الوحوش. يطيرون كالطيور المجنّحة. يرعون كالغزلان في البراري. مائدتهم جاهزة على الدوام، لأنهم يأكلون من أعشاب الارض. يضيئون كالمصابيح وهم تائهون في الجبال، **وينيرون بنورهم كل من يتقدم اليهم بشوق**. الآباء في البريّة سورٌ منيع، لذلك يجعلون مكان سكناهم في سلام. **أينما حلّ أحدهم يحوّل المكان الى سلام**. يطيرون على التلال كالحمام وعلى الجبال كالنسور وفي المغاور أيضاً. ربّما يضجر الملك في قصره لكن ثقوب الأرض فسيحة ومريحة لهم. يلبس الأبرار الملابس المرقّعة فيبتهجون بها أكثر من البرفير الملكي. يهترئ البرفير بينما المِسح المرقّع يدوم بداعي صبر الآباء القدّيسين. طبعاً يحطّون من التكبّر ويتوقون دوماً الى التواضع الأقصى. يزدرون بكل مجد عالمي باطل ويمجّدهم العالم بسبب **تواضعهم ووداعتهم**. لا يرتاح الملوك كما يرتاح الآباء في البريّة لأن المسيح بهجتهم. يرعون كالوحوش لانهم ينتظرون التمتع بفردوس النعيم. عندما يتعبون من تجوالهم يفترشون الارض وكأنها سرير مريح مشكور. **ومن نومهم ينهضون بسرعة** ويرنّمون للمسيح معشوقهم كالأبواق.

ترافقهم دوماً طغمات الملائكة التي تحيط بهم وتحرسهم باستمرار. نعمة الرب معهم على الدوام، لا تسمح للعدوّ ان يخدعهم. عندما يحنون ركبهم للصلاة يحوّلون التراب الى طين أمامهم، وعندما يتنهّدون تجري دموعهم جداول. وعند نهاية التسبيح يقوم المسيح السيّد ويخدم عبيده. عند السحر

يبسطون للحال أجنحتهم ويطيرون في العالم كلّه لأن مسكن الآباء القدّيسين غير معلوم لدى الناس كونه موجوداً في عدن. حيثما يلقاهم الغروب هناك يستريحون. حيثما يفاجئهم الليل هناك يمكثون. لا يهتمون بقبورهم لانهم أموات. هم **مصلوبون للعالم بداعي شوقهم الى المسيح**. فإنه في المكان الذي نسك (أو صام) فيه أحدهم هناك صار قبره. كثير منهم انحنى للصلاة فرقد مستريحاً امام السيد المسيح. غيرهم أيضاً استند الى الصخر وللحال أودع نفسه في يدي الرب. آخر مات وهو يصعد وحيداً على الجبل، فأصبح المكان له قبراً ومدفناً. آخر اتخذ من ذاته موقف المائت فجثا في القبر مستنداً الى نعمة ربّه. آخرٍ كان يأكل عشب الارض فنعس فلفظ أنفاسه على المائدة. آخر أيضاً بينما كان يمجّد الله اختُطف لحنُ نسمته. غيره بينما كان يرتّل على الجبل ويصلّي جاء موته فوضع حدّاً لصلاته.

● **في المجيء الثاني:**

ينتظرون سماع الصوت الذي سوف يقيمهم، ويزهرون كالزهور التي تنشر عرفها الزكي. عندما ينفخ البوق على الأرض، يخرج الموتى من أحشائها أمّا هم فينبتون ويزهرون كالزنابق. حينئذ سيجازي السيّد تعبهم الكثير الذي صابروا عليه لاجل محبتهم للمسيح ويمنحهم الحياة الابدية هبةً دائمة. وبدل الشعر الذي كان يغطي جسدهم[٩]، يمنحهم إكليلاً منسوجاً بالمجد، وبدل الالبسة المرقّعة الشقية يعطيهم لباسَ العرس الرسمي، وبدل العشب البرّي والماء الشحيح **يحصل المسيح لهم طعاماً وشراباً**. وبدل ثقوب الارض التي كانوا يسكنون فيها يمنحهم المسيح فردوس النعيم.

لقد أرادوا أن يحزنوا في العالم فيعطيهم الفرح العظيم. لا يستطيع الواحد أن يظهر بالكلام الفرحَ الذي سوف ينعم به **القدّيسون** الذين عانوا العذاب طوعاً في

---

(٩) هنا يشير الى الآباء العراة مثل آدم قبل المعصية.

هذا العالم . لقد حاربوا أهواءهم الباطلة وغلبوا العدوّ . صانوا وصايا الإله العليّ ، لذلك يغبّطهم الملائكة ويقولون لهم : « طوبى لكم أنتم الذين شوقاً بالمسيح سيّرتم حسناً المركب بصبركم العظيم وحكمتكم موجّهين اياه بضمانة الى اليبس حسب وصايا المسيح السيّد الصالح ، ولذلك وصلتم الى الميناء الهادئ وتتمتعون الآن بالمسيح الذي طالما اشتقتم إليه . نحن نفرح معكم اليوم لانكم هربتم من مكائد العدوّ وجئتم الى المسيح الذي كللكم وأنتم ورثاء لملكوته ممجّدين من كل نفوسكم الثالوث القدّوس الذي يليق به كل مجد وإكرام وسجود الى الدهر آمين .

أحد مرفع الجبن
أحد الغفران

متى ٦: ١٤-٢١

«واترك لنا ما علينا كما نترك
نحن لمن لنا عليه» (متى ٦: ١٢)

للاستاذ ستويانوس

• مقدمة : البرّ الجديد بالنسبة للقديم

يتضمّن هذا المقطع ثلاثة مقاطع صغرى، يمكن اعتبار الثاني منها فقط مستقلاً. يشكّل المقطعان الباقيان أقوالاً مأخوذة من مجموعة أكبر. يجمع الإنجيلي هذه الأقوال هنا لأسباب عديدة منها مثلاً توضيح بعض المفاهيم المترابطة فيما بينها. لكن بصورة عامة يتكلم الإصحاح السادس عند متى عن مواضيع تميز **البرَّ الجديد** (او الشريعة الجديدة) عن البرّ اليهودي القديم استناداً الى تفاصيل سلوكية ظاهرة في حياة تلاميذ يسوع الدينية. هكذا ترد في بداية الاصحاح أقوال للربّ تميّز بين الصلاة الحقيقيّة وبين الكلام البطّال عند الوثنيين. وبعدها يضع الإنجيلي الصلاة الربّية (متى ٦: ١- ١٣)، يليها كلام للربّ متعلّق بطلبات هذه الصلاة (ما عدا المقطع ٦: ١٦- ١٨)، مفصّلاً إياها ومعطياً صورةً عن برّ التلاميذ (أخلاقهم المتنوّعة) مقابل التقوى اليهودية.

رتّب متى الأقوال على هذا الشكل متّبعاً طريقة تجميع تعاليم يسوع، بينما يحافظ لوقا على موقعها الأوّل كما نتبين بوضوح في الانجيل الثالث. بالرغم من

وحدة الموضوع في ذهن متى اللاهوتي ، سوف ندرس المقاطع الثلاثة بطريقة مستقلّة ، حريصين في النهاية على تثبيت وحدة المعنى .

* * *

أ ـ الارتباط بين حكم الأرض وحكم السماء : متى ٦ :١٤ـ ١٥ :

« إن غفرتم للناس زلّاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي . وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم ايضاً زلاتكم »

تأتي هذه الاقوال شبيهة حرفياً وجوهرياً بالطلبة الخامسة الواردة في الصلاة الربيّة (« واترك لنا ما علينا . . . ») . وهي تشرح معنى الطلبة هذه بصورة أعمق مستخدمة طريقة الموازاة (parallélisme) . يظهر المعنى الحقيقي لهذه الاقوال جلياً من خلال كلام يسوع في مثل العبد الشرير **(متى ١٨ :٢٣ـ ٣٥)** الذي ينتهي بالكلمات نفسها . ليس تحنن الله علينا الّا تجاوباً لمدى عزم الإنسان على الغفران لإخوته .

طبعاً هذا لا **يعني ان الغفران** الذي يقدّمه الإنسان لإخوته **يشكّل عملاً بشرياً** يستحق الأجر . على العكس فإن اقتبال الآخر ومسامحته من قبل المؤمن ينبعان من معرفة جديدة لله معرفةً إلهية كأب ، من خبرةٍ للحنان الآلهي تجاه الانسان الخاطىء ، هي الخبرة التي اكتسبها التلاميذ . يتمتع المؤمن بمحبة الله الآب ، فيجعلها تنعكس على تصرّفه تجاه إخوته . نحن نكتسب هذه القوة لغفران زلّات الناس عندما نكون في علاقة صحيحة مع الآب ، وعندما نفهم تماماً عظم محبته وحنانه .

هكذا يشير غفران الزلّات للاخوة الى الصفة المزدوجة للإنجيل : فهو من جهة يربط بين سلوك المؤمنين واعلان محبّة الله الآب في عمل المسيح ، ومن جهة أخرى يذكّر **بدينونة الإنجيل للبشر** إن لم يتّبعوا وصاياه .

بعد التأكيد على الخلاص، الوارد في الآية ٦: ١٤، يأتي ذكر انحجاب المحبة الإلهية الغافرة عن الذي يبتعد عن الطريق الإنجيلي (الآية ٦: ١٥).

إن تبنّي الله للانسان هو هبة تفترض سلوكاً مماثلاً عند الابن تجاه أخيه، ومن ينسى مقامه هذا ينال مصير العبد الشرير (ناكر الجميل).

* * *

ب - الصوم الحقيقي: متى ٦:١٦- ١٨:

« ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين. فإنهم يغيّرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين. الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم. وأمّا أنت فمتى صمتَ فادهن رأسك واغسل وجهك، لكي لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية ».

هنا أيضاً عرض للبّر الجديد مقابل القديم. بعد كلامه عن الصدقة وعن الصلاة يقارن الرب بين الصوم الصحيح الحق وصوم « **المرائين** » (اي الفريسيين). يشكّل الصوم موضوع نقاش بين اتقياء اسرائيل منذ زمن الانبياء. كان الصوم يشكل مظهراً للتوبة والانسحاق، وكان مرتبطاً بالصلاة مقدّماً لها على ما يبدو قوةً خاصة. لكن كان هناك خطر تحويل ممارسة الصوم الى عمل مستحقّ الأجر، كما حصل مع عطلة السبت، لأنه كان يُفترض أن يأخذه الله بعين الاعتبار. لذلك يقف إشعيا ضدّ هذا المفهوم قائلاً:

« بمنزلة شعبٍ عاملٍ عدلاً ولم يهمل حكم إلهه، يلتمسون الآن مني حكماً عادلاً، ويشتهون بأن يقتربوا من الله قائلين: ما السبب في أننا صمنا وما أبصرتَ، وذلّلنا أنفسنا وما عرفتَ؟ لأنكم في أيام أصوامكم تجدون مشيئاتكم وتتذمرون على جميع الذين تحت أياديكم. ها انكم تصومون لحكوماتٍ وخصومات، وتضربون الذليل بكلماتكم. لماذا تصومون لي كاليوم صوماً يُسمَع

فيه صوتكم بصياح ؟ انا ما اخترتُ هذا الصوم ، ولا آثرتُ يوماً يذلّل فيه الانسان نفسه ، ولو انك أحنيتَ كالطوق عنقَك وبسطت المسحَ والرماد تحتك فلا تدعو هذا صوماً عند الرب مقبولاً . فصومٌ مثل هذا ما اخترتُه انا يقول الرب . لكن فُكّ كل رباط الظلم ، وحُلَّ عقود المعاملات الاقتسارية . اصرف المتهشمين بصفح ، ومزّق كلَ صكٍ ظالم ، **وفُتَّ للجائع خبزَك** ، وأدخل مساكين لا سقف لهم إلى بيتك ، واذا رأيت عارياً فاكسه ، ولا تعرض عن مؤاساة آل ذرّيتك . حينئذ ينفجر ضياؤك باكراً ، وتشرق أشفيتك وشيكاً ، ويتقدّمك قدامك عدلك ، ومجد الله يجلّلك . حينئذ تهتف فيستجيب اللهُ لك ، ومهما تتكلم يقول لك ها قد حضرتُ » **(إشعيا ٥٨:٢–٩)** (الأربعاء قبل الشعانين) .

ينتهي اذاً قول النبي إشعيا في آخر المطاف بأن يُصبح الصوم **تعبيراً عن المحبّة**[١] ، متقدّماً في هذا المجال اكثر من قول القديس باسيليوس المأثور : « الصوم هو الابتعاد عن الأهواء » ، لأنه يجد في المحبّة الرفيقَ الصادق للصلاة .

في النص الانجيلي يواجه متى موضوع الصوم من جوانب مختلفة كما فعل النبي . فهو اوّلاً لا يشير هنا الى الصوم المتّبع من الشعب كلّه مثل يوم التكفير ، بل الى الأصوام الخاصة التي كان يتبعها أتقياء اسرائيل يومي الإثنين والخميس . فالأصوام العامة التي كانت تهدف الى تهيئة الشعب من اجل لقائه بالله لم تتسم فقط بطابع التطهير الليتورجي أمام القدس ، بل كانت أيضاً تذكّر الانسان بعريه أمام الربّ . يبدو أن الرب والتلاميذ لم يعرفوا مثل هذه الأصوام (نصّ متى ٩:١٤–١٧ له معنى آخر) . ومن جهة أخرى لا يرفض الرب هنا الأصوام الخاصة . ينصبّ وقع كلماته على **نقد التقوى اليهوديّة الراغبة في المجد الباطل** والتي تنبع من تبرير الصائم التقي لنفسه ومن التكريم المقدّم له من الناس كما يبدو من تفاصيل الرواية . ينتقد الرب تغيير مظهر الإنسان الخارجي باسم التقوى وهذا

---

(١) الغفران للناس زلاتهم يفترض المحبة أيضاً. اذاً نشتمّ من النصّ الإنجيلي كلّه أن المسيح يهتمّ قبل كل شيء بالمحبّة.

ما يميّز أتقياء اسرائيل المرائين . إن عبوسة الوجه ، وإن اتت من انسحاق داخلي عند الصائم والشعب تكفيراً عن خطاياهم إلا أنها تبقى **رياء** لأن الله لم يأمر بها ولا تهدف الى تمجيده بل على العكس تنبع من قلب الانسان وتهدف الى اجتذاب مدح الآخرين له بسبب تقواه. يبرهن بوضوح اللعبُ على الكلام في عبارة « يغيّرون مظهر وجوههم لكي يظهروا للناس . . .» نيّة المرائين في اجتذاب مدح وتمجيد الناس لهم .

الصوم الذي هو سبيل للاقتراب من الله وإظهار تواضع الانسان أمام الرب قد تحوّل الى وسيلة لتغذية انانية الانسان ، والى خلع الرب من مكانه وإجلاس الإنسان على عرش العليّ . فأضحى خطيئة تجلب تأديبَ الله كما نستنتج من الآية ١٦ « قد استوفوا أجرهم » التي تذكّر بصورة غير مباشرة **بالدينونة** وكأنها أصبحت حاضرة . لا تعني هذه العبارة أن أجر الفريسيين المرائين يكمن فقط في إشباع أنانيتهم بل أيضاً أن الله يحتفظ لهم بالحكم العادل .

بدل الصوم المتمحور حول الإنسان يضع الله صوماً يهدف الى تمجيده وهو **الصوم الحقيقي** . كلامه عن الاعتناء بالمظهر الخارجي لا يعني طبعاً إدخال نوع آخرمن المراءاة ليظهر الانسان خارجياً على غير حقيقته الداخلية . المعنى هو أن المظهر الخارجي لا يشكل المعنى الصحيح للصوم بل علاقتنا الصحيحة مع الله الآب هي التي تشكّل هذا المعنى الصحيح . في المظهر البشوش الذي للصائمين يجب ان نرى ايضاً عنصراً آخر يركّز عليه الآباء والنقّاد الحديثون هو **فرح المؤمنين** أمام تحنن الآب الذي هو أعظم من الحزن على الخطايا .

يجب ان لا ننسى هنا الإيمان بالله الآب الذي من أجله يقدّم المؤمن كابن صيامه . على مثال **الرحمة والصلاة** يكتسب **الصوم** معنىً ، ويكمن مضمونه الحقيقي عندما يرتكز على علاقة جديدة للانسان مع الله هي العلاقة المعلنة للانسان في المسيح ابن الله المتجسّد .

* * *

ج – الكنز الحقيقي : متى ٦ :١٩– ٢١:

« لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يُفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون . بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون . لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً » .

تُدخلنا هذه الآيات الى مجموعة جديدة اخرى من المواضيع ، وهي كلمات للربّ يسوع تتعلق بالاهتمامات والكنوز ، يجمعها الانجيلي متى حسب عادته منتقلاً من موضوع الى آخر بدون تمييز . تتضمّن الآيات ١٩–٢٠ موازاة بين حالتين متناقضتين (يتكلم بعض المفسرّين هنا عن صيغة شعرية) وتعرض موضوعاً مستحباً في اليهودية المعاصرة : موضوع الكنوز وادّخارها . يحترم الربّانيون الكنوز الأرضية لأنه عن طريق الإحسان والضيافة يصلون الى اكتساب الكنوز السماوية .

لنوردْ الاقوال اللافتة للنظر التي وجهها الملك السوري monovazo في القرنّ الاوّل الى اليهود بعد أن وزّع امواله كلّها على الفقراء . سُئل لماذا فعل ذلك ؟ فأجاب : « أجدادي كنزوا من أجل غيرهم ، امّا انا فأكنز من أجل نفسي . هم كنزوا للدهر الحاضر وانا أكنز من أجل الدهر الآتي » .

كذلك في كتاب طوبيا يتوجّه الأب الى ابنه ويدعوه لكي يكون محسناً بقدر امكانياته ، وينتهي الى القول : « انّك تدّخر لك ثوباً جميلاً لنفسك الى يوم الضرورة . **لأن الصدقة تنجي (من الخطيئة) ومن الموت** ولا تدع النفس تصير الى الظلمة » **(طوبيا ٤ :٩– ١٠)**[٢] . يتّضح من ذلك أن الخيرات الأرضية ، عندما تُستخدم بطريقة صحيحة ، تستطيع ان تؤدي الى اكتساب الخيرات السماوية عن طريق أعمال مُستحَقّ أجرها .

---

(٢) هنا نتذكّر ما جاء في العهد القديم: «إفدِ خطاياك بعمل الإحسان».

تختلف صورة نصوص قمران تماماً عمّا سبق ، لأن المتوحّدين على ضفّة البحر الميّت يزدرون بالخيرات الأرضية دون ان ينتظروا تالياً خيرات سماوية .

يتّبع الرب منذ البداية طريقة خاصة تختلف جذرياً عن طريقة اليهود والأسّانيين . تركّز الآيات ١٩ - ٢٠ على الطابع الوقتي والفاني لخيرات العالم الحاضر بالمقارنة مع أزلية الكنوز السماوية وثباتها . فالخيرات الحاضرة فاسدة لأنّها معرّضة للسوس وللصدأ وللسرقة ، بينما لا يعترض الكنوزَ السماوية شيءٌ من هذا القبيل .

حتى الآن يبدو أن النصّ يهدف الى حث السامعين على القيام بأعمال المحبة والتعاون التي تشكل مظهراً جديداً لبرّ المؤمنين الجديد وتقواهم . إلّا أن **الآية ٢١** « **لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك** » تعطي معنىً مغايراً لما سبقها . وهذا المعنى لا يشير الى عمل أخلاقي بقدر ما يشير الى **الإيمان** كأساس ومصدر لهذا العمل . مشكلة الإنسان الكبرى ليست في العمل بل في **الدافع**[٣] له ، في وضعيّته في القلب . ليست في تصرّفه الأخلاقي بل في ايمانه الذي منه يصدر التصرّف . لذلك يذكّر الرب تلاميذه بأن المسألة الرئيسية لاتّباعه ليست حفظ الأوامر التي لا تؤدّي الى أجر مستحق . المسألة هي في **التصاق القلب** اي **التصاق الإنسان كلّه بالله** الذي هو منبع الحياة وكنز المؤمنين الحقيقي . فتصرّف الانسان يعكس ايمانه الذي يعبّر عن صلته الوثيقة الوجودية بمصدر الحياة ، بأثمن شيء عنده ، بالكنز . وهنا تسري القاعدة الواردة عند متى « لا أحد يستطيع أن يعبد ربين » .(متى ٦ : ٢٤) .

التلميذ مدعوّ اذاً من خلال الآية ٢١ ان يختار ، إمّا الله وإمّا خيرات العالم ، سيّداً عليه يأخذ منه الأوامر الاخلاقية والقوّة التي تدفعه لتتميم هذه الأوامر . الخيارُ واضح : إمّا خيرات العالم والثقة بأنها هي الضمانة والسعادة ، وامّا الطاعة

---

(٣) الدافع الداخلي هو الايمان . la motivation intérieure

لله الآب والالتصاق به . يهدف المقطع كلّه بالتالي الى إبراز الضرورة الوجودية الكيانية لتأسيس البرّ الجديد على الايمان بالآب .

* * *

● **خلاصة :**

من تحليل المقاطع الثلاثة السابقة تظهر الوحدة الداخلية للمقطع كلّه . محور هذه المواضيع هو : **خبرةُ الكنيسة لمحبّة الله الآب المعلنة في الابن** . رباط المؤمنين الجديد بالله الآب هو المقياس لتصرّفهم اليومي الذي ينبع من ايمانهم .

تتضّمن هذه الصلة الجديدة وتفترض :

١- غفران الأنسان زلّات إخوته ، عاكساً بذلك اختباره للتحنن الإلهي .

٢- حفظ الصوم الحقيقي لمجد الله وبعيداً عن كل إرضاء بشري .

٣- الالتصاق بالله الآب الذي يشكل الكنز الوحيد للانسان .

الأحد الأول من الصوم

(يوحنا ١: ٤٣-٥١).

عظة للقديس يوحنا الذهبي الفم

دعوة الرسل الأولى:

● «في الغد أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل. فوجد فيلبس فقال له: اتبعني. وكان فيلبس من بيت صيدا[١] من مدينة أندراوس وبطرس» (**يو ١:٤٣-٤٤**).

يقول مثلٌ شائع إن كل من سعى جدّياً وراء أمرٍ جنى منه فائدة. ويقصد الرب اكثر من ذلك عندما يقول: «كل من يطلب يجد» (متى ٧:٨). من هنا السؤال لماذا تبع فيلبس المسيح؟ لقد تبعه أندراوس لأنه سمع عنه من يوحنا، وبطرس سمع عنه من أندراوس (**يو ١:٣٥-٤٢**). لكن فيلبس لم يسمع شيئاً سوى كلام المسيح «اتبعني» (١:٤٣) فأطاع دون تردّد وأصبح كارزاً له أمام الآخرين. فقد ذهب إلى نثنائيل وقال له:

● «فيلبس وجد نثنائيل[٢] وقال له: وجدنا الذي كَتَب عنه موسى في

---

(١) بيت صيدا = بيت الصيادين على شاطئ بحر الجليل

(٢) نثنائيل= تيوذُرس = هبة الله theodore, ربّما هو برتلماوس ابن تلماي المذكور مع فيلبس في لائحة التلاميذ الأول (متى ١٠:٣، مر٣:١٨، لوقا٦:١٤). حسب يو٢١:٢ هو من قانا الجليل (اليوم كفر قانا، على بعد ٨كلم من الناصرة، على طريق طبريا).

الناموس والأنبياء، يسوع بن يوسف الذي من الناصرة»[٣] **(يو ١ : ٤٥)**.

أنظر إلى قوله المدروس هذا واطّلاعه على ما كتبه موسى وانتظاره لمجيء المسيح! كلمة «وجدنا» تخص الذي يسعى ويطلب باستمرار. «في الغد اراد يسوع ان يخرج الى الجليل» ولا يدعو انساناً قبل ان يسمع هذا الانسان عنه شيئاً.

يعمل هذا بحكمة كبيرة لأنه لو دعا أحداً دون إرادته لربّما ندم هذا الأخير لاحقاً، لكن عندما يختار أحداً بإرادته يبقى هذا الأخير ثابتاً في الطريق. دعا اذاً فيلبسَ الى جواره لأن هذا الأخير كان يعرفه خصوصاً وأنه ولد وتربّى في الجليل. اذاً بعد أندراوس وبطرس دعا فيلبس ونثنائيل. والجدير بالذكر أن خبر يسوع كان قد انتشر في سوريا كلّها. لكن الغريب هنا أن بطرس ويعقوب وفيلبس تبعوا المسيح ليس لأنهم آمنوا به فقط من قبل بل أيضاً لأنه كان من الجليل، من حيث لم يخرج لا نبي ولا أي شيء صالح، من منطقة زراعية قاسية جافة.

من هنا أظهر يسوع قدرته لأنه أخرج تلاميذه المختارين من أرض جدباء. ربما تبعه فيلبس لأنه رأى بطرس وسمع عنه من يوحنا وربّما أيضاً لأن صوت يسوع لقي فيه استحساناً فاهتم بالأمر. كل ذلك يأتي الانجيلي على ذكره باقتضاب. كان يعرف فيلبس ان المسيح سوف يأتي، لكنه كان يجهل ان الذي امامه هو المسيح عينه، وأعتقد انه عرف ذلك من بطرس أو يوحنا. «فيلبس وجد نثنائيل...»: قال هذا لكي يجعل كرازته موثوقاً بها أكثر، فربطها بموسى والأنبياء، وجعل السامع أكثر اهتماماً بالأمر.

---

(٣) لا نبالغ اذا قلنا ان حياة الاتقياء في ذلك الزمن كانت تدور حول البحث المستمدّ من اجل ايجاد المسّيا مخلّص اسرائيل من آلامه كلّها. موسى والانبياء اي العهد القديم كلّه أنظر مثلاً الى تثنية ١٨:١٥، ١٥،١٨ **(ستويانو)**.

كان نثنائيل مطّلعاً ومفتّشاً عن الحقيقة كما كشفه المسيح بالفعل ، لذلك أرجعه فيلبس عن حق الى موسى والأنبياء لكي يدعم كرازته . لقد أسماه ابن يوسف لأنه هكذا كان يُعرف في الجليل .

ما هو البرهان يا فيلبس على قولك ؟ على كرازتك ؟ ما هي العلامة ؟ ما هو الإثبات ؟ هو إياه الذي كان عند أندراوس الذي لم يستطع أن يهمل الغنى الذي لقيه ، لم يستطع أن يصف الكنز الذي وجده ، فقاد أخاه إليه . هنا كذلك لم يفسّر فيلبس كيف وجد المسيح وكيف تكلّم عنه الأنبياء بل قاد نثنائيل الى يسوع لأنه كان يعلم جيّداً انه ان ذاق حلاوة أقواله وتعاليمه لن يبتعد عنه بعدها أبداً .

● « فقال له نثنائيل : أمِن الناصرة يمكن ان يكون شيء صالح ؟ قال فيلبس : تعالَ وأنظر[٤] ورأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه فقال عنه : **هوذا إسرائيلي**[٥] حقاً لا غش فيه » **(يو ١ :٤٦–٤٧)** .

هنا لا يوبّخ يسوعُ نثنائيل على كلامه السابق « أمِنَ الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح ؟ » ، بل على العكس يمدحه . لماذا ؟ لأن نثنائيل كان قد درس في الكتب ان المسيح سوف يولد في بيت لحم مدينة داود . هذا الرأي كان سائداً عند اليهود ، والنبي ميخا كان قد أشار إليه (٥ :٢) وكذلك الإنجيليّ متى « وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا لستِ الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبّر يرعى شعبي إسرائيل » **(٢ :٦)** .

---

(٤) الايمان بالمسيح يكتسبه الانسان من خلال لقائه الشخصي معه. لذلك أجاب فيلبس «تعال وانظر» لانه كان مقتنعاً ان مجرّد اللقاء مع يسوع يقود نتنائيل الى الايمان او بالاحرى لان يسوع سوف يوقظ ايمان نتنائيل (ستويانو)

(٥) **الاسرائيلي** هو الذي ينتمي الى الشعب المختار الوارث المواعيد على عكس اليهوديّ الذي ينتمي الى الشعب العبراني العالمي القومي. رجل لا غشّ فيه اي ليس في فمه غش (راجع المزمور ٣١: ٢).

عندما سمع نثنائيل ان يسوع هو من الناصرة اضطرب وأخذ يشكّ لأنه رأى أن أقوال فيلبّس لم تكن تنسجم مع النبؤة . لا بدّ لنا ان نلاحظ حكمته وتحفّظه رغم شكّه . لم يقل « أنت تُضلّني يا فيلبس وتكذب عليّ . انا لا أؤمن بأقوالك ولن آتي معك . أنا عارف أن المسيح سوف يأتي من بيت لحم وأنت تتكلّم عن الناصرة . لذلك ليس هذا المسيح » . ماذا فعل بدل ذلك ؟ ذهب مع فيلبس الى يسوع وأظهر أنه من خلال شكّه يعرف الكتب . هو يُبعد الضلالة من جهة ، لكنه من جهة أخرى يُظهر شوقاً كبيراً لملاقاة المسيح . ربّما فكّر أن فيلبس قد أخطأ بالنسبة إلى المكان .

لقد استخدم الحكمة حتى في شكّه . لم يقل « لا يأتي شيء حسنٌ من الجليل » ، بل قال « أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح ؟ » . فيلبس أيضاً كان حكيماً جداً لأنه عندما واجه شك نثنائيل لم يخب أمله بل أصرّ على إرشاده الى يسوع ، فأظهر لنا من خلال ذلك ثباتاً من أجل ايصال الكرازة .

من كل هذا الكلام نفهم لماذا قال المسيح « هوذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه » . هناك إسرائيلي كاذب ، مثلاً عندما سُئل اليهود : أين يولد المسيح ؟ قالوا في بيت لحم . وأضافوا شهادةً على ذلك : « وأنتِ يا بيت لحم لستِ الصغرى بين رؤساء يهوذا » . إستشهدوا بهذه الآية قبل ان يروا المسيح ، ولكن بعد أن رأوه أخفوا الشهادة بسبب حسدهم وقالوا : « نحن لا نعلم من أين هو » (يو ٩ : ٢٩) .

لم يفكّر نثنائيل هكذا ، إلا أنه كان يعلم أن المسيح لا ينحدر من الناصرة . لماذا إذاً دُعيَ من قبل الأنبياء بالناصري ؟ لأنه تربّى في الناصرة وسكن هناك . لم يعلّق المسيح على كلام نثنائيل بل استخدم طريقة أخرى لجذبه .

● « قال له نثنائيل : من أين تعرفني ؟ أجاب يسوع وقال له : قبل ان دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك » **(يو ١ : ٤٨)** .

يُظهر هنا المسيح انه كان حاضراً عندما كان فيلبس يتحاور مع نثنائيل.

فضلاً عن ذلك أنظر الى ثبات نثنائيل وجديّته. عندما مدحه السيّد لم يُؤخذ بالمديح ولم ينتفخ، بل على العكس أخذ يفتّش بدقّة أكبر عن الحقيقة. كان يفتّش كإنسان، أما يسوع فكان يجيبه كإله.

أجابه الربّ: «إني أعرفك من فوق»، وأضاف: «وأنت تحت التينة رأيتك»... لقد حدّد له يسوع الزمان والمكان والشجرة ممّا يؤكد رؤيته السابقة الإلهية.

لم يشهد له هكذا فقط، بل أيضاً علّمه بمدحه إياه دون توبيخ. من هنا آمن نثنائيل أنه المسيح من نبوءته (من سابق رؤيته له) ومن معرفة أفكاره بدقة...

أرأيتَ في كلامه كيف تمتلئ نفسه من الفرح وتعانق المسيح! أنتَ الذي كنا ننتظره، أنت الذي كنا نطلبه.

أرأيت كيف امتلأ من الدهش والعجب، كيف يرتكض من الفرح! هكذا يجب علينا نحن أيضاً أن نفرح إذا أهّلنا ان نتعرف الى ابن الله.

* * *

● «أجاب نثنائيل وقال له: يا معلّم أنت ابن الله أنت ملك إسرائيل. أجاب يسوع وقال له: هل آمنت لأني قلت لك إني رأيتك تحت التينة؟ سوف ترى أعظم من هذا» **(يو ١:٤٩-٥٠)**.

نحن بحاجة أيها الإخوة الأحباء الى اجتهاد كثير، الى سهر كبير لكي نفحص عمقَ **الكتب المقدّسة**. بدون تعب لا نستطيع ان ندرك معانيها، بل نحتاج الى درس دقيق وإلى انتباه متواصل لكي نقدر ان ندخل ولو قليلاً الى أسرارها المقدّسة. ولنا هنا مثلٌ في هذا المقطع الذي يحتاج الى انتباه ودرس كبيرين.

عندما قال نثنائيل : « أنت ابن الله » ، أجابه المسيح : « هل آمنتَ لأني قلت لك أني رأيتك تحت التينة ؟ سوف ترى أعظمَ من هذا » . لقد اعترف بطرس بالطريقة نفسها بعد عجائب كثيرة وتعليم كثير ، فاستحق تطوبياً من السيّد لأن الآب نفسه هو الذي كشف له ذلك . أمّا نثنائيل هنا فيعترف بابن الله قبل العجائب والتعليم دون أن يلقى من الرب يسوع أي تطويب بل أرشده الى ما هو أعظم . ما هو سبب هذا الاختلاف في موقف الرب ؟

لقد قال بطرس ونثنائيل الشيءَ نفسه لكن **بمعنيين مختلفين** : اعترف بطرس بابن الله إلهاً حقيقياً ، بينما اعترف به نثنائيل مجرّد إنسان[٦].

كيف عرفنا ذلك ؟ عرفناه ممّا ذُكر لاحقاً . عندما قال نثنائيل : « أنت ابن الله » ، أضاف : « أنت ملك إسرائيل » . ليس ابن الله ملكاً على إسرائيل فقط بل على المسكونة بأسرها ، وهذا يتّضح أيضاً ممّا يلي . لم يضف المسيح شيئاً على ما قاله بطرس بل اعتبر إيمانه كاملاً ، وقال سوف أبني كنيستي على صخرة اعترافك . أما هنا فلم يفعل شيئاً مشابهاً ، بل على العكس أشار الى ان اعتراف نثنائيل كان ينقصه الشيء الأهم .

● « وقال له : الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الانسان »[٧] **(يو ١ : ٥١)** .

أرأيت كيف أن يسوع يرفع نثنائيل تدريجياً من الأرض حتى لا يرى الربَّ مجرّد إنسان ! إذ كيف يمكن للذي تخدمه الملائكة الصاعدة والنازلة أن يكون

---

(٦) ابن الله بحسب المفهوم الديني الغامض الوارد في **مزمور ٧:٢** قارن مع يوحنا ٦٩:٦ حيث المفهوم أوضح.

(٧) الصورة تذكّرنا بسلّم يعقوب **(تكوين ١٢:٢٨)** والمقصود من التعبير عند يوحنا هو الصلة الحاصلة بين السماء والأرض بسبب مجيء الكلمة المتجسّد الذي أدخل مجد الله فيما بين الناس عن طريق الصليب (ستويانو)

مجرّدَ انسان ؟ لذلك قال « سوف ترى أهم من ذلك » . وما يقصده من هذا الكلام هو الآتي : « لقد بدا كلامي لك عظيماً يا نثنائيل . لذلك تعترف بي ملكاً على إسرائيل . ماذا تقول لو رأيت ملائكة الله تصعد وتنزل في سبيل خدمتي ؟ » . هذا لكي يقنعه بالاعتراف به سيّداً على الملائكة .

لأنه كما عند ابن الملك يأتي الخدّام ويذهبون من أجل خدمته ، كذلك حصل في أوان الصلب ، في أوان القيامة والصعود ، وأيضاً عند ولادته أخذت الملائكة تنشد « المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام » (لوقا ٢ : ١٤) ، وكذلك ظهر لمريم وليوسف . هنا ، كعادته ، يقول يسوع نبؤتين ، الواحدة ظاهرة والثانية مرتقبة يؤكّد عليها من خلال الأولى : من جهة يقول : « قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك » . وهذا حصل فعلاً . أمّا صعود الملائكة ونزولها على ابن البشر فهو ما سوف يحصل عند الصلب والقيامة والصعود . يجعل السامع يثق بالنبوءة الثانية استناداً الى الحقيقة الأولى ، لأن الذي اكتشف قدرة السيّد قبلاً ، عندما يسمع عن الآتي ، يتقبّل النبوءة المستقبلة بسهولة اكبر .

ماذا فعل نثنائيل ؟ لم يجب بشيء . لذلك ختم المسيح كلامه عند هذا الحدّ حتى يتأمل نثنائيل بأقوال السيّد أكثر . لم يرد ان يدفع كل شيء مرّة واحدة بل اكتفى بزرع الحبّ في أرض جيّدة آملاً ان يثمر بهدوء .

الأرثوذكسية والرهبنة

لرئيس أساقفة سيناء دميانوس
(تعريب الأب ميشال نجم)

١ - ما هي الأرثوذكسية ؟

الأرثوذكسية (orthodoxie = الرأي القويم) تعني العقيدة القويمة والإيمان القويم وتقليد الكنيسة القويم واللاهوت القويم . أساسها النسك . اما الكاكوذكسية (kakodoxie = الرأي غير القويم) فهي الهرطقة والضلال والتعليم المخالف . أساسها التخيل والتأمل الفكري .

مركز الأرثوذكسية والكاكوذكسية هو الله . لكن الله الذي ينادي به الهراطقة وذوو الاعتقاد المخالف غير موجود . انه خليقة التأمل الفكري لذلك يسمّي آباء الكنيسة اللاأرثوذكسيين « ملحدين » لا لأنهم لا يؤمنون بالله بل لأنهم يؤمنون بإله غير موجود . الله الذي يؤمن به الأرثوذكسيون موجود ، لأنه ظهر لإبراهيم وإسحق ويعقوب . وظهور الله هذا هو ظاهرة تاريخية تتحقّق لكل إنسان يسعى نحو الوصول الى مستوى من الحياة الروحية معيّن . عند ذلك نقول إنه اقتنى خبرة قوة الله الواهبة الصلاح ، التي تقود الانسان الى الخلاص . هذه الخبرة تُدعى تألّهاً (théosis) والذين يذوقونها هم المتألهون أو أصدقاء الله .

إن الذين اقتنوا خبرةَ التأله في التاريخ هم الأنبياء في العهد القديم والرسل في العهد الجديد وقدّيسو الكنيسة . من خبرتهم نتعلم نحن بعض الأمور عن كيفية وصول الإنسان إلى التأله اذا ما أراد ذلك .

ومع أن هذه الخبرة لا توصف ، فان المتألهين ينقلونها إلينا بكلام مخلوق وبأفكار مخلوقة ، شفهيّاً اذا كانوا علي قيد الحياة أو كتابة في مؤلفاتهم. وهذه المؤلفات هي الكتاب المقدس ومقررات المجامع المسكونية والمحلية ومؤلفات الآباء.

٢ – خبرة التأله : رؤية الله

يخبرنا المتألهون أو «أصدقاء الله» (philothéi) بأن التأله حالةٌ لا توصف ، فيها يصبح الإنسان ، بالنعمة ، إلهاً وكائناً غير مخلوق ، في هذه الحالة يحصل على إعلان مجد الله الذي هو ملكوته.

من خبرة أولئك المتألهين أو «أصدقاء الله» ندرك أننا لا نقدر أبداً أن نعرف جوهرَ الله أو أقانيمه. لكننا نستطيع أن نجاهد بالنسك وأن ننمو روحياً وأن نعرف بعض قوى الله التي هي غيرُ مخلوقة. وندرك كذلك أن قوى المخلوقات هي مخلوقة. والمتألهون يخبروننا بأنه لا يوجد أي تشابه بين المخلوق وغير المخلوق ، وبأننا نستطيع أن نميّز قوى الشيطان المخلوقة عن قوى الله غير المخلوقة.

اللاهوت الأرثوذكسي هو التمييز الصحيح بين القوى المخلوقة وبين قوى الله غير المخلوقة ، إذ إن الخلط بينهما هرطقة.

المشكلة التي تبرز هنا هي كيف يستطيع الانسان أن يعرف متى تكون إحدى القوى إلهية ومتى تكون شيطانية. هذا التمييز ذو أهمية كبرى في اللاهوت الأرثوذكسي. إن مقدرة التمييز بين قوى الشيطان وقوى الله تدعى في الكتاب والتقليد «**موهبة التمييز بين الأرواح**». هذه الموهبة التي يستطيع الانسان بواسطتها أن يميّز بين قوى الله وقوى الشيطان هي جوهر اللاهوت الارثوذكسي.

إن من يستطيع أن يميّز بين الأرواح هو اللاهوتي الأرثوذكسي والأب الروحي. هذه هي الارثوذكسية.

كي يستطيع المرء أن يكتسب « موهبة تمييز الأرواح » عليه أن يصل الى رؤية الله أي الى استنارة العقل الأعلى (نوس).

أهمية اكتساب هذه الموهبة كبيرة، اذ كيف يستطيع المرء أن يكون أباً روحياً دون أن يقدر على التمييز بين قوى الله وأساليب الشيطان؟ اذا ما وصل الأب الروحي الى حالة الثاوريّا(رؤية الله) يكون التمييز عنده سهلاً جداً لأنه قد حصل على مقاييس معصومة عن الخطأ، على أساسها يعرف بدقة [1] متى يفعل الشيطان ومتى يفعل الله.

لكن اذا ما تظاهر أحدنا انه أب روحي ولاهوتي ارثوذكسي، ولم يكن قد توصل الى رؤية الله، لا بل انه لا يعرف بوجود هذه الرؤية والاستنارة، فمن الطبيعي أن يخلط بين قوى الله غير المخلوقة وبين القوى المخلوقة، وأن ينسب الى الله قوى الشيطان أو العكس بالعكس. **هذه هي الهرطقة**. الهرطقة هي عدم القدرة على التمييز الصحيح بين القوى المخلوقة وبين قوى الله غير المخلوقة، وهي نتيجة اسوداد العقل الأعلى. فاذا ما استنار العقل الأعلى ووصل إلى رؤية الله، فانه عند ذلك سيقتني « موهبة تمييز الأرواح »، وبالتالي يعرف متى يفعل الله ومتى يفعل الشيطان. لكن اذا كان مظلماً، فإن الانسان يتكلّم على الإلهيّات من مخيلته من خلال التأمل الذهني. لذلك شدّدنا في البداية على أن الكاكوذكسية التي هي الهرطقة والضلال تقوم على التأمل الذهني.

فلنعطِ مثلاً، وهو هرطقة آريوس التي أتعبت الكنيسة جداً. آريوس لم يصل الى رؤية الله. وهذا واضح من تعليمه بأن أنبياء العهد القديم، عندما رأوا ملاك الرب **والملاك المشير العظيم الذي هو المسيح** قد رأوا ملاكاً مخلوقاً. هذه هي هرطقة آريوس. الآباء قالوا إن **الأنبياء رأوا الملاكَ غير المخلوق** والكلمة غير المخلوق. قالوا بهذا على أساس الكتاب والتقليد وانطلاقاً من خبرتهم الخاصة.

---

(١) بدقة = mé akrivia avec précision

فالذين رأوا الله رأوا الكلمة ومجدَه غير المخلوق ، وعرفوا جيّداً أن الكلمة مساوٍ للآب في الجوهر . إن خبرة الآباء الشخصية هذه التي تتماثل مع خبرة الرسل والأنبياء كانت مقياس الحكم على الآريوسية .

الأمر ذاته حصل مع إفنوميوس الذي لم يقبل بالتمييز بين جوهر الله وقواه . احدى الحجج التي لجأ اليها غريغوريوس اللاهوتي لمجابهة الإفنوميين كانت خبرته الشخصية ، اذ أكد انه عندما كان يرى الله لم ير جوهره انما قوته غير المخلوقة . هذا ما فعله الآباء الآثوسيّون ضد برلعام حينما احتكموا الى « خبرتهم الطويلة » اي خبرة رؤية الله . وعلى هذه القاعدة قاومت الكنيسةُ محاربي الروح القدس والهراطقة الأخرين .

٣ – العقل الأعلى (نوس) :

قبل التكلم على مراحل التألّه علينا أن نتحدّث عن عمل العقل الأعلى . بالخطيئة الجديّة سقط الإنسان . وهذا السقوط الذي عيّدت له الكنيسة في الأحد الماضي كان في اسوداد العقل الأعلى[٢] . وكما يقول الآباء حصل تشويش بين وظيفة العقل الأعلى وبين عمل الذهن . فالعقل الأعلى الذي هو قوة من قوى النفس يختلف عن الذهن الذي هو أيضاً قوة من قوى النفس . العقل الأعلى يوجد في القلب ، امّا الذهن ففي الدماغ . هدف الأخير هو في معرفة الإنسان لما يحيط به وفي التكيّف مع هذا المحيط . بالذهن يعرف الانسان محيطه ويفكّر ويستنتج ، لكن معرفة العقل الأعلى تكون في الانشغال برؤية الله أي في ذكر الله المستمرّ .

الانسان الذي ما زال في حالة السقوط لا يعرف بوجود عقل أعلى – باستثناء الهندوسيين – لأنه لا يميّزه عن الذهن الذي له قوى مختلفة . إن هدف

(٢) اي أن الانسان لم يعد يرى نورَ الله بوضوح لأن فكره أصبح مظلماً، مغشى.

وجود العقل الأعلى هو في ان يكون ، على الأقل ، مستنيراً كي يستطيع أن يصل الى التأله ، عندما يريد الله .

الاستنارة هي المرحلة الثانية من مراحل الكمال الثلاث : **التطهّر والاستنارة والتأله**. المرحلتان الأخيرتان تسمّيان رؤية الله .

٤ – مراحل الكمال :

أ – المرحلة الأولى هي التطهّر .

يستطيع الانسان أن يصل تحت اشراف الأب الروحي الى نقاء العقل الأعلى أي إلى طرح تأثيرات الذهن والأهواء ومحيطه ، كي « يستقبل » **صلاةَ يسوع العقلية أي ذكر الله المستمر** الذي يفعله الروح القدس .

في هذه المرحلة يتجنّب الانسانُ الخطيئة بجهاده ضدّها ، لكن في مرحلة الاستنارة الخطيئة نفسها تتجنّب الانسان .

يقول المسيح : «إن معرفة أسرار ملكوت الله أعطيت بالأمثال » للذين ما يزالون في مرحلة التطهّر . فالكتاب مليء بالأمثال وخصوصاً الأناجيل الثلاثة الأولى التي كان يتعلّمها الموعوظون قبل المعمودية في الفصح . لذلك تقرأ هذه الأناجيل حتى اليوم على مدار السنة الطقسية إلَّا في فترة البندكستاري حين يقرأ إنجيل يوحنا الموجّه الى المعمّدين حديثاً .

إن الذين يمرّون بمرحلة تطهّر العقل الأعلى يتعلّمون بالأمثال عن ملكوت السماوات لأنهم لم يتطهّروا بعد وبالتالي ليسوا قادرين على الوصول الى قدرة مجد الله .

ب – المرحلة الثانية هي استنارة العقل الأعلى .

يصل الإنسان الى هذه المرحلة بعد تطهّر العقل الأعلى وبعد اقتناء ذكر الرب الدائم أي الصلاة العقلية التي هي هبة من الروح القدس . تبدأ الصلاة في

الذهن ، أي ان الانسان يصلي أولاً في ذهنه مردّداً « **أيها الربّ يسوع المسيح يا ابنَ الله ارحمني انا الخاطئ** » وذلك بمساعدة المسبحة .

بعد ان يتطهّر الأنسان من التخيّلات والخرافات ومن كل فكرة فيه تنتقل الصلاة من الدماغ الى القلب ، فيصلّي العقل الأعلى غير متأثر بالذهن أو بالأهواء أو بما يحيط بالإنسان . هكذا يصبح العقل الأعلى ذاتي الحركة ومن ثم يؤثر بدوره على الذهن وعلى الأهواء وعلى محيطه ، فيصبح الانسان « شمعةً مضيئة » ونوراً للناس . عندها يصبح كليَّ الاستقلال وحرًّا بالواقع . هذه هي استنارة العقل الأعلى . وفي هذه المرحلة يدرك الانسان أسرار ملكوت الله مباشرة وليس بالأمثال .

ج - مرحلة التألّه :

التألّه هو المرحلة الأخيرة من مراحل الكمال . وقد تكون مجرّد رؤية واحدة أو رؤية مستمرّة . قد تدوم لحظة أو لحظات أو أكثر . عندما تبدأ مرحلة التأله تتوقف صلاة يسوع ، لأن رؤية الله تحتلّ مكان الصلاة . وعندما تتوقّف الرؤية تعود الصلاة ، لأن حالة التأله في الحياة الحاضرة ليست دائمة .

هذه الحالة لا يُستطاع وصفها ، اذ فيها تتوقّف الوظائف الطبيعية عند الإنسان كما حدث لموسى رائي الله (théoptis) في جبل سيناء ، الذي عاين الله أربعين يوماً وأربعين ليلة[٣] . لكن في هذه الحالة يحتفظ الانسان بأحاسيسه .

في التألّه يكشف الله عن قواه غير المخلوقة ، لكنه يبقى « سراً » . ولكي يستطيع الانسان احتمال هذا الاعلان الإلهي يصير إلهاً بالنعمة . لكن هذا هو كمال الأنسان وقداسته . كل الذين وصلوا الى التأله ، أي **المتألهون أو أصدقاء الله ، هم القدّيسون** . كما أن نتائج هذه الخبرة تظلّ فيهم بعد موتهم ، إذ تبقى **في رفاتهم** التي تُنبع نعمة وتُخرج رائحة عطرة وتفعل العجائب .

(٣) خروج ٣٤:٢٨

في هذه المرحلة يرى الانسان « أسرارَ ملكوت السماوات » ، وهكذا يشارك في خبرة العنصرة ، وفقاً لدرجة التأله التي وصل اليها . أي أن أسرار الملكوت تُكشف للمتألهين كما كُشفت للرسل في يوم الخمسين ، هؤلاء الذين تحوّلوا من صيادين غير مثقفين الى لاهوتيّين كليّي الحكمة . كل متأله يُصبح لاهوتياً وقوياً ومعلّماً للكنيسة وأباً روحياً قادراً على توجيه أبنائه الروحيين توجيهاً صحيحاً . هذا هو المسيحي الأرثوذكسي .

هنا تظهر عظمة **التواضع** . اذ على الرغم من وصول المؤمن الى التألّه أي الى الكمال ، يحسّ انه خاطئ . فالتواضع هو الذي يجعل منه كائناً مغايراً للأرواح الشريرة ، لأن بعلزبول سقط الى أعماق الضياع لتفكيره المتعالي الذي لم يستطع أن يحاربه . لذلك كان التواضع زينة الرسل والقدّيسين .

التواضع كان سبب عدم اختيار الرسل لبرسابا رسولاً مثلهم ، وهو الذي جعل آباء بستان الرهبان متردّدين في الإفصاح عن آرائهم وفي شفاء المرضى وفي إظهار مواهبهم ، إذ إن التواضع والقداسة متماثلان من حيث المعنى .

الإيمان الأرثوذكسي يأتي من خبرة المتألهين ، أي من خبرة « أصدقاء الله » الذين اقتنوا ، كما قلنا ، خبرة التمييز بين الأرواح ، والذين أصبحوا الآباء الروحيين . لذا فان طاعة عقائد الكنيسة أمرٌ مهم جداً لحفظ الإيمان القويم وللتقدّم الروحي الذي به نقتني خبرةَ صدق العقائد .

٥ – الطريقة التي تنقلنا من حالة التطهّر الى رؤية الله :

الطريقة التي تنقل الانسان من حالة التطهّر الى استنارة العقل الأعلى ومن الاستنارة الى التأله هي **النسك**[٤] . إن الطريقة النسكية الصحيحة تحفظ في اطار اللاهوت الارثوذكسي والعقيدة الأرثوذكسية . وهذا الهدف يخدم العقيدة . فإن خبرة التأله هي التي تثبّت وتوطّد العقيدة الصحيحة والتعليم الصحيح والإيمان

(٤) النسك ترجمة لكلمة askisis التي تعني تروّض، تمرّن، تدرّب.

الصحيح . الطريقة النسكية بسيطة جداً لأن النسك يتم بالصوم والصلاة والابتعاد عن كل شهوة دنسة ، وبالفقر من أجل **استئصال محبّة الذات** التي هي أصل كل الخطايا .

لكن هذا النسك يتم تحت إشراف أب روحي . ولقد تكلّمنا على الأب الروحي الذي يتحلّى بموهبة تمييز الأرواح والذي يقدر على توجيه أبنائه الروحيين توجيهاً صحيحاً للمرور في مراحل الكمال الثلاث . ففي الطريقة النسكية يحتلّ الأب الروحي مكانة لا يُستغنى عنها ، لانه من المستحيل ان ينقي المرء عقله الأعلى وأن يمارس الصلاة العقلية دون أب روحي كهذا يستطيع مساعدته على الهرب من حيل الشيطان . وهذا لا يتم اذا لم يعرف الأب الروحي متى يفعل الشيطان ومتى يفعل الله . اذا كان الأب الروحي غيرَ قادر على هذا التمييز فإنه ليس بأب روحيّ على الإطلاق .

هدف النسك إذاً هو قيادة الانسان الى الاستنارة والتأله . أمّا الهرطقة فتبعد الإنسان عن التطهّر ورؤية الله ، ولذلك هي خطرة . الهرطقة تتبع طريقة نسكية خاطئة ، كما أنها لا تقود الى استنارة العقل الأعلى ، لأن الأرثوذكسية واستنارة العقل الأعلى تتماثلان .

٦ - الرهبنة :

في الكنيسة الأولى مراحل الكمال هذه كانت موجودة في كل رعية تقريباً ، لأن المسيحيين الأوّلين عرفوا جيداً الطريقة التي كان عليهم أن يستخدموها للوصول الى الكمال والتأله . فالحياة النسكية كانت قانوناً لحياة أولئك الذين كانوا يعيشون تحت إشراف أب روحيّ هو الأسقف . والكنيسة الأولى كانت منتبهة جداً إلى تنصيب أساقفة بلغوا الى رؤية الله واقتنوا الصلاة العقلية أو القلبية .

لكن عندما انتشرت المسيحية لم يعد من السهولة دائماً إيجاد أساقفة بلغوا

الى استنارة العقل الأعلى ، لذلك اضطرّت الكنيسة الى سيامة أساقفة صالحين دون أن يتحلّوا بالصلاة العقلية . فلم يكونوا آباء روحيين ، لأنهم لم يقتنوا موهبةَ تمييز الأرواح . لذلك عمد المسيحيون إلى البحث عن آباء روحيين في الأديرة .

وهكذا وجد النسك له ملجأ في الأديرة التي كان يقودها أب روحي قادر على التمييز بين الأرواح . فكان الناس يوجّهون نحو طريق التأله من الأديرة . بالنسك يصل الإنسان الى التأله فالطروبرية تقول « بالأصوام والأسهار والصلوات حصلت على المواهب السماوية » . وبما ان الرهبان يجعلون الجهادَ هدفاً وحيداً لحياتهم . لذلك تأتي أكثرية القديسين من صفوفهم .

وهكذا كان الكهنة والرهبان القواد الروحيين لشعب الله والآباء الروحيين له . لذلك كان العالم يتراكض نحو الأديرة . ولذلك حفظ الرهبان البسطاء مسائل الإيمان الأرثوذكسي أكثر من اللاهوتيين الكبار ، لأنهم **بالصوم والصلاة والتواضع والإمساك انتصروا على الشيطان**. من هنا نقول إن حصن الأرثوذكسية هو الدير والصحراء وليس الجامعات التي تخرّج حملةَ الشهادات ولا تخرّج لاهوتيين حقيقيين .

اللاهوتي هو من يملك عقلاً (نوس) مستنيراً ، وليس من يملك ذهناً مستنيراً قد يملكه حملة الشهادات . لأجل ذلك فضّل آباء الكنيسة الدرس في جامعات الصحراء قرب آباء روحيين مستنيرين ، وليس في جامعات حكمة عصرنا هذا .

٧ – الرهبنة حافظة الأرثوذكسية :

بعد هذا كلّه يفكّر المرء فيما اذا كان القديس يوستينوس الشهيد محقاً في تساؤله عن مقدار استمرار وجود المسيحية ، في حال إقصاء « أصدقاء الله » والمتألهين والآباء الروحيين .

اليوم وفي كل عصر يحقّق الرهبان هذا الأمر ، اذ يحاولون الحفاظ على

الأرثوذكسية ويسعون الى أن يصبحوا بنسكهم الشديد «أصدقاء الله» كي يكونوا آباء الكنيسة الروحيين وكي يوطّدوا بخبرتهم الإيمان الأرثوذكسي.

ان جهل العالم اليوم لأهمية الرهبنة لا قيمة له أبداً، لأنه لا يستطيع أن يفهمها ولا يريد أن يفهمها، إذ ان عقله الأعلى مظلم. كلّما غرق العالم في ظلمة الخطيئة انفصلت النفوس الطاهرة عن العالم لأنها بمحبتها لله، كما يقول السلّمي، ستترك العالم وستلتجئ الى الدير، لتعيش قرب أب روحي ذي خبرة، قادر على إيصالها الى الفضيلة والقداسة.

كنيستنا الأرثوذكسية بحاجة اليوم أكثر من أي وقت مضى الى رهبان كأولئك الرهبان. فالمسكونة تحتاج الى صلواتهم كي تتشدّد. والأرثوذكسية التي عليها أن تحارب الأعداء الكثيرين ترى في وجه رهبانها جيشَها المكرّس الذي كان يحفظها دائماً في كل المعارك. اذ بمساعدة الرهبان حفظت بدقة إيمانها المسلّم إليها، وستحفظه على الدوام، لأنه يقف في صفوفها الأولى حرّاس متيقظون وآلاف من النفوس المختارة وملائكة متجسدون أرضيّون مستعدّون للتضحية من أجل عظمة الأرثوذكسية.

الأحد الثاني من الصوم

شفاء المخلّع في كفرناحوم

(مرقس ٢: ١-١٢)

المقاطع الموازية : متى ٩: ١-٨
لوقا ٥: ١٧-٢٦

عظة للقديس غريغوريوس بالاماس العجائبي

• مقدّمة عن الصوم

أبدأ عظتي لمحبتكم بقول سيّدنا وعنوان الكرازة الانجيلية التالي: « توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات» **متى ٤ :١٧**. لم يقترب الملكوت فقط بل هو موجود في داخلكم « ملكوت الله في داخلكم » (**لوقا ١٧ : ٢١**). هذا كلام السيّد أيضاً. لا يوجد فقط في ما بينكم بل سوف يأتي بعد قليل بطريقة جليّة جداً لكي يوطّد كل مبدأ وسلطان وقوّة فقط عند الذين يعيشون طبقاً لوصايا الله، الذين أمضوا هذه الحياة بطريقة مُرضية له. بما أن ملكوت الله قد أتى، وهو موجود في ما بينكم وسوف يأتي بعد قليل، فلنجعلْ أنفسنا أهلاً له عن طريق أعمال التوبة. لنضغط على أنفسنا واضعين حداً للأعمال الشريرة ولعاداتنا السيئة، لأن ملكوت السماوات يتطلّب اغتصاباً والغاصبون يأخذونه عنوةً ويتمسكون به (**متى ١١ :١٢**). لنتشبه بصبر آبائنا المتوشحين بالله بتواضعهم

وبإيمانهم ، « هؤلاء الذين كلموكم بكلمة الله . أنظروا الى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم » (**عبرا ١١ : ٧**) .

لنُمت أعضاءنا الأرضية ، الزنى ، عدم الطهارة ، كل رغبة شريرة وكل طمع خصوصاً في هذه الأيام المقدّسة ، زمن الصوم الأربعيني المقدّس . لذلك سبق لنعمة الروح القدس ان كلمتنا في الآحاد السابقة عن مجيء الرب الثاني الرهيب[١] ، وعن طرد آدم من الفردوس[٢] وعن الإيمان الكاذب والإيمان القويم [٣] ، حتى إننا خوفاً من الدينونة الآتية ومن الحزن لفقدان الفردوس نبقى ثابتين في إيماننا ، نضبط أنفسنا لكي لا تستسلم الى الشراهة وتفتح الأبواب أمام الأهواء كلّها عن طريق البطن الذي لا يشبع فنسير بكلّيتنا الى الهلاك على الطريق الواسع طريق اللّذات . لنحبّ إذاً الطريق الضيّق الذي يقود الى الحياة الأبدية (**متى ٧ : ١٣ - ١٤**) والذي يبدأ بالصوم كخطوة أولى ، ولنُمضِ بثبات ومواظبة أيام الصوم الأربعيني المقدّس .

لكل شيء وقت يقول **سفر الجامعة ٣ : ١ - ١٧** . ولذلك لا بدّ من وقت مناسب لعمل الفضيلة . والوقت المناسب هو زمن الصوم الأربعيني المقدّس . ان كانت حياة الانسان كلّها وقتاً مناسباً لإنجاز خلاصنا ، فكم يكون بالأحرى نافعاً زمن الصوم هذا ؟ **المسيح عنصر خلاصنا** . ابتدأ عمله بالصوم ، فحارب في هذه المرحلة الشيطان ، وأخزى حبال ذاك الذي يخلق الشرور كلّها بعدما حاول هذا الأخير ان يجرّب السيّد بشتى الطرق . فإنه كما ان سلطان البطن يدمّر الفضائل كلّها فيصبح الإنسان من جرّائها عبداً للأهواء المختلفة ، كذلك بالطريقة نفسها يطهّرنا الإمساك من الأهواء ، من كل شراهة مفسدة ، ويولّد فينا التحرّرَ من الأهواء .

---

(١) في احد الدينونة، أحد مرفع اللحم

(٢) في أحد الغفران، أحد مرفع الجبن

(٣) في الاحد الاول من الصوم، أحد الأرثوذكسية.

ان كانت الشراهة تولّد فينا الأهواء التي ليست فينا أصلاً ، وتزيدها قوّة وتثبتها ، فإن الصوم يخفف الأهواء الى أن يقضي عليها تماماً . **الصوم والإمساك عن الأهواء** مترابطان فيما بينهما بالرغم من ان الفضيلة الأخيرة تفوق الأولى في بعض الأحيان عند الذين يستخدمونها بحكمة . فلا نفضّلنّ الواحدة على الأخرى ، ولنحافظ من جهة على الصوم خصوصاً في الأيام الخمسة الأولى من الأسبوع . أمّا في نهاري السبت والأحد فلنشدد اكثر على الإمساك عن الأهواء ، حتى اننا اذا تصرّفنا هكذا بحكمة نصغي بفهم إلى الأقوال الإنجيلية التي تليت علينا اليوم حول موضوع شفاء المخلّع ، هذا الشفاء الحاصل ليس في أورشليم بل في كفرناحوم .

* * *

● « في ذلك الزمان ، يقول مرقس الإلهيّ ، دخل يسوع كفرناحوم بعد أيام » **(مر ٢ : ١)** .

يقول متى عن كفرناحوم انها مدينة الرب الخاصة . وعندما يروي حادثة المخلّع ، يقول « جاء يسوع الى مدينته » (متى ٩: ١) لأنه بعد أن اعتمد في نهر الاردن على يد يوحنا المعمدان ونزل عليه الروح القدس ، قاده الروح الى البريَّة حيث جرّبه الشيطان ، وبعد غلبته على الشيطان رجع الى نواحي الأردن وجال في المدن معلّماً ، يشهد له يوحنا بطرق عديدة انه المسيا المنتظر الى أن سُجن يوحنا على يد هيرودس . عندئذ يقول متى : « انصرف يسوع الى الجليل وترك الناصرة وأتى فسكن في كفرناحوم التي عند البحر » (متى ٤ :١٢- ١٣) .

كان الرب يخرج إذاً من كفرناحوم الى البريّة ليصلّي . في القرى المجاورة كان يكرز بالانجيل ثم يعود الى المدينة . لذلك سمّاها متى مدينته . أمّا مرقس فيقول : « بعد أيام قليلة دخل يسوع كفرناحوم » .

● « فسُمع انه في بيت . وللوقت اجتمع كثيرون حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب . وكان يخاطبهم بالكلمة » (**مر ٢ :١-٢**) .

كان يقيم في المدينة وقتاً طويلاً فأصبح معروفاً من الكثيرين بأقواله وعجائبه . لذلك كان يرغب الناس كثيراً في لقائه . عندما سمعوا انه موجود من جديد في أحد البيوت ، تجمّع الناس في ذلك البيت وما حوله . يقول لوقا (٥ :١٧) ان المجتمعين جاؤوا من المدينة كلّها ، ومن بينهم كتبة وفريسيون ومعلّمو الناموس ، « **وكان يخاطبهم بالكلمة** » ، لأن هذا كان يشكّل عمله الرئيسي . لقد أوضح ذلك عن طريق المثل : « خرج الزارع ليزرع » (لوقا ٨ :٥) ، **ليزرع كلمة التعليم** ، لأني أتيت ، كما يقول ، لأدعو الخطأة الى التوبة (متى ٩ :١٣) ، والدعوة الى التوبة تتم بكلام التعليم . أوضح بولس ذلك أيضاً بقوله : « الإيمان من السماع والسماع بكلمة الله » (**رومية ١٠ :١٧**) .

إذ كان الرب يكرز للجميع دون تمييز **بكلمة التوبة** ، بانجيل الخلاص ، بكلمات الحياة الأبدية ، كان الجميع يستمعون اليه لكن لم يطع الجميع كلامه ، لأننا نُسَرّ عادة بالسماع بالرؤيا لكننا لا نحبّ كلّنا الفضيلة بالمقدار نفسه . في رغبتنا ان نتعلّم قدر المستطاع ونتعرّف أيضاً الى الطريقة التي من شأنها ان توفّر خلاصنا . لذلك كان الكثيرون لا يكتفون باتباع كرازة الكلمة الإلهية بل يحلّلون كل كلمة طبقاً لفهمهم ويفتّشون عن براهين صحيحة أو غير صحيحة . لكن تحويل الكلام الى أفعال أو إظهار إيمان نافع من كلام الكرازة يتطلّب حكماً قويماً **ونيّة صالحة** لا تتوفّر بسهولة خاصة عند أولئك الذين يبرّرون أنفسهم ، ويعتقدون انهم عارفون بكل شيء . مثل هؤلاء كان الكتبة والفرّيسيون اليهود الذين كانوا يستمعون الى كلام السيّد ويشاهدون العجائب لكنهم يجدّفون بدل أن يمدحوا ذاك الذي كان يحسن اليهم بالأقوال وبالأفعال .

عندما كان الربّ يعلّم ، كان الكلّ يستمع ، أو الأغلبية على الأقلّ ، بآذان صاغية ويتقبّلون كلمات النعمة الخارجة من فمه .

● « وجاؤوا اليه مقدّمين مفلوجاً يحمله أربعة . وإذ لم يقدروا ان يقتربوا اليه من أجل الجمع ، كشفوا السقف حيث كان ، وبعدما نقبوه دلّوا السرير الذي كان المفلوج مضطجعاً عليه » **(مر ٢:٣-٤)** .

أتوا اليه حاملين مخلعاً يرفعه أربعة رجال ، وبسبب الجمع الكثير لم يستطيعوا أن يقتربوا اليه ، فكشفوا سقف البيت الذي كان فيه وبعدما فتحوا طاقة دلّوا السرير الذي كان المخلّع مستلقياً عليه .

من الممكن الاعتقاد أن العجيبة حصلت بسبب إيمان اولئك الذين كانوا يحملون المخلّع ، وأن الرب عندما رأى إيمانهم شفى المريض . لكن من جهتي أعتقد أن الأمر لم يكن كذلك . طبعاً عند شفاء الرب لابن رئيس المجمع لم يطلب منه إيماناً ، ولا طلب إيماناً من ابنة الكنعانية او ابنة يائير ، بل اكتفى بايمان اولئك الذين جاؤوا بالمريض .

من بين هؤلاء ، كانت ابنة يائير قد ماتت ، وابنة الكنعانية كانت فاقدة رشدها ، امّا ابن رئيس المجمع فلم يكن حاضراً . لكن المخلّع هنا حاضر وبكامل عقله . جسده فقط كان مشلولاً . لذلك أعتقد وأرجّح ان ايمان المريض نفسه جعل الآخرين يثقون بالرب ومن ضمنهم أولئك الذين كانوا حاملين المريض وآتين به بحماسة ليقتربوا من الرب . طبعاً لم يفعلوا ذلك رغماً عنهم ، ولم يغيّر ثقل المشلول فكرهم ، بل على العكس تجاوزوا العقبات كلّها . أمّا الفريسيون فقد ابتعدوا عن الربّ بسبب ركضهم وراء المجد الذي من الناس . لذلك كان يقول لهم : « كيف تقدرون ان تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض ، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه » (يوحنا ٥:٤٤) .

نرى آخرين تمنعهم من المجيء الى الرب حقولهم أو زواجهم أو اهتمامات معيشية أخرى . كل ذلك لم يرد على فكر المريض بسبب شلل جسده . **لذلك بالنسبة لبعض الخطأة هناك حالات يكون فيها المرض أنفع من الصحة** فيضحي

المرض سبباً لخلاصهم . المرض مثلاً يليّن الأهواء الطبيعية الجانحة الى الشر ، يداوي الخطيئة عن طريق الضعف الجسدي فيجعل المريض قابلاً أوّلاً شفاء النفس قبل الشفاء الجسدي خصوصاً عندما يؤمن بأن الشفاء يأتي من الله . هذا يجعله يصبر بشجاعة أكبر على المرض ويلجأ بإيمان الى الله ويقوم بأعمال على قدر استطاعته طالباً غفران خطاياه .

هذا ما عبّر عنه المشلول عن طريق أعماله وعلى قدر استطاعته . والرب بأقواله وأعماله أكّد هذا الأمر نفسه بالرغم من تجديف الفريسيين وتذمّرهم عليه لأنهم لم يستطيعوا ان يفهموا كل ذلك .

● « عندما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج : يا بنيّ مغفورة لك خطاياك » **(مر ٢ : ٥)** .

هنا يقصد إيمان الحاملين وإيمان المريض معاً . قال : يا بنيّ مغفورة لك خطاياك . قولٌ عجيبٌ يسمعه المخلّع ! لقد دُعيَ ابناً من قبل الله فأصبح ابناً للآب السماوي ملتصقاً بالله المنزّه عن الخطيئة ، وأصبح هو أيضاً بلا خطيئة بسبب غفران خطاياه . قبْل أن يتجدّد جسده اقتبل تجدّد نفسه على يد ذاك الذي يعرف ان النفس عندما تسقط في شباك الخطيئة تحصد الأمراض والموت حسب حكم الله العادل .

● « وكان قوم من الكتبة هناك جالسين يفكّرون في قلوبهم : لماذا يتكلّم هذا هكذا بتجاديف ؟ من يقدر أن يغفر خطايا الّا الله وحده ؟ » .

فللوقت شعر يسوع بروحه أنهم يفكّرون هكذا في أنفسهم فقال لهم : لماذا تفكّرون بهذا في قلوبكم ؟ أيّما أيسر أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك أم ان يقال قم واحمل سريرك وامشِ » **(مر ٢ : ٦-٧ و ٨-٩)** .

لقد علم الرب ما في قلوبهم من أفكار خفية ولذلك قال لهم « لماذا تفكّرون بهذا ؟ » . كان الكتبة يعتقدون أنّ الربّ غير قادر أن يشفي المخلّع فلجأ الى ما هو

غير ظاهر اي الى غفران الخطايا ، الأمر الذي يمكن أن يعبّر عنه بكلمات وأن يقوله اي شخص عادي . وبما ان الرب قال ذلك بلهجة الأمر والسلطان اعتبروه تجديفاً .

● ولذلك قال لهم السيّد : « لكن لكي تعلموا أن لابن الانسان سلطاناً على الأرض ان يغفر الخطايا ، قال للمفلوج : لك أقول قم واحمل سريرك واذهب الى بيتك » **(مر ٢ : ١٠ - ١١)** .

لو كنت أقصد أقوالاً فارغة لا نتيجة عملية لها ، لكنت فصلت بين غفران الخطايا وإقامة المخلّع . لقد عملت هكذا وبهذه الطريقة حتى تروا ان كلمتي لا تبقى بدون نتيجة . لم ألجأ الى غفران الخطايا لأني غير قادر على الشفاء الجسدي كما تعتقدون ، بل أملك سلطاناً إلهياً على الأرض كابنٍ مساوٍ للآب السماوي في الجوهر بالرغم من صيرورتي مساوياً لكم في الجسد انتم يا ناكري النعمة . لذلك قال للمخلّع : « لك أقول قم احمل سريرك على كتفك واذهب الى بيتك » . أقوال الرب هذه العجائبية مناقضة لتفكير الكتبة لكنها تتّفق مع كلامهم ، فهي تبرهن على ما قاله الكتبة ان لا أحد من الناس قادر على غفران الخطايا سوى الله وحده[٤] .

لكن الذي ظهر كذباً وجهلاً من الكتبة هو أنهم اعتقدوا أن المسيح إنسان عادي وليس إلهاً كليّ القدرة ، إذ إن هذا الذي لم يسمع به أحد يجري الآن . فيظهر الرب إلهاً وإنساناً معاً ، ذا طبيعتين وفعلين ، يتكلم كإنسان ، ويحقق كل ما شاء بالقول وفعل الأمر كإله . ويظهر عن طريق أعماله انه هو الذي بدأ كل شيء منذ البدء كما يقول المزمور : « قال فصُنعَتْ وأمر فخُلِقَتْ » (مز ٣٢ : ٩) . لذلك نجد هنا القول مقروناً بالفعل .

---

(٤) من جهة أولى، هذه دلالة على ألوهية يسوع المسيح بشكل واضح، ومن جهة أخرى، هذا اعتراف من قبل الكتبة اليهود من حيث لم يدروا بالوهية المسيح.

● « فقام للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل حتى بُهِت الجميع ومجّدوا الله قائلين : ما رأينا مثل هذا قط » **(مر ٢ : ١٢)** .

غفران الخطايا علانيةً بالكلام يقوم به الناس الذين أخطأنا اليهم . امّا الشفاء من المرض ومن الخطايا معاً بقوّة الكلمة فهو من الله . لذا يشدّد الإنجيلي على أن الحاضرين بُهتوا ومجّدوا الله الذي صنع المعجزة وهو الذي يصنع دائماً أعمالاً عجائبية مجيدة لا تُحصى ، فقالوا : « ما رأينا مثل هذا قط » .

أعطى أولئك الناس مجداً للربّ بسبب كلماته ، وشهدوا أن العجيبة كانت أعظم من كل ما سبقها ، فقالوا « ما رأينا مثل هذا قط » . أمّا نحن فلا نستطيع أن نقول شيئاً مشابهاً اليوم لأننا رأينا أشياء كثيرة أعظم من هذه المعجزة ليس من قبل المسيح فقط بل أيضاً من قبل تلاميذه ومن قبل الآباء الإلهيين اللاحقين ممّا فعلوه من معجزات بمجرّد استدعاء اسم الربّ . نحن بدورنا اذاً ، أيها الأخوة ، فلنمجده الآن بالأعمال متّخذين هذه العجيبة أنموذجاً لنا .

إن الذي يستسلم للملذّات هو **مفلوج نفسياً**[٥] قابع على سرير محبّة اللذّة ، معتقد بأنه هكذا يكون في راحة جسدية . لكن عند اقتناعه بالنصائح الانجيلية وعند اعترافه يظفر على خطاياه ، وهكذا يداوي **شلل النفس** . عندها يُحمل الى الرب من قبل أربعة ، على مثال المخلّع ، أعني : – دينونته الخاصة لنفسه ،

– اعترافه بخطاياه السابقة ،

– وعده بالابتعاد في المستقبل عن كل شرّ ،

– وابتهاله الى الله الرحيم .

ولكن هذه الأربعة لا تستطيع أن تقرّبنا إلى الله إن لم ننبش السقف مزيلين

(٥) « إشفِ يا ربُّ نفسي المخلّعة بالخطايا الكثيرة»

القرميد والتراب والمواد الأخرى . السقف بالنسبة لنا هو القسم العاقل من النفس لأنه أسمى ما يوجد فيها . هذا القسم فيه مواد كثيرة تغطّيه ، وله صلة وثيقة بالأرضيات وبالأهواء المختلفة . عندما تنكشف هذه المواد وتزول عن طريق العناصر الأربعة المذكورة أعلاه ، عندها نستطيع بالفعل أن نتوجه الى الربّ أي ان نتواضع في الحقيقة ، ان نسجد ونقترب إلى الرب ونطلب الحصول منه على الشفاء .

لكن متى تحصل مثل أعمال التوبة هذه ؟ عندما جاء يسوع الى مدينته أي عندما أتى الى العالم كانسان . والعالم هذا هو خاصته لأنه من إبداعه كما يقول الانجيلي يوحنا : « الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله . وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه » (يو ١ : ١١ - ١٢) . هكذا عندما يسجد الذهن الذي عانى الشلل بايمانٍ يسمع للحال الرب يدعوه « يا بنيّ » ، ويتقبّل منه الغفران والشفاء ليس فقط هذا ، بل أيضاً يحصل على القدرة التي تجعله ينهض ويحمل سريره على كتفه ، السرير الذي كان مستلقياً عليه . أعني بالسرير الجسدَ المادي المرتبط به والذي به يتمّم الذهن الخاضع للشهوات الجسدية أعمال الخطيئة .

لكن بعد الشفاء يسود الذهن على الجسد ويرشده ، فيصبح الجسد خاضعاً له . ويُظهر الذهن عن طريق الجسد ثمار التوبة وأعماله حتى ان الشهود على كل ذلك يمجّدون الله عندما يرون اليوم إنجيلياً كان بالأمس عشاراً ، رسولاً كان مضطهداً ، لاهوتياً كان لصاً ، ابن الآب السماوي مَن كان بالأمس يعيش ويتصرّف مع الخنازير . فتراه ان شئتَ يحقق مصاعد في قلبه ويرتقي من مجد الى مجد ، يتقدّم كل يوم نحو الأفضل . لذلك قال الرب لتلاميذه :

« فليضئ نوركم هكذا قدّام الناس لكي يروا أعمالكم الصالحة ويمجّدوا أباكم الذي في السماوات » **(متى ٥ : ١٦)** .

لا يقول الرب هذا لتلاميذه لكي يُظهروا أنفسهم بل لكي يتصرفوا بطريقة لائقة مرضية لله . كما ان النور بدون جهد يجذب أعين الناس كذلك السيرة الحسنة المرضية لله تجذب اليها مع العينيين الذهن ايضاً . وكما أنه بالنسبة لنور الشمس لا نمتدح الهواء الذي يشترك في ضياء النور بل الشمس نفسها التي تعطي ضوءها (وان كنا نمتدح الهواء فكم بالأحرى يجب علينا ان نمتدح الشمس ؟) ، كذلك الشيء نفسه يحصل مع الذي ، عن طريق أعمال الفضيلة ، يُظهر لمعان شمس العدل . أي ان هذا الانسان يرفع ذهن المشاهدين الى مجد الآب السماوي ، مجد شمس العدل ، مجد المسيح .

عندما أكون في الكنيسة معكم أمام الله يجول نظري فأرى اولئك الذين بخشوع وتقوى يرسلون التسابيح والطلبات الى الله ، وأرى من يقف صامتاً مصغياً بإمعان الى القداس الإلهي ، فأمتلئ للحال حماسةً وتمتلئ نفسي امتناناً وشكراً فأمجّد المسيح الذي بدونه لا يستطيع أحد أن يفعل شيئاً صالحاً وعن طريقه يفعل الناس كل شيء صالح .

لكن ماذا نقول عن أولئك الذين في الكنيسة لا يصمتون ولا يشتركون في التسابيح بل يتكلمون فيما بينهم ويخلطون بين العبادة العقلية لله وأحاديثهم ، فلا يسمعون الأقوال الشريفة الملهَمَة من الله ويمنعون في الوقت نفسه اولئك الذين يريدون ان يسمعوها ؟! يقول لهم النبي إيليا : «الى متى أنتم تعرجون بين الجانبين ؟» (٣ ملوك ١٨ : ٢١)؛ تريدون في الوقت نفسه أن تتبعوا الصلاة وأن تتباحثوا بمواضيع باطلة دنيوية ، فلا تنجزون أياً من الأمرين بل تهدمونهما كليهما وتصبحون عثرة للآخرين . ترى متى تتخلّون عن هذه الأقوال الباطلة التي بها تحوّلون بيتَ الصلاة الى بيت تجارة تسود فيه شتى الأهواء؟ . . .

فلنجعل من يرانا يمجّد الله عالمين أن هذا البيت يحوي في داخله المسيح الذي يشفي النفسَ المخلّعة بالخطايا الكثيرة ويحثنا على أن نوجّه حواسنا الجسدية

ومعقولنا نحوه ، بذهن روحي محبّ لله دون أن تسيطر علينا شهواتنا الجسدية . هكذا نتوجّه الى بيتنا الحقيقي ، الى وطننا السماوي حيث المسيح ميراثنا ونصيبنا الذي يليق به كل مجد وقوة وإكرام وسجود مع أبيه الذي لا بدء له وروحه الكلي قدسه الصالح والصانع الحياة الآن وكل اوان والى دهر الداهرين آمين .

الأحد الثاني من الصوم

أحد القديس غريغوريوس بالاماس

(١٢٩٦-١٣٥٩)

دراسة عن التريودي
للراهب مكاريوس الآثسي

● نشأة العيد

تأسس عيد القديس غريغوريوس بالاماس وقت إعلان قداسته الرسمية **سنة ١٣٦٨** . لكن كالمعتاد في بيزنطية لم يُقرّ العيدُ الّا بناءً على عبادة شعبية نمت بعد موته بزمن قليل : في آثوس ولاميّا (lamia) وكاستوريا (kastoria) الخ . . . استُخدم اوّل نصّ للخدمة التي ألّفها البطريرك فيلوثاوس ، صديق القديس بالاماس وكاتبُ مديحه ، وقد اكتملت الخدمة بإضافة قانون منسوب الى إنسان مجهول يدعى جورج الى جانب هذه الخدمة الليتورجية أُضيفت إلى السينوذيكون (synodikon) عبارة « فليكن ذكره مؤبداً » لغريغوريوس متروبوليت تسالونيك التي جاءت تتويجاً للعديد من العبارات البلاماسية حول

– **التمييز بين الجوهر والقوى**

– **طبيعة نور ثابور**

– والأحكام على برلعام اكندنوس وأعداء آخرين للحركة الهدوئية (Hésychasme) .

إن إعلان قداسة غريغوريوس بالاماس وتعيين تاريخ الاحتفال بعيده في الاحد الثاني من الصوم حالاً بعد أحد الارثوذكسية، ثبّتا قرارات المجمعين الهدوئيّين **١٣٤١ و ١٣٥١** كتعبيرٍ عن الارثوذكسية نفسها والتقليد العقائدي البيزنطي العظيم.

رُتّب اذاً عيد القديس غريغوريوس بالاماس الى جانب عيد تجديد الايقونات المقدّسة، باتخاذه معها مكاناً مميّزاً ومهماً في السنة الطقسيّة. من جهة أخرى كان مكانه جاهزاً لأن الاحد الثاني من الصوم كان في ذلك العصر «مع الأحد الرابع» الأحد الوحيد الخالي من الأعياد المنقولة عن الدور الثابت، ما خلا في كنيسة القسطنطينية حيث يشير تيبيكون القرن العاشر الى ذكرى القديس بوليكربس الذي من إزمير وفي بعض مخطوطات التريودي التي تحافظ على التذكارات القديمة لدور القراءآت في اورشليم. نجد الاحد الثاني في هذه المخطوطات مخصّصاً للفريسي أو للابن الشاطر. ولكن في حالات أخرى كمثل تيبيكون دير المحسنة (Evergetis) لا نرى سوى خدمة القيامة والميناون.

اذاً أتى هذا العيد في أوانه ليُنهي ترتيب التريودي ويكمّل موضوعياً عيد الارثوذكسية بتثبيت بالاماس فيما بين **آباء الكنيسة والمدافعين الكبار عن العقيدة الارثوذكسية** وذلك بتخصيصه بنفس صفات اولئك: فهو يُدعى «منارة الارثوذكسية».

«بوق التكلّم باللاهوت»،

«اللاهوتي الثاني»،

«الفم الناري للنعمة»،

«نهر الحكمة»، «مرآة الله» التي تدرّب المؤمنين على معرفته، «مجد الرهبان» الخ...

كتاباته سحابة سماوية ، عسلٌ كلّها ، خبز الملائكة ، رحيقٌ زكي ونهر ماء حيّ ، سلّم تصعد الانسان من الارض الى السماء .

ان القانون المكرّس للقديس غريغوريوس بالاماس هو كباقي طروبريّات خدمته متعلّقٌ بتمجيد الدفاع عن الارثوذكسية عامة دون ان يلمّح كثيراً الى تعليمه الروحي[1] أو حتى إلى الجوانب الخاصة غي عقيدته ، كمثل التمييز بين الجوهر والقوى[2] . في الواقع يبدو أن المقصود ليس إظهار فرادة المعلّم الروحي الهدوئي بقدر ما هو **إظهار انسجامه مع التقليد النسكي والعقائدي** . وهذا ما يوحي به أيضاً عيد الأحد الأوّل الذي انتقل من ذكرى خاصة بالايقونات الى عيد شامل للارثوذكسية .

● الحركة الهدوئية .

ان انضمام هذين العيدين ، عيد الارثوذكسية في الاحد الاوّل من الصوم وعيد القديس غريغوريوس بالاماس في الأحد الثاني من الصوم ، لا يعود الى عامل « الصدفة » في التاريخ الكنسي بل الى أن النزاع الهدوئي كنزاع الأيقونات اختلط بشكل شبه مباشر بحروب مدنيّة دامية تمثّل بالتالي رهاناً سياسياً ، وأنه يوجد علاقة وثيقة بين هذين الجانبين للتقليد الواحد .

---

(١) هنا تأكيد على طهارة غريغوريوس الشخصية التي أهّلته ان يعلّم بشرف العقيدة القويمة (العقيدة القويمة مرتبطة بسيرةٍ قويمةٍ) فأصبح نموذجاً في الصوم الكبير. «لقد أمتَّ كل لذات الجسد الفاسد، أيها الحكيم، فأحييت حركات نفسك نسكياً، وأوضحتها آلةً إلهية للتكلم في اللاهوت» (الاودية الثالثة٣).

(٢) هناك إشارة الى عقيدة التمييز بين الجوهر والقوى:
– أوّلاً في «البيت»: «إفرح يا من قلتَ ان طبيعة الله علوّ لا يمكن الصعود اليه. إفرح يا من قلتَ ان الفعل الإلهي هو عمق يعسر النظر اليه».
– ثانياً في الاودية السابعة: «ان الذين يتفاوضون بأقوالك ومصنّفاتك يا غريغوريوس يسارّون معرفة الله، ويظهرون مفعمين حكمةً روحية ويتكلمون لاهوتياً عن **نعمة الله وفعله** غير المخلوقين».

في الواقع، وبصورة مبسّطة، نستطيع أن نعتبر أن الغلبة على محاربي الأيقونات هي كالغلبة على زعماء النزعة الإنسانية (humanisme) البيزنطيين في القرن الرابع عشر XIV التي كان برلعام يمثلها بامتياز. وهي في الوقت نفسه انتصار للعقيدة الارثوذكسية، عقيدة **التألّه** الموروثة عن الآباء والغلبة على العقلانية اليونانية الحديثة (Rationalisme) التي كانت مخفيّة منذ زمن بعيد في الاوساط المثقفة البيزنطية فوجدت دعائم جديدة لها في المذهب الإسمي (Nominalisme) الغربي وكذلك عند روّاد عصر النهضة (Renaissance).

يؤكّد الهدوئيون ومعهم مؤيّدو الأيقونات، على الحقيقة نفسها وهي **اشتراك الإنسان جسداً وروحاً مع الله في المسيح** حتى منذ هذه الحياة. غير ان محاربي الأيقونات وأنصار النزعة الإنسانية في المملكة المنقرضة كانوا في النهاية متضامنين حول **مفهوم عقلاني لمعرفة الله**.

يبدو، لأوّل وهلة، هذا التقارب متسرّعاً تنقصه الدقّة. لكننا لا نستطيع هنا أن نبيّن بالتفصيل، خشية الخروج عن الموضوع، العلاقة بين التعليم اللاهوتي لقسطنطين الخامس وبين تعليم برلعام أو أكندنوس. إن مبرّراتهم وحججهم مختلفة جداً لكننا نستطيع أن نجد عندهم الرغبة «اليونانية» الفلسفية نفسها في تثبيت نظرية الانفصال الواضح بين الروح والمادة، بين النفس والجسد، وفي تدعيم النظرة الثنائية للانسان جسداً ونفساً والتي تنقض **وحدة الشخص الواقعية**، هذه الوحدة التي تنسجم مع عقيدة الكتاب عن القلب. كذلك نجد عندهم الرغبة الفلسفية في عدم اشتراك الجسد الكامل مع النعمة الإلهية ابتداءً من هذه الحياة.

يملك هذا المذهب العقلاني (Intellectualisme) علاقةً وثيقة بنقص روحانية التريودي اي فترة الصوم الاربعيني، إذ يمكننا ان نلاحظ ان محاربي الايقونات، على مثال أنصار النزعة الإنسانية، كان معظمهم رجالَ دولة او مثقفين أو حتى

رهباناً وكهنة. كانوا يفضّلون التأمل التجريدي على **ممارسة النسك** وعلى خبرة **معاينة الله**. يضاف الى ذلك ان هذا كلّه كان الهدف الرئيسي لمجابهة غريغوريوس بالاماس لبرلعام، إذ يفضح عنده ما كان يمثّل من حركةٍ فكرية، من توقٍ الى الحكمة البشرية العالمية، ومن مفهومٍ عقلاني للمذهب الآبائي عن المعرفة ومن مقتٍ لممارسة الوصايا والنسك. فهو يكتب في هذا الصدد:

« ... لا نستطيع أن نملك الربَّ فينا، أن نعاينه في النقاوة، ان نمتزج بالنور دون اختلاط على قدر امكانيات الطبيعة البشرية، إن لم نكن **متطهّرين بالفضيلة**، إن لم نخرج من ذواتنا أو بالأحرى نتخطّى ذواتنا تاركين كل ما هو حسّي مع الحسّ، مرتفعين فوق الأفكار والبراهين والمعرفة الناتجة عن هذه الافكار، لنستسلم كلّياً للقوة اللاهيولية والذهنية التي للصلاة، لملاقاة الجهل الذي يسمو على كل معرفة، لنمتلئ من جمال الروح المتألق، لكي نتأمل سرّياً نِعَم الدهر الآتي. أتدري في أية هوّة تُترك كل فلسفة عقلٍ متعظّمة؟ في الواقع تنبع مبادئ هذه الفلسفة العقلية من الحس وتهدف الى **اقتناء المعرفة البعيدة عن الطهارة والتي لا تنقّي ذاتها من الاهواء**.

خلافاً لذلك فإن مبدأ التأمل الروحي «الرؤية = ثاوريّا» هو الخير الذي ينجم عن نقاوة الحياة، وهو أيضاً معرفة حقيقية للكائنات وللحقيقة التي لا تتولّد من الدراسات بل تظهر مع النقاوة وهي وحدها تستطيع ان تميّز في الحقيقة ما هو نافع وجيّد من عكسه»(٣).

بحسب القديس غريغوريوس بالاماس والتقليد الرهباني الذي يمثّله **النسك وممارسة الفضائل** – كالصلاة والصوم وأعمال الرحمة – هي بالنهاية الوسيلة الوحيدة للوصول الى معرفة الله الحقيقية اي المشاركة الفعلية للنفس والجسد المتّحدين في القلب بالنور غير المخلوق.

---

(٣) Gregoire Palamas, Triades, I, 3,42 (ed. Meyendorff p.202)

يقول فلاديمير لوسكي :

« ان عقيدة القديس غريغوريوس بالاماس هي خاتمة صراع تقليدي طويل للتخلّص من الثنائية الافلاطونية ، ثنائية المحسوس والمعقول ، الحس والعقل ، ثنائية المادة والروح »[٤] .

ان الخطأ المشترك الذي وقع فيه محاربو الايقونات وأنصار النزعة الانسانية هو أنهم انحصروا في معضلة تناقض الروح والمادة دون ان يدركوا ان هذه المقولات الفلسفية قد انقلبت جذريّاً بتجسّد الكلمة ، بجنون الصليب وبتأليه الجسد المتّخَذ .

● **خلاصة :**

ان موضوع **مكانة الجسد في الحياة الروحية** كان في صلب النزاعات التي قامت ايام محاربي الأيقونات وايام الهدوئيين . يجد هذا الموضوع تعبيره الارثوذكسي خاصة في فترة الصوم الكبير ، في النسك والصلاة اللذين يسبقان الخبرة الفصحيّة . ويمكن اعتبار عقيدة التريودي الروحية تطبيقاً مباشراً وعملياً **لعقيدة التجسّد الارثوذكسية** بالشكل النهائي الذي حدّده لها المدافعون عن الايقونة والهدوئيّون . هكذا فإن وقوع العيدين في بداية الصوم الكبير ليس مبرراً في أهميتهما التاريخية فقط بل ايضاً في أنهما يجسّدان الشروط التي بدونها ، لا تستطيع ممارسة الصوم أو التوبة خلال الصوم الكبير أن تصل فعلياً الى « الحياة في المسيح » والى الاندماج جسداً وروحاً في سرّه الإلهي الإنساني .

هكذا تظهر **الحياة النسكية** خلال هذه الفترة الأولى الممتدّة بين هذين الأحدين **اعترافاً عقائدياً حقيقياً** .

---

(٤) V.Lossky, La vision de Dieu,p.135.

الاحد الثالث من الصوم
الصليب المقدّس

(متى ١٦:٢٤-٢٨) [1].

عظة للقديس يوحنا الذهبي الفم.

● « حينئذ قال يسوع لتلاميذه: إن اراد أحدٌ أن يأتي ورائي **فليُنكرْ نفسه** ويحمل صليبه ويتبعني » **(متى١٦: ٢٤)**.

« حينئذ ». متى ذلك؟ عندما قال بطرس « حاشاك يا ربّ، لا يكون لك هذا »، وأيضاً عندما اجاب الرب « اذهبْ عني يا شيطان ». لم يكتفِ الربّ بهذا الانتهار بل اراد ان يُظهر أن كلام بطرس غير لائق وأن يُظهر قدر الربح الذي يُجتنى من الآلام، لذلك أضاف أنت تقول لي « حاشاك يا رب، لا يكون لك هذا »، أما انا فأقول لك إنك بهذا الكلام الذي تمنعني فيه من سلوك طريق الآلام لا تسيء إلى نفسك فقط بل إنك لا تستطيع حتى ان تخلص إن لم تكن أنت مستعداً للموت. قال هذا حتى لا يظنوا انه غير جدير بالآلام، وأخذ يعلّمهم كم من الربح يُجتنى من الأمر وذلك ليس بكلامه السابق فقط بل أيضاً بما سوف يضيفه في ما يلي. فيقول في انجيل يوحنا: « إن لم تقع حبّة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير. من يحب نفسه يهلكها ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها الى حياة أبدية » **(يوحنا ١٢:٢٤-٢٥)**.

---

(١) النصّ الموازي عند الإنجيلي مرقس (٨:٣٤-٣٩و٩:١) يُتلى في الاحد الذي بعد عيد رفع الصليب وفي الأحد الثالث من الصوم الكبير المخصّص للصليب.

إلا ان يسوع في هذا المقطع من انجيل متى يعلّم ذلك بطريقة أعمق. لا يكتفي بالتكلّم عن نفسه قائلاً انه ينبغي له أن يموت، بل يجعل الكلام يشمل تلاميذه أيضاً. يقول إن الربح كبيراً جداً الى حدّ انه من الرهيب عليكم ألّا تبتغوا الموت، ومن النافع جداً ان يكون الواحد مستعداً له[٢].

كل هذا يتّضح في الآيات التالية. امّا في هذه الآية فهو يفحص الموضوع من منظار واحد: أنظروا كيف يتكلّم بطريقة لا تلزمنا قطعاً. فهو لم يقل إن شئتم أم لم تشاؤا سوف تعانون الآلام، بل قال: «إن اراد أحد أن يأتي ورائي». انا لا أطلب منكم ذلك بالقوّة، لا ألزمكم به بل أدع كلَ واحد حرّاً في اختيار موقفه. ولذلك اقول لكم «إن اراد احد أن يأتي ورائي».

انا أدعوكم الى الخيرات لا الى السيئات والمنكرات، ولا الى الهلاك والعقاب. لذلك لا ألزمكم. في الواقع إن طبيعة الأمر بحدّ ذاتها جديرة بأن تجذبكم اليه. من هنا فإن التكلم هكذا **بحرّية** يجذبكم اكثر. الذي يستخدم القوّة ينفّر الآخر في كثير من الأحيان، بينما الذي يترك السامع حتى يقتنع ليتصرّف من تلقاء ذاته فجاذبيّته أكبر. **الاعتناء بالآخر يفعل فيه اكثر من القوّة.** لذلك قال الرب «إن أراد أحداً» الخيرات المعروضة عليكم كبيرة الى حدّ أنها قادرة بحدّ ذاتها على أن تجذبكم بإرادتكم الخاصة. في الواقع لا يستطيع أحد ان يجذب الآخر بالقوّة حتى ولو وضع امامه الكنوز والذهب. فان لم يستطع جذبه بالقوّة الى هذه الخيرات الأرضية فبالأحرى لا يستطيع ان يلزمه بالخيرات السماوية. إن كانت طبيعة الأمر غيرَ قادرة على جذبكَ لن تستحقّ العطية، وإن أُعطيتها لن تعرف جيداً ماذا أخذت. لذلك يحترم المسيح **حريّتنا** ولا يلزمنا بل يحثّنا. يبدو أن التلاميذ كانوا يتحدّثون فيا بينهم عن آلامه ويقلقون منها، لذلك يقول لهم إن الأمر لا يستحق القلق والاضطراب. ان لم تعتبروا **الآلام** مصدراً لخيرات لا تُحصى وبمثابة حدث يؤول الى فائدتكم لن أضطرّكم على ذلك ولن

---

(٢) **يربط هنا المسيح بين آلامه وآلام تلاميذه.**

ألزمكم به . ولكن إن اراد أحد ان يأتي ورائي فهذا سوف أدعوه . ولا تعتقدوا ان ما تفعلونه الآن هو ما أقصد باتّباعي . لا بدّ لكم ان تصبروا على مشقّات وأخطار كثيرة إن اردتم ان تتبعوني . لذلك لا تنتظر يا بطرس الأكاليل بمجرّد اعترافك بي كابن الله وتعتقد ان ذلك كافٍ لخلاصك وتستريح بمجرّد التفكير بأنك فعلت كل شيء . طبعاً انا أستطيع كابن الله ألّا أدعك تواجه المصاعب ، ولكن لا أريد ذلك من أجل خيرك . لا بدّ لك ان تشاركني آلامي فتستحق التكريم الأكبر كما هي حال منظم السباق . إن كان لديه صديق يشترك في هذا السباق لن يكلّله فقط من أجل صداقته بل أيضاً من اجل تعبه . يفعل ذلك بالضبط لأنه يحبّه . هكذا يتصرّف المسيح أيضاً مع أحبّائه . يريد أن يتقدّموا من تلقاء أنفسهم وليس فقط ان يتّكلوا على مساعدته ايّاهم .

● « **فليُنكر نفسه** » : أنظروا كيف يجعل كلامه مقبولاً . إنه لا يدع الصعوبات تقتصر على تلاميذه بل يقدّم هذه الحقيقة المشتركة لكل المسكونة قائلاً« إن اراد أحدٌ » . فليسلك الواحد هذه الطريق ، أكان امرأةً أم رجلاً أم رئيساً أم خادماً . ولأوّل وهلة يبدو أن الحقيقة المقدّمة واحدة . لكن كلامه يأتي في ثلاثة أمور : **أن يُنكرَ الواحدُ نفسَه وأن يحمل صليبه وأن يتبعني** . الأمران الأوّلان مرتبطان بصورة وثيقة في ما بينهما . الثالث يأتي منفصلاً . لنرَ أوّلاً ماذا يقصد بأن يُنكرَ الانسان نفسه ؟

لننظر اوّلاً ماذا نقصد بالقول : أن يُنكرَ الانسان شخصاً آخر ، وبعدها ندرك ما يعني بإنكاره لنفسه . من يُنكر شخصاً مثل أخيه أو عبده أو أيّ واحد آخر فحتى لو رآه يُجلد أو يُسجن أو يُقاد امام الرؤساء العامين أو يعاني أيّ ألم ، لن يُسعفه أو يساعده لا تضطرب نفسُه ولا يضحّي من أجله . كل ذلك لأنه تغرّب كلّيّاً عنه . يريد الرب أن نُظهر عدم اهتمام مثل هذا بجسدنا حتى انه في حال جلده أو تعذيبه أو إحراقه أو فعل أي شيء به لن نحزنَ عليه . هكذا ينبغي للواحد ان يُشفقَ على جسده . كما ان الوالدين يُشفقون في الواقع على اولادهم

فيسلّمونهم للاساتذة ويطلبون منهم أن لا يُشفقوا عليهم هكذا يفعل المسيح . هو لا يقول يجب ألّا يُشفق الواحد على نفسه ، بل ذكر شيئاً أعظم فقال « أن ينكر الإنسان نفسه » **أي ألّا يكون له ايّ شيء مشترك مع نفسه**[٣] لا بل أن يعرّضها للأخطار والجهادات ، وموقفه في كل هذا أن يحسب نفسه كشخص آخر بالكلّية . لم يقل « لينكرْ » arnisastho بل قال « لينكرنّ » aparnisastho مستخدماً صيغةَ التوكيد ليشدّد على فعل الإنكار هذا .

● « **ويحمل صليبه** » : هذا ينتج عما سبق . حتى لا تعتقد أنك تنكر نفسك فقط بالكلام ، بالشتائم الموجّهة ضد نفسك ، يوضح يسوع الى ايّ حدّ يجب عليك ان تنكر ذاتك : **حتى الموت** ، **الموت المهين** . لم يقل لينكر نفسه حتى الموت بل قال « ويحمل صليبه » دالاً على الموت المهين ، هذا ليس مرّةً واحدة أو مرتين بل في حياته كلّها يجب ان يقوم بذلك[٤] . يجب أن تحفظ بأستمرار في ذهنك **ذكرَ الموت** ، وأن تستعدّ كل يوم للذبح . ذلك أن كثيرين مقتوا الاموال والملذّات والمجد لكنهم لم يزدروا بالموت بل خافوا من الأخطار ، امّا انا فأريد من مجاهدي أن يصارعَ حتى الدم وأن تؤديَ به جهاداته الى الذبح . حتى لو اضطر إلى ان يواجه الموت المهين أو اللعين أو الناتج عن شك شرّير ، عليه ان يواجهه بشجاعة وقبل أيّ شيءان يفرحَ بكل ذلك .

● « **ويتبعني** » لأنه من الجائز ان يتألم الواحد دون ان يتبع المسيح ، وعندها لا تأتي آلامه من اجل المسيح كما هي حال اللصوص الذين يعانون من الآلام الكثيرة وكذلك سرّاق القبور . كي لا تعتقد ان مجرّد وجود الاخطار كافٍ ،يُضيف موضحاً المبرّر أو الدافع للأخطار هذه ، وهو أن تتبعَ المسيح فيما

---

(٣) أي بتعبير آخر أن يتغرّب كلّياً عن ذاته، ألّا يُشفق على نفسه، ألّا يتعرّف عليها، أن ينفصل عنها. و «نفسه» بالتعبير الكتابي هي كيانه كلّه: جسده، تفكيره، مشاعره... وهذا مغاير للمعنى الفلسفي للكلمة.

(٤) يقول لوقا: «فلينكر نفسه ويحمل صليبه كلّ يوم ويتبعني» (لوقا٩:٢٣).

أنت تعاني من الآلام هذه، أن تصبر عليها من أجله وأن تحوز سائر أنواع الفضائل. لذلك يُضيف «ويتبعني»، حتى إذا ما واجه أحد الأخطار لا يبرهن فقط عن رجولة بل يُظهر أيضاً تعقلاً ووداعةً وأشكال التقوى كافة. هذا ما يقصد بالقول أن يتبع الانسان المسيح كما يجب: أن يهتم بكل أنواع الفضائل وأن يحتمل كلّ شيء من أجله. هناك أناس يتألمون ويتبعون الشيطان واهبين أنفسهم له. امّا نحن فعلينا ان نتألّم من اجل المسيح أو بالأحرى من أجل أنفسنا. اولئك يؤذون أنفسهم في هذه الحياة وفي الأخرى، امّا نحن فنربح هذه الحياة وتلك.

كيف ولا نعتبر أقصى الجهالة أن لا نُظهر رجولة في وجه أبناء الهلاك خصوصاً إذ كنا متأكدين في تلك اللحظة من أننا نربح الأكاليل الكثيرة، ومن لدينا معونة المسيح بينما هم لا يعينهم أحد؟ طبعاً سلّم المسيح تلاميذه هذه الوصية عندما أرسلهم للكرازة قائلاً: «الى طريق أمم لا تمضوا» (متى ١٠: ٥) لأن «ها انا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب» (متى ١٠: ١٦) «وتُساقون أمام ولاةٍ وملوك». (متى ١٠: ١٨)، إلّا أن الوصية هنا اوسع وأقسى. لقد اكتفى آنذاك بذكر الموت بينما يتكلم الآن عن الصليب، الصليب المستمرّ بقوله «ويحمل صليبه» ويقصد حمله بصورة مستمرّة (أنظر إنجيل لوقا) في كل ظرف. لا يكشف عن الوصايا الكبيرة للوهلة الاولى، بل يقدّمها برويّة شيئاً فشيئاً حتى لا يُدهش السامعين.

يبدو أن كلامه كان قاسياً، ولذلك انتبهوا كيف يحاول في ما يلي ان يليّنه فيحدّد الجوائز التي تفوق الأتعاب. لا يحدّد الجوائز فقط بل أيضاً عواقبَ الشرّ. يركّز اكثر على العقابات لأن تعداد المكافآت لا يسهم في التأديب أكثر ممّا يسهمه التهديد بالعقابات. فانظروا اذاً كيف يبدأ بالعقابات وينتهي بالجوائز إذ يقول:

- «فإن من أراد ان يخلّص نفسه يُهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي

يجدها . لأنه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه ، أو ماذا يعطي الانسان فداءً عن نفسه » ؟ **(متى ١٦ :٢٥-٢٦)** .

معنى تلك الكلمات هو التالي : لا أعطيكم هذه الوصايا بداعي عدم اهتمامي بل بسبب اهتمامي الكبير بكم ، كما أن الذي يتهامل في عقاب ابنه يوصله الى الهلاك بينما الذي يقاصصه يخلّصه . قال ذلك بالضبط أحد الحكماء : « إن ضربتَ ابنك بالعصا لا يموت . تضربه بالعصا فتنقذ نفسه من الجحيم » (أمثال ٢٣ :١٣-١٤) ، وأيضاً : « من دلّل ابنه فسيضمّد جراحه » (حكمة سيراخ ٣٠ :٧) . الشيء نفسه يحصل في الجيش لأنه إن كان الضابط ، كونه يشفق على جنوده يأمر ببقائهم المستمر في الثكنة ، يخسر معهم رفاقهم الذين في الداخل ايضاً . لذلك من اجل ألا يحصل الشئ نفسه عندكم ، يجب أن تواجهوا الموت باستمرار . ان كانت الحرب الرهيبة على وشك النشوب ، لا تبقَ أنت في الداخل بل أخرج وحارب . إن دخلتَ الجهاد حينئذ تعيش . ففي الحروب المدنيّة المستعدّ للذبح يبرز أقوى من الآخرين ، لا يُغلب ، بل يخافه الأعداء ، مع العلم بأنه يحارب من أجل ملك لا يستطيع أن يقيمه بعد الموت . أما في تلك الحروب حيث الرجاء الكبير بالقيامة فالذي يقدّم نفسه للموت يخلّصها لأنه أوّلاً لن يؤسر وثانياً ، وإن سقط يكون انتهى الى حياةٍ أسمى .

بعد ان قال « من اراد ان يخلّص نفسه يُهلكها ، ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها » ووضع الخلاص والهلاك في الحالة الاولى وفي الحالة الثانية ، يحاول ان يظهر أن الهلاك في الحالتين ليس هو نفسه كما ان الخلاص لا يتساوى في الحالتين لأنه بقدر ما يختلف الخلاص عن الهلاك بالقدر نفسه يختلف الخلاص في الحالتين . فيعرض هذه الحقيقة مستخدماً المتضادات . يقول بعدها :

- « لأنه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه ، أو ماذا يعطي الانسان فداءً عن نفسه ؟ **(متى ١٦ : ٢٦)** .

أرأيتم كيف ان خلاص النفس الكاذب هو هلاك . في الواقع هو أسوأ من كل هلاك ولا شفاءَ له لأنه لا يوجد شيئ يستطيع ان يفتديه . يقول : لا تدعني أعتقد ان الذي يهرب من مثل هذه المشقات يخلّص نفسه بهذه الطريقة حتى وإن ربح العالم كلّه ، لأنه ماذا يستفيد من كل ذلك إن خسر نفسه ؟ [٥] قلْ لي ، إن كنتَ ترى عبيدك ينعمون برفاهية العيش وأنت عائش في أسوأ الشرور ، تُرى ماذا تستفيد من وضعك كسيّد ؟ طبعاً لا تستفيد شيئاً . فكّر أيضاً كذلك بالنسبة الى نفسك أيضاً . **ماذا تستفيد ان كان الجسدُ عائشاً في الغنى والرفاهية** والنفس تنتظر الهلاك الأبدي ؟

« ماذا يعطي الانسان فداءً عن نفسه » ؟ . هنا يبقى في الموضوع نفسه . هل يقصد أن على الانسان ان يعطي نفساً اخرى بدلاً عن نفسه ؟ لا ، لأنك إن خسرتَ أموالاً يمكنك ان تعوّض عنها بالأموال ، بالبيت ، بالعبيد او بأي شيء آخر من ممتلكاتك . أمّا إن خسرت نفسك[٦] فلن تستطيع ان تعوّض عنها بنفس أخرى . لو ملكتَ العالم كلّه ، لو كنت ملكاً على المسكونة لن تستطيع ان تفتدي نفسك بنفس أخرى حتى وان وُهبتَ كل ممتلكات الأرض والمسكونة كلّها .

ولماذا العجب من كل هذه الأمور المتعلّقة بالنفس طالما أن السؤال نفسه يُطرح على الجسد أيضاً ؟ لو كانت عندك الجواهر الثمينة لن تستطيع ان تفتدي جسدك المريض وغير القابل للشفاء حتى ولو مُنحتَ المُلْكَ كلّه وأضفتَ عليه أجساداً لا تُحصى ومدناً وأموالاً . هكذا فكّر ايضاً بالنسبة الى النفس لأن المؤضوع مطروحٌ بالنسبة إليها اكثر من الجسد . دعْ كل شيء جانباً واهتمّ أوّلاً بنفسك .

---

(٥) اي أسلمها الى أنواع الشرور.
(٦) راجع الحاشية رقم ٣ .

الأحد الثالث من الصوم

أحد الصليب

دراسة للراهب مكاريوس الآثسي

• تكريم الصليب وضبط الزمن

يحتلّ الصليب مقاماً جوهرياً في السنة الطقسية وخاصة خلال فترة الصوم حيث كُرّس له العديد من الطروبريّات . **إنه العلامة لتنازل المسيح ولمحبته الفدائية للبشر** . يُلخّص فيه كلَّ التدبير : الآلام والقيامة . انه الريشة التي بواسطتها خطّ المسيح صَكّ تحريرنا ، هو صولجانهُ فخر الكنيسة ، الحارسُ للمسيحيين ، المجد والقوّة لكل المسكونة .

الارتباط العميق الذي بين الصليب ، كلّ صليب ، والمسيح جعل منه **أيقونةَ الأيقونات** وحتى المكانَ نفسه لحضور المسيح بمحبته الخلاصية للبشر . لذلك يجب تكريمهُ دائماً قدر المستطاع ، وأن ترسم بإشارة الصليب كلُّ أعمال حياتنا وكلُّ أقطار العالم لكي يظهر حبُّ المسيحي المؤمن تجاه المصلوب والغلبة التي يملكها هذا الأخير على كل شيء . إنّ تكريمَ الصليب في نصف هذا الصوم - بعد أن ذكرنا في أحد الارثوذكسية انه ليس عبادة أوثان بل يعود الى الأصل - يتّخذ قيمةً ذات أهمية كبيرة .

إن الصليبَ مصحوب بزياح على مثال القرابين السابق تقديسُها (على رأس

الكاهن) . وهو يبرز في الكنيسة كظهور حقيقي ، والخدمة تبدأ تحديداً مع قطعة ترتيل لدخول القرابين المقدّسة في الليتورجية السابق تقديسها :

« الآن الأجناد الملائكية تواكب العود الموقّر وتحيط به بورع وتدعو كلَّ المؤمنين الى السجود . فهلمّ نتلألأ بواسطة الصيام ، ساجدين امامه بالفرح والخوف وصارخين بإيمان : إفرح أيها الصليب الموقر يا ثباتَ العالم »[1] .

حُضور الصليب هذا والاحتفال الكبير بخدمة التكريم تُظهر جلياً أنه بالنسبة إلى اللّاهوت الأرثوذكسي **الصليب والأيقونات ورفاة القدّيسين** انما **هي** « **أسرار** » حقيقية أي وسائل فعّالة للاشتراك في سرّ حضور المسيح الدائم في الكنيسة : أقنومياً في الأيقونة ، وجوهرياً في الإفخارستية ، بحيث ان تكريمَ الصليب هو في الأساس اشتراك مسبق بآلام المسيح وبقيامته غير المنفصلين أحدهما عن الآخر .

يبعث التكريم في المؤمنين « فرحَ الصليب » أي آثار الآلام المحيية . والذين يقبّلونه بورع يضمنون الحصولَ على الروح القدس وإيجاد الطهارة الحقيقية من الشعاع الروحي الذي يُظهره الصليب .

« ان الصليب المحيي قد ظهر للعيان ، وجعل النعمةَ تتألق بعظمة ساطعة . فلندنُ منه لنحصل على إشراق الفرح ونصافحه ونستغفر منه مقدّمين مديحنا للسيد »[2] .

عندما نرى المؤمنين يكرّمون الصليب ، تسكب الجبالُ والتلال الحبور لأن

---

(١) الاحد الثالث في الغروب الصغير. (باللحن السادس، بروصومية استيشيرة).

(٢) الجمعة من الاسبوع الرابع (الأودية الاولى - الطروبرية الثانية)،
أنظر الطروبرية الاولى أيضاً:
الصليب يقدّس وينير كل الذين يتقدّمون منه.
أنظر أيضاً الاحد الثالث في الغروب (القطعة الاولى)، والجمعة من الاسبوع الرابع (الاودية الرابعة، الطروبرية الاولى).

كل الخليقة استنارت بالتساوي بنعمة الآلام. الملائكة تبتهج وترقص من الفرح، الأرض والسماء «تتناغمان» لأن الصليب جدّد اتحادَ الكون المتفككك والمنقسم بمعصية آدم.

إن تكريم العود الخلاصيّ هو في الواقع نعمة معطاة من الله الذي يجسّد بنفسه كلّ التدبير، ويسبق الفرح الذي يضفيه الاحتفال بالآلام:

«أنت عظيم يا ربّ وكثيرُ الرحمة، لأنك أعطيتنا ان نعيّد الآن لصليبك المحيي الذي سُمّرت عليه يداك ورجلاك وسال عليه دم جنبك الطاهر متدفقاً كينبوع حياة»[٣].

هذه النعمة كبيرة جداً بحيث لا يمكننا أن ندنو من الصليب لنكرّمه إلّا **بعد أن نتنقى** خلال الأسابيع الثلاثة التي تسبقه:

«يا ربّ، أمحُ كثرة خطاياي بغزارة رحمتك، وكمحبّ للبشر أهلني أن أرى صليبك وأجثو أمامه **بنفس نقية** خلال أسبوع الإمساك هذا»[٤].

في الواقع يستطيع الصوم وحده ان ينيرَ الانسان بالمقدار الكافي الذي يجعله قادراً على التأمل في عظمة الصليب الأكثر لمعاناً من الشمس دون أن يُعميه النور. ليس هذا بالصوم فقط، وانما أيضاً بواسطة فضائل الصوم الكبير كلها حيث تصبح الممارسة ممكنة بفضل الآلام التي تجعلنا ندنو من الصليب:

«يا رب يا من باختيارك بسطتَ يديك على الصليب، بما انك محبّ للبشر أهّلنا ان نكرّم صليبك كما يليق بقلب متخشّع مستنيرين كليًا **بالأصوام والصلوات والإمساك والإحسان**»[٥].

---

(٣) - الثلاثاء من الاسبوع الرابع (القانون الثاني، الطروبرية الثانية).

(٤) الأحد الثالث مساءً (القطعة الثانية في الغروب)
أنظر أيضاً الاحد الثالث في السحر (الأودية الثالثة، الطروبرية الرابعة).

(٥) - الاحد الثالث مساءً (استشيرة أولى من الغروب).

لا نستطيع بلوغ نهاية التريودي بتأمل الآلام بفرح إلّا بمقدار تنقيتنا بحميّة لكي نكرّم الصليب في وسط الصوم الكبير :

« سُمّرت على الصليب ، وحُسبت ميتاً يا حياة الكل وسلامهم فأَعطنا أيضاً يا مخلّص ان نقبّله **بنفس نقيّة** ، وان نتأمل بفرح آلامك الخلاصية »[٦] .

● **التهيئة للفصح**

يرى الأب هلّليت ان تأسيس عيد الصليب يعود إلى ازدواجية واحتفال مسبق لتكريم صليب الجمعة العظيم في فترة الصوم .

تشهد الرحّالة إيثيريا (Ethérie) والتقويم الأرمني بالفعل لسجود جماعي للصليب في أورشليم خلال خدمة الجمعة العظيم التي أُهملت نحو القرن السابع لعدم وجودها في الكينوناريون الجيورجي . ولكنها بقيت رمزية على الأقل في التقليد البيزنطي في خدمة الآلام المقدّسة للجمعة العظيم حيث كانت التسبحة الخامسة عشرة قد أشارت اليها بوضوح . من جهة ثانية أُخذ في القسطنطينية بتكريم الحربة المقدّسة في الخميس الكبير والجمعة العظيم ، في حين أن التكريم نفسه كان معيّناً للصليب منذ زمن بعيد في الأسبوع الرابع من الصوم الكبير .

يبدو إذاً ان السجود للصليب نُقل من الجمعة العظيم الى أربعاء نصف الصوم الكبير في عصر تبنّي الطقوس الفلسطينية للأسبوع العظيم في بيزنطية . حتى ان هذا العيد يظهر في التريودي **وكأنه مشاركة مسبقة حقيقية في الآلام** فالإذيوميلات التي ترتّل في تكريم الأحد هي شهادة بيّنة لأنها تعيد بشكل شبه حرفي بعض تسابيح الجمعة العظيم .

« اليوم سيّد الخليقة وربّ المجد سمّر على الصليب وطعن جنبه ، وذاق خلًّا ومرارة ذلك الذي هو حلاوة الكنيسة . وألبس إكليلاً من شوك من كسا السماءَ

---

(٦) الاربعاء من الاسبوع الرابع (الاودية الخامسة، الطروبرية الاولى).

بالغيوم ، البس رداء الهزء وتقبّل اللطمات من أيدٍ ترابية ، ذاقها مَن بيده خلق الانسان ، جُلد على ظهره مَن سربل السماء بالغيوم ، قبل السياط والبصاق ، الإهانة واللطمات ، واحتمل إلهي ومنقذي كل شيء لأجلي أنا المحكومَ عليه ، لكي يخلّص العالم من الخطيئة بما انه المتحنن[٧] .

في مسيرة الصوم الطويلة والتي بلغت منتصفها تتمثّل الآلام بالصليب ، حاملة لكل الذين يكرّمونه كما يليق ضمانةً بما سيحصلون عليه في نهاية سعيهم .

« السلام عليك أيها الصليب الحامل الحياة (. . .) امنحنا أن نعاين **منذ الآن** آلام المسيح ونبلغ الى قيامته »[٨] .

بما أن الصليب والقيامة غير منفصلين مثل ناسوت المسيح ولاهوته ، فإنّ نور الصليب يجلب بشكل من الأشكال نور الفصح :

« لنبادر جميعاً نحو الصليب الكريم في نهار تكريمه لأنه عُرض الآن ويبثّ آشراقات قيامة المسيح . فلنقبّله ونبتهج بالروح »[٩] .

حسب نيكيفورس كالستوس ، أثناء شرحه موضوعاً نشائدياً ، المسيح شبيه بملك تتقدّمه شاراته (أي أدوات الآلام) وصولجانه (الصليب) من أجل اعلان القيامة سلفاً . لهذا السبب نجد أن أراميس قانون الأحد الرابع هي ذاتها اراميس الفصح . ويرتّل كل **القانون** على طريقته قانون أحد القيامة للقديس يوحنا الدمشقي ، إلى درجة انه يقلّده حتى بالكلمات كمثل طروبرية التسبحة الاولى المنشدة بصوت أعلى والتي تسهب الكلام عن « يوم القيامة » الذائع الصيت . . .

---

(٧) الاحد الثالث من الصوم (الإيذيوميلا الثانية للسجود، باللحن الثامن).

(٨) الاحد الثالث في الغروب (الطروبرية الثانية بروصومية باللحن الخامس).

(٩) الاحد الثالث في السحر (الاودية الاولى، الطروبرية الاولى).

الأسلوب مشابه للذي استعمل من قبل السلافيين في غروب أحد الغفران ، وهو يسمح بمشاركة الجوّ الفصحي في صلب فترة الصوم دون حذف المواضيع الخاصة بهذا النهار . يظهر الصليب اذاً في منتصف الصوم الاربعيني وفق نمطه المنير والفصحي لكي يُظهر للمؤمنين بانهم اقتربوا من بلوغ الهدف ولكي يعزّيهم في جهاداتهم مظهراً لهم أن الصليب هو الوسيلة للوصول الى فرح الفصح . يمثل هذا العيد حسب عظةٍ للقديس يوحنا الذهبي الفم « مداخل الصوم » مهيئاً الدخول في قدس الاقداس . « يا كليّة الوقار ، أننا نعيّد الآن بخشوع للعود الذي بسط عليه ابنك يديه الطاهرتين ، أعطينا السلام لبلوغ الآلام الكليَّة الوقار التي تخلّص العالم وأن نكرّم يومَ فصح سيّدنا ، اليوم المشرق الذي يبهج العالم »[١٠] .

يعطي الصليب من يكرّمونه بكل نقاوةٍ القوّة لضبط الأهواء الجسدية بالإمساك حتى يبلغوا القيامة . انه يغذّي ، يقوّي ويقدّس نفس الصائمين وجسدهم . وهو يعتبر كذلك ليس فقط خلال ما بعد عيد الصليب ولكن أيضاً خلال كل الصوم ، مثل المقود الذي بواسطته يمكننا الوصول الى « ميناء السلام » مثل الراية المقدّسة وغنيمة الانتصار التي تضفي الحلاوة على جهاد الصوم . . .

« **الصليب المقدّس هو قوّة الإمساك** ، معين الساهرين ، توطيد الصائمين ، المدافع عن المحاربين ، فلنقترب منه أيها المؤمنون بمحبة ولنكرّمه بفرح »[١١] .

انه المعين الذي منه تنبع كل الفضائل وبقدرته يليق الابتهال بلا انقطاع للبلوغ الى نهاية الصوم .

---

(١٠) الاحد الثالث في السحر (الاكسابستلاري للسيّدة).
(١١) الخميس من الاسبوع الرابع (الأودية التاسعة، القانون الاول، الطروبرية الثانية).

الأحد الرابع من الصوم

شفاء الصبي الذي به روحٌ أبكم

(مرقس ٩: ١٧-٣١)

المقطع الموازي: متى ١٧: ١٤-٢٢
أُنظر الأحد العاشر بعد العنصرة

«هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم» (مرقس ٩:٢٩)

عظة للقديس غريغوريوس بالاماس

■ **مقدّمة:**

تكلمتُ مراراً لمحبتكم عن **الصلاة والصوم** خصوصاً في هذه الأيام الشريفة. وعرضتُ على مسامعكم وعلى نفوسكم أيةَ هباتٍ، أيةَ فوائد تقدّمها هاتان الفضيلتان للذين يعشقونهما، وكم من الخيرات تحصل للذين يمارسونهما. هذا ما يؤكده لنا الرب نفسه في انجيل اليوم.

ما هي هذه الهبات؟ ما هي هذه الخيرات؟ إنها عظيمة حتى لنكاد نقول انها أفضل ما وُجد من الصالحات! فالصلاة والصوم يمكن أن تمنحا، فيما تمنحانه، **السيادةَ على الأرواح الشريرة** بحيث تُطرد خارجاً بعيداً والمصابون يتحرّرون منها.

ربما لهذا السبب بعد الصلاة على الجبل وظهور الضياء الإلهي، نزل الرب

للحال الى المكان الذي كان فيه الصبي «المسكون»[1] من ذلك الشيطان.

يقول الانجيلي متى ان يسوع بعد أن اصطحب المتقدّمين بين التلاميذ، بطرس ويعقوب ويوحنا، صعد بهم الى الجبل لكي يصلّي وأشرق وجهه كالشمس وظهر موسى وأيليا يتكلّمان معه (متى ١٧: ١). ظهر الرجلان اللذان اكثر من غيرهما مارسا الصلاةَ والصومَ، وظهر في حضورهما الانسجام بين الصلاة والصوم وكأنهما يتناغمان في كلامهما الى السيّد.

كان صوت دم هبيل المقتول يصرخ نحو الرب، كما قال الرب لقايين. وكما علمنا من أقوال موسى ان أعضاء الجسد كلّها المُضعفة من جراء الصوم سوف تصرخ الى الرب فتتكلم مع صلاة الصائم وكأنها تصلّي معه كل ذلك يساهم في قبول وتبرير ذاك الذي يذوق طوعاً تعبَ الصوم.

اذاً بعد الصلاة والإشراق الالهي نزل الرب من الجبل وأتى إلى الجمع والتلاميذ الذين استقبلوا أوّلاً من كان به شيطان، بحيث إن الرب كما أظهر على الجبل لموسى وإيليا والتلاميذ الثلاثة أن الإشراق الإلهي هو جزاء الصلاة والصوم وهو جزاء عظيم وأكثر من عظيم، هكذا عندما نزل أراد ان يبيّن للتلاميذ الآخرين ان جائزة الصوم والصلاة هي **الغلبة على الشياطين**.

● «فأجاب واحدٌ من الجمع وقال: يا معلّم قد قدّمت إليك ابني به روح أخرس. وحيثما أدركه يمزّقه فيُزبد ويصرّ بأسنانه وييبس. فقلت لتلاميذك أن يخرجوه فلم يقدروا» **(مرقس ٩:١٧-١٨)**.

كيف يصرّ المريض بأسنانه وييبس؟ إن المصاب من الشيطان يتأثر أولاً في رأسه لأن الروح الشرير يؤثر أوّلاً على الدماغ ومنه يحاول أن يسيطر على الجسم كلّه. عندما يتألم الرأس ينتقل التيّار الى الأعصاب والعضلات كلّها... ومن

(١) القلب لا يسكنه الّا الروح القدس. الروح الشرير يُظلم العقل والقلب، وبهذا المعنى «يسكن» في الإنسان بتأثير عميق ومزمن من الخارج عبر الحواس.

ذلك يأتي الاضطراب والحركات غير الواعية . .. والسائل يصل الى الفم ، وبما ان المريض لا يستطيع ان يتنفس بصورة منتظمة لذلك يزبد . ولكن عندما تتكاثر السوائل الآتية من الأحشاء ومعها يخرج الماء والرطوبة الكامنة في الجسد ، عندها ييبس الانسان شيئاً فشيئاً .

تقدّم أبو المريض الذي فيه شيطان daimonisé . وقال له إن التلاميذ لم يستطيعوا أن يُخرجوا الشيطان . فأجابه متوجهاً الى الجميع :

● « فأجاب وقال لهم : أيها الجيل غير المؤمن ، الى متى أكون معكم ، إلى متى أحتملكم؟ قدّموه اليّ » **(مرقس ٩ : ١٩)** .

يبدو لي أن اليهود استفادوا من هذا الخبر لكي يجدّفوا ويتذمّروا . . . وقد عرف الرب تذمّرهم وتعييرهم فأخذ يوبّخهم ويخزيهم لا عن طريق أقوال تنتهرهم أو تعاقبهم بل عن طريق أقوال وأعمال مليئة بمحبته للبشر . فأمر بأن يؤتى اليه بالمريض .

● « فقدّموه اليه . فلما رآه للوقت صرعه الروح فوقع على الأرض يتمرّغ ويزبد . فسأل أباه : كم من الزمان منذ أصابه هذا؟ فقال : منذ صباه . وكثيراً ما ألقاه في النار وفي الماء ليهلكه . لكن إن كنتَ تستطيعُ شيئاً فتحنن علينا وأعنّا » **(مرقس ٩ : ٢٠-٢٢)** .

لقد سمح الرب للشيطان ان يُظهر شرّه بصورة واضحة علنيّة . يسأل أباه عن الزمان **لكي يرشده الى الإيمان** وإلى التوسّل بإيمان . كان الرجل بعيداً عن الإيمان ولم يكن يكترث كثيراً بخلاص نفس الصبي . لم يتوسّل الى التلاميذ بإيمان - « فقلتُ لتلاميذك » - . لم يسجد ، لم يركع ، لم يتوسّل . لم يتضرّع بحرارة حتى الى الرب . لذلك أخذ الربُ يسأله أوّلاً عن زمان المرض حاثاً إياه على مزيد من الإيمان . فأجابه الأب : « منذ صباه . ولكن إن كنت تستطيع شيئاً فتحنّن علينا وأعنّا » .

أرأيتَ كم كان عدمُ ايمان الرجل؟ لأن الذي يقول «إن استطعت» يعني أنه لا يؤمن بأن الآخر يستطيع.

● «فقال له يسوع إن كنتَ تستطيع أن تؤمن، **كل شيء مستطاع للمؤمن**» **(مرقس ٩:٢٣)**.

يقول هذا لا لأنه يجهل عدمَ إيمان الرجل بل لأنه **يحاول أن يجذبه تدريجياً الى الإيمان** وفي الوقت نفسه أن يظهر له ان سبب عدم إخراج الشيطان من قبل التلاميذ هو أيضاً عدمُ إيمانه. انتبه الى أن الإنجيلي يذكر ان الرب قال للأب: «إن استطعتَ أن تؤمن»، لأن الرب يطلب دائماً إيماناً من المتقدّمين للشفاء. فكان يسعى عن طريق الإيمان إلى شفاء تلك النفوس التي هو سيّدها ومدبّرها. أمّا الأب فما ان سمع أن الشفاء يفترض إيماناً قال:

● «فللوقت صرخ أبو الولد بدموع وقال: أؤمن يا سيّد فأَعن عدم إيماني. فلما رأى يسوع ان الجمع يتراكضون انتهر الروح النجس قائلاً له: أيها الروح الأخرس الأصمّ أنا آمرك، أخرج منه ولا تدخله أيضاً. فصرخ وصرعه شديداً وخرج. فصار كميت حتى قال كثيرون انه مات. فأمسكه يسوع بيده وأقامه فقام» **(مرقس ٩:٢٤-٢٧)**.

يبدو أن الشيطان كان مخيفاً جداً ووقحاً جداً. تظهر هذه الوقاحة من خلال انتهار الرب الشديد وطلبه أن لا يعودَ الشيطان ليدخل من جديد. لانه، كما يبدو، من دون هذا الأمر كان يمكن للروح الشرير أن يعود ثانيةً. من جهة ثانية كان الشيطان قد سيطر الى حدّ بعيد على الإنسان اذ جعله أبكم وأصمّ، فلم تعد طبيعة الصبي قادرةً على المقاومة. لذلك كان من الصعب ان يخرجَ وينفصلَ عن الإنسان، ولذلك قال «صرخ وصرعه شديداً وخرج فصار كميت . . .». لا علاقة للصرخة بالشيطان الابكم لأن الكلام عادة يعبّر عن المعاني بينما الصرخة صوتٌ لا معنى وراءه. تركه ميتاً لكي يُظهر شرّه حتى النهاية.

فأمسكه الرب وأقامه مظهراً بذلك قدرته العظيمة . « أمسكه بيده » : هذا يشير الى قوّتنا المخلوقة ، في حين أن إقامته محرّراً من الآلام تدلّ على قدرة الرب الإلهية غير المخلوقة .

* * *

● « ولمّا دخل بيتاً سأله تلاميذه على انفراد : لماذا لم نقدر نحن ان نخرجه ؟ فقال لهم : **هذا الجنس لا يمكن ان يخرج بشيء الّا بالصلاة والصوم** » (**مرقس ٩:٢٨-٢٩**) .

يقول البعض إن الصلاة والصوم يجب أن يصدرا عن المريض . هذا غير صحيح ، لأن الواقع تحت تأثير الروح الشرير المسيطر عليه كيف يستطيع ان يصلّي ويصوم بطريقة مفيدة لنفسه ؟

يبدو أن الشيطان كان للهلاك طالما يلقي الصبيَ في النار وفي الماء ليهلكه (هكذا تفعل الأهواء الغريبة المهلكة تغرّق صاحبها في المياه من كثرة المآكل وكثرة الشراب) . والروح هو ابكم أخرس لأن الذي يقع تحت سيادته لا يعود يطيق السماع أو التكلّم بالأمور الالهية . أمّا من لم يسيطر عليه بعد الروح الشرير بل يتلقّى فقط سهامه من الخارج ، فيستطيع أن يقومَ من جديد ويصطلح لأنه لا يزال مسيطراً على إرادته الذاتية ويحتاج الى صلاة وصوم .

بالصوم يُكبح جماح الأهواء ويوضع حدٌ لثوراتها ، **وبالصلاة** تَنشلّ قوى النفس الشريرة وتهدأ الأفكار التي تسبب ذلك الألم . هكذا عن طريق الصلاة والصوم يُستبعد تأثير القوى الشريرة ولا يعود الهوى مسيطراً .

لكن عندما يسيطر الروح الشرير لا يعود الانسان يستطيع ان يفعل شيئاً من أجل شفائه لأن حريّته مكبّلة . إنه ينتظر من المحرّرين وخصوصاً الذين يسكنهم الروح القدس ان يساهموا بقوة عن طريق الصلاة والصوم لإخراج الشيطان .

• التطهّر من الأهواء :

لا نستطيع ان نطرد الشياطين إن امتلكنا حياة مضطربة خاطئة . « كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم : يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوّات كثيرة ؟ فحينئذ أصرّح لهم : إني لم أعرفكم قط . اذهبوا عني يا فاعلي الإثم » **(متى ٧:٢٢-٢٣)** .

لذلك فلنسرع أوّلاً لإخراج **أهواء الزنى والغضب** ، **أهواء الكراهية والتكبّر** قبل ان نخرج الشياطين .

في الواقع لا يكفي ان نتحرر من الخطيئة الجسدية بل علينا أيضاً ان نتنقى من الهوى الشرير الكامن في النفس ، أن نطهّر داخل الكأس . فالأفكار الشريرة تصدر من القلب : الفسق ، القتل ، السرقة ، الطمع وأمثالها . هذه هي التي تنجس الإنسان (أنظر مرقس ٧: ٢١-٢٣) .

وقد قيل إن الذي « ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه » (متى ٥ : ٢٨) ، فعندما لا يفعل الجسد يمكن للنفس ان تفعل بالفكر عندما **تُبعد النفس من الداخل سهام الشرير عن طريق الصلاة وذكر الموت** ، عن طريق النوح بحسب الله ، عندها يشترك الجسد أيضاً في قداسة النفس ولا يعود يفعل الخطيئة والشرور .

هذا ما يقصده الرب عندما يقول إن الذي يطهّر خارج الكأس لم يطهّر داخله ، بل « نقِّ أوّلاً داخل الكأس والصحفة لكي يكون خارجهما أيضاً نقياً » **(متى ٢٣ : ٢٥)** . لذلك **فلنهتمّ أوّلاً بالعمل الداخلي** حتى يكون القلب بحسب ارادة الله . عندها نتغلب على الأهواء الخارجية . لانه ان كان الأصل أو الجذر مقدّساً ، تكون الفروع أيضاً مقدّسةَ . ان كان الخمير صالحاً يكون العجين كلّه صالحاً . « أسلكوا بالروح فلا تكمّلوا شهوةَ الجسد » (غلا ٥ : ١٦) .

● **ختانة القلب :**

لم يلغِ المسيح الختانةَ اليهودية فقد قال : « لا تظنُّوا اني جئتُ لأنقضَ الناموس والأنبياء . ما جئتُ لأنقض بل لأكمّل » (متى ٥ :١٧) . كيف كمّله ؟ كان الناموس ختماً ومثلاً وتعليماً رمزياً لختانة الأفكار الشريرة في القلب . اليهود الذين لم يهتموا به عيّرهم الأنبياء لأنهم غير مختوني القلب . يكرههم الذي ينظر الى القلب حتى أصبحوا في النهاية مرذولين . فالإنسان يرى ما هو ظاهر ، أمّا الله فيرى **القلب** . واذا كان هذا الأخير مليئاً بالأفكار الدنسة والشريرة ، يستحق الانسان ان يرذله الله . لذلك ينصح الرسول ان تتلى الصلوات بدون غضب ولا جدال (١ تيمو ٢ :٨) .

عندما يعلّمنا الرب بأن نهتم **بختانة القلب الروحية** ، يطوّب أنقياء القلوب والفقراء بالروح . يؤكد ان جائزة النقاوة هي معاينة الله . يَعِدُ الفقراءَ بملكوت السماوات (متى ٥: ٣،٨) . لا يطوّب مثل هؤلاء الناس فقط بل الذين هم أيضاً كذلك بحسب الفكر ، أي الذين بسبب تواضع قلبهم الداخلي ونيّتهم الصالحة يتصرّفون خارجياً بالمثْل . لا يمنع فقط القتل لا بل الغضب ، ويأمر بمسامحة أولئك الذين أساؤوا الينا من عمق القلب ، ولا يتقبّل تقدمتنا ان لم نتحرّر أوّلاً من الغضب . . .

لننتبه نحن أيضاً أيها الاخوة ولنطهّر قلوبنا من كل دنس حتى لا نُحسب مع المدانين . « ان كانت الكلمة التي تكلم بها ملائكة قد صارت ثابتةً وكل تعدّ ومعصية نال مجازاةً عادلة ، فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلّم به ثم تثبّت لنا من الذين سمعوا ؟ » (عب ٢:٢-٤) . فلنخشَ فاحصَ القلوب والكلى . لنسترحم سيّدَ الأحكام . لنضع فينا السلامَ والقداسة والصلاة بخشوع ، فبدونها لن يرى أحدٌ الرب . لنرغب بتلك الرؤيا الموعود بها الطاهرون . ولنفعلْ كل شيء لكي نحصل على تلك المعاينة التي تأتي

معها الحياةُ الأبدية والجمال غير الفاسد والغنى الذي يفنى والنعيم الخالد والمجد والملكوت .

كل ذلك لنحظى بالمسيح ملك الدهور الذي يليق به كل مجد وإكرام وسجود مع أبيه الذي بدءَ له وروحه الكلي قدسه الصالح والمحيي الى أبد الدهور آمين .



القسم الثاني من الصوم

أحد القديس يوحنا السلّمي وأحد القديسة مريم المصريّة

دراسة عن التريودي

بعد ان تثبّت طلاب «المعمودية الثانية»[1] في الايمان الارثوذكسي خلال الأحدين الأولين وكرّموا الصليب خلال الاحد الثالث والاسبوع الرابع، يواصلون مسيرتهم لغاية الاسبوع السادس مركّزين على أحدين مكرسّين لنماذج حيّة من الحياة الروحية. هذان العيدان متقاربان في أوجه عديدة: في أصلهما وفي موضوعهما، لذلك نستطيع ان نعرضهما معاً.

ظهر عيد القديسة مريم المصرية قبل عيد القديس يوحنا السلّمي وأُشير اليه في عدّة مخطوطات للتريودي ابتداءً من القرن الحادي عشر. وبالرغم من عدم انتشار مثل هذا النظام، ليصبح عاماً آنذاك، تابعت عدة مستندات إقامة الذكرى للغني ولعازر فقط، هذه الذكرى التابعة لنظام اورشليم القديم الذي ما زال قائماً حالياً في قانون الأحد الخامس.

لم يبدأ عيد القديس يوحنا السلّمي بالورود في المخطوطات إلّا في القرن الرابع عشر تقريباً في نفس زمن عيد القديس غريغوريوس بالاماس. وقد ظهر

---

(١) أي التائبون في الصوم الكبير.

تقريباً في كل المستندات في القرن الخامس عشر. كان الاحد الرابع سابقاً مخصّصاً لمثل السامري الشفوق وقد حفظنا منه قانوناً أيضاً حتى أيامنا هذه[٢].

حصل التأسيس المتأخر والسريع لهذا العيد على الأرجح بسبب الرغبة في تتميم هيكلية التريودي بطريقة متوافقة، وقد ظهرت هذه الرغبة في نهاية القرن الرابع عشر بواسطة العمل الليتورجي للبطاركة الهدوئيين **نيكيفورس كالستوس وفيلوثيوس (القرن ١٤–١٥)**.

وبما ان تأسيس عيد القديس غريغوريوس بالاماس قد سمح بتحديد الأحدين الأولين **كفترة** «**عقائدية**»، لذلك استوحوا من عيد القديسة مريم المصرية لنقل العيد من ٣٠ آذار ليحدّدوا **فترة** «**نسكيّة**» ثانية لدورة الآحاد. عُمّم عندها عيد الاحد الخامس بعدما كان في السابق محلّياً، لكي يعطي للدور توازناً لم يتغيّر بعد القرن الخامس عشر، وأصبح ثابتاً في الكتب المطبوعة في النهاية. نستطيع إن نعتبر ان عيد الارثوذكسية بقدمه وصفته الشاملة كان منطلقاً لهذه الدورة من آحاد الصوم الكبير وهو الذي وجّه تطوّرها.

يعيّد عادة للقديس يوحنا السلّمي في ٣٠ آذار وللقديسة مريم المصرية في أول نيسان. إدخال هذين العيدين في فترة التريودي ناتج عن انهما لم يُحتفل بهما، بالرغم من أهمية هذين القديسين في العبادة البيزنطيّة: ثلاث استيشيرات في الغروب وقانون واحد في صلاة السحر لا غير. انتقالهما بالتالي الى الدور المتحرّك سمح بإعطاء تألّق اكثر لهذين العيدين وتأكيد علاقتهما بالصوم الكبير بوضوح. بعكس اعياد اخرى ثابتة ثم نقلها، انتقل هذان العيدان كما هما من دور الميناون الى التريودي. الستيشيرات الثلاث لغروب الأحدين الرابع والخامس هي إيّاها في ٣٠ آذار وأول نيسان، وكاثسما الاودية الثالثة للقانون هي إيّاها

(٢) انظر القانون الاوّل من الأحد الرابع.

أيضاً . تختلف فقط قوانين القديس يوحنا السلّمي والقديسة مريم المصرية . تشير بعض مخطوطات الميناون الى ان قانون ٣٠ آذار هو نفسه قانون إغناطيوس للأحد الرابع من الصوم الكبير بحيث تتطابق الخدمة تماماً .

في الترجمات السلافية القديمة السابقة للإصلاح الديني للبطريرك نيكون الذي سبّب انشقاق « المؤمنين القدماء » ما كانت الخدم الكنسية للقديسة مريم المصرية والقديس يوحنا السلّمي توجد حتى في التريودي ، أُشيرَ فقط الى العودة الى الميناون .

لا يحتلُّ عيدُ القدّيسين الّا مكانةً محدودةً نسبياً في الخدمة الكنسية للآحاد الرابع والخامس : لغاية القانون ، الترتيب الطقسي هو الذي لكلّ آحاد التريودي مع كاثسما المعزّي وإيذيوميلات البندكستاري للتريودي . نرتّل بعدها ثلاثة قوانين (واحد للقيامة بست طروبريات ، واحد من التريودي أقدم منه[٣] بأربع طروبريات حول الامثال المفصّلة خلال الاسبوع التالي ، وقانون للقديس بأربع طروبريات أيضاً) .

نوضح انه في الاسبوع الرابع يجب ان تُرتل كاطافاسيات والدة الإله اي اراميس المديح . التريودي المطبوع لا يشير الى هذه الكاطافاسيات للأحد التالي مع أنّ التقويم الطقسي اليوناني الحالي يؤكّد على ترتيلها .

نستطيع ان نستنتج من هذا الحذف انه يمكن ان يكونوا قد احتفظوا بهذه الكاطافاسيات للأحد السابق لسبت المديح (الاكاثسطون) لكي يتحضّروا للعيد ، لكن عدم تأكيد هذا الامر أو توضيحه يُبقي هذه الفكرة افتراضاً .

في المزامير ١٤٨– ١٥٠، مزامير الإينوس ، لا نرتّل أية استيشيرات للتريودي

(٣) قانون التريودي هذا منسوب الى إيليا الثاني (بطريرك أورشليم ٧٩٧)، وهو ينتمي إذاً الى مرحلة تأليف التريودي السابقة لِستوديو.

(ما عدا ايذيوميلا الذكصا) بل فقط ٨ من المعزّي . لم يكن هذا يتم منذ أحد الفريسي والعشّار ، وهو يدل جيّداً على الصفة الثانوية للعيدين بالنسبة للأعياد التي درسناها حتى الآن .

اختصار هذين العيدين في نهاية الصوم الكبير يسمح بالتركيز أكثر على المواضيع الروحية للسامري الشفوق ومثل الغني الرديء. من هنا انفصال موضوع أيام الأسبوع عن موضوع الآحاد ، هذا الانفصال الذي هو أقلّ من ذاك الذي في القسم الاوّل : الانتباه والجهد الروحي يستطيعان البقاء اذاً ممدودين الى النهاية حتى خلال ايام الراحة .

١ـ أحد القديس يوحنا السلّمي

لقد أشرنا بأن قراءة سلّم الفضائل هي أهم القراءآت الأبائية خلال الصوم الكبير ومرشد التمييز الذي يجب ان يرافق ممارسة كل الفضائل . هذا المؤلَّف المليئ بالمعرفة والذكاء لا يمكن ان يكون قد أُلّف إلّا من قِبَل من كانت عنده الخبرة في ما كتب . أيضاً اعتبرنا وأعلنّا في هذا العيد ان القديس يوحنا السينائي قد أنجز بذاته مسيرة هذا السلّم ، وانه بالنتيجة **هو نفسه السلّم والمثال الحيّ للعلم الروحي :**

« يا يوحنا سلم الفضائل ، لقد تلألأت لامعاً بالفضائل ونصبتَ سلّماً وارتقيت بها الى السماوات وعدت الى عمق المناظر الإلهية الذي لا يُحدّ بحسن عبادة ، وفضحتَ مكامن الشياطين بأسرها ، فأنت تستر البشر من مضرّاتهم وتتشفع الآن في خلاص نفوسنا »[٤] .

يشير الكتاب الى صعود مؤلّفه الى العلاء ، ونمدحه أيضاً « كفردوس

(٤) انظر الاحد الرابع، كاتسما الاودية الثالثة، الطروبرية الثانية.

الفضائل » و « مشترع النسك » ، « الخبير » المثالي . فهو يمثّل في الحقيقة **أيقونة الإمساك**[٥] **والنسك** » ولذلك مديحه هو للتذكير بالمبادئ الكبرى .

اتخذ القديس يوحنا صليبه لكي يتبع الإنجيل بكل قساوته واعتزل العالم لكي يتغلّب على ملذّات الجسد ويرتفع به نحو الله عن طريق الصلاة :

« أيها الأب البار لقد انعطفت عن التنعم الدنيوي بما انه ممقوتٌ وأذبلت الجسد بالإمساك ، فجدّدت قوّة النفس واستغنيت بالمجد السماوي . لذلك يا يوحنا الدائم الذكر لا تكفّ متشفعاً من أجلنا »[٦]

لما جاهد بحسب « نواميس » النسك ، أحرق الملذات والأهواء ، واستحصل على الطهارة والراحة التي لا نهاية لها ، راحة اللاهوى . وبقوّة الروح الإلهي أصبح سيّداً على جسده وغرّق الشياطين بدموعه ، وبالصلاة جنّح العقل الى النور العقلي غير الهيولي . من ثم « أنار العالم » بتعاليمه ، وغذّى تلاميذه « بثمرة الإمساك » . لم تجعله خبرته الروحية قادراً فقط على توجيه الآخرين في طريق النسك ، لا بل على طرد كلّ الهرطقات « بعصا المعتقدات »[٧] بعد أن جمع كل الفضائل في حياته المثالية التي نستنتجها من قراءة السلّم .

ظهر القديس يوحنا السلّمي مثالاً للراهب والعلْم الروحي الذي نتلقنه خلال الصوم الكبير عن طريق ما تعلّمه الترانيم ، وكذلك عن طريق قواعد الصوم وترتيب الخدم .

---

(٥) «يا أبانا البار يوحنا، إن الرب قد جعلك بالحقيقة في علوّ الإمساك نظير كوكب غير ضالّ منيراً الاقطار أيها المرشد» قنداق الاودية السادسة من الاحد الرابع.

(٦) الإكسابستلاري من الاحد الرابع.

(٧) «لقد أطفأت جمر نبل العدوّ بالأعراق النسكية بالحقيقة وأضرمتَ نار الايمان فألهبت جسارة كفر الهرطقات»: الأحد الرابع، القانون الثاني، الاودية السادسة، الطروبرية الثالثة. نرى هكذا كيف ان السلطة العقائدية تنتج عن الخبرة الروحية.

بتكريمه نعاين الراهب الكامل وما يجب أن يصبح كل واحد إذا أنجز بشكل لائق تعاليم التريودي .

ولذلك مجرّد ذكر فضائله هو مناسبة للاحتفال والابتهاج لكل المؤمنين الذي أصبحوا رهباناً خلال الفترة الأربعينية .

« اليوم نهار موسم لأنه يستدعي جميع قطعان المتوحدّين الى طرب روحيّ والى وليمة أطعمة الحياة غير المضمحلّة .[٨]

---

(٨) الاحد الرابع، الاودية التاسعة، القانون الثاني، الطروبرية الثالثة.

الاحد الخامس من الصوم

الرئاسة خدمة

(مرقس ١٠:٣٢-٤٥)

عظة للقديس يوحنا الذهبي الفم

(استناداً الى متى ٢٠:١٧-٢٨)

■ التنبؤ عن الآلام

● « وفيما كان يسوع صاعداً الى اورشليم أخذ الأثني عشر تلميذاً على انفراد في الطريق وقال لهم: ها نحن صاعدون الى اورشليم وابن الانسان يُسلّم الى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت، ويسلّمونه الى الأمم لكي يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه وفي اليوم الثالث يقوم » **(متى ٢٠:١٧-١٩)**.

لا يصعد يسوع الى أورشليم مباشرة آتياً من الجليل. بعد ان صنع أولاً عجائب وأسكت فم الفرّيسيين، تحدّث لتلاميذه عن **عدم القنية** قائلاً: « ان أردت ان تكون كاملاً بعْ كل أملاكك » **(متى ١٩:٢١)**، وعن **البتولية** « يوجد خصيان خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السماوات، من استطاع أن يقبل فليقبل » **(متى ١٩:١٢)**، وعن **التواضع** « إن لم ترجعوا وتصيروا كالأولاد فلن تدخلوا ملكوتَ السماوات » (متى ١٨:٣)، وعن جزاء الانسان في هذا العالم « كل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً او امرأة او

اولاداً أو حقولاً من اجل اسمي يأخذ مئة ضعف » (متى ١٩ : ٢٩) ، وعن جزائه في الحياة الاخرى « ويرث الحياة الأبدية » (متى ١٩ : ٢٩) . بعد ذلك كلّه يأتي الى المدينة **ويتكلم عن آلامه** التي سوف يكابدها عندما يصعد الى اورشليم . من الطبيعي أن ينسى التلاميذ قوله هذا كونهم لا يريدون أن يحصل الأمر . لذلك كان يذكّرهم بآلامه باستمرار ، مروّضاً هكذا فكرَهم بالتذكير المستمرّ ومخففاً حزنهم . لكنه عند الضرورة كان يتكلّم معهم على انفراد لأنه كان يريد ألّا تعرف الجموع كلامه عن **الآلام** ، وألا تُقال هذه الكلمات بوضوح لأنه لا ينتج عن ذلك أيّ نفع . إن كان التلاميذ الذين سمعوا كلامه قد اضطربوا ، فكم بالأحرى يحصل ذلك مع الجموع ؟

ماذا اذاً يسأل الواحد ؟ ألم يقُل هذا الكلام للشعب ؟ طبعاً لقد قيل هذا الكلام أيضاً للشعب لكن بغير وضوح لأنه قال لهم : « انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه » (يو ٢ : ١٩) ، وايضاً : « جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تُعطى له آية الّا يونان النبي » (متى ١٢ : ٣٩) ، وأيضاً « أنا معكم زماناً يسيراً بعدُ ، ثمّ أمضي الى الذي أرسلني . ستطلبونني ولا تجدونني » (يو ٧ :٣٣– ٣٤) .أمّا التلاميذ فلم يكلّمهم على هذا المنوال . فكما كان يتحدّث اليهم بوضوح في أمور أخرى ، هكذا فعل هنا أيضاً .

لكن لماذا كان يقول لهم هذا طالما أن الاكثرية منهم لم تفهم معنى كلامه العميق ؟ قال لهم هذا كله لكي يُدركوا لاحقاً ، عندما سوف يحدث الامر ، انه قد سار نحو **الآلام** باختياره وبسابق معرفته دون ان يجهل ذلك أو يكون مدفوعاً من حاجة ما . لكنه لم يقل هذا الكلام لتلاميذه لهذه الغاية فقط إنما ، كما قلت سابقاً ، **لكي يتهيّأوا مسبقاً** حتى يستطيعوا أن يتحمّلوا الآلام بسهولة اكبر وألّا يتزعزعوا الى حدّ أن يأتي الحدث بطريقة غير منتظرة بالكلية . لذلك في البداية كان يتكلم فقط عن موته ، ولكن عندما أحسّوا بذلك وتهيأوا له بالطريقة المناسبة ، عندها أضاف ما تبقى كما على سبيل المثال « انهم سوف يسلّمونه الى الأمم ويهزأون به ويجلدونه » . قال الكلام اذاً لهذه الغاية حتى اذا مرّوا بأوقات

صعبة بسبب تحقيق كلامه عن آلامه يصبرون مجاهدين ومتوقّعين قيامته . طالما أنه لم يُخْفِ الصعوبات التي سيواجهها مع الاهانات الظاهرة ، من الطبيعي ان يُصدَّق كلامه عندما يتحدّث عن الامور السارة .

لكن ، أرجوك ، لاحظ كيف يتدبّر الأمور منذ ذلك الحين بطريقة جميلة للغاية . فهو لم يقل كلماته هذه لهم من اللحظة الأولى حتى لا يزعزعهم ، ولم يفعل ذلك عندما اقترب جداً من آلامه حتى لا يضطربوا . بل فعل ذلك عندما وعوا بدرجة كافية قدرته ، وفي الوقت نفسه كان يعطيهم وعوداً من حين الى آخر وفي مناسبات كثيرة ، رابطاً **كلامه عن الآلام** بالعجائب وبتعليمه .

يقول إنجيلي آخر إنه يستشهد بالأنبياء عندما يتكلم عن آلامه (لو ١٨ : ٣١) ، ويقول أيضاً إن تلاميذه لم يفهموا كلامه لأن معناه كان مخفياً عليهم (لو ١٨ : ٣٤) ، وانهم كانوا يتبعونه خائفين (مر ١٠ : ٣٢) . ربّ سائل : ترى ألم يستفيدوا شيئاً من نبوءته ؟ فإن لم يفهموا كلامه ، لن يكون لهم أيّ توقّع (لحدث الآلام) ، وإن لم يكن لديهم توقّع لن يتروّضوا أيضاً على الرجاء (رجاء القيامة) . امّا انا فاقول شيئاً آخر جديراً بالتأمل وهو انهم إن لم يفهموا كلماته فكيف إذاً نفسّر حزنهم على ما يذكره أحد الإنجيليين « فحزنوا جدا » . (متى ١٧ :٢٣) ؟ كيف كان بطرس يقول : « حاشاك يا رب ، لا يكون لك هذا » (**متى ١٦ : ٢٢**) ؟ ما هو الجواب الذي يمكن أن نقدّمه ؟ كانوا يعلمون انه سوف يموت حتى وإن لم يكونوا في وضع يستطيعون فيه ان يفهموا كلّيّاً سرّ تدبير الله ، كما لم يفهموا قيامته بصورة كاملة أو كل ما كان ليجري فيما بعد . كل ذلك كان بعد مخفياً لديهم ، لذلك بالضبط حزنوا . لقد رأوا اناساً يقيمون الموتى لكنهم لم يروا أبداً أحداً يقيم نفسه من الموت خاصة اذا كانت هذه القيامة أبدية . لذلك وإن كلّمهم عن القيامة مرّات عديدة الّا انهم لم يكونوا في وضع يسمح لهم بأن يفهموا كلامه بوضوح ولا كانوا يفهمون شيئاً عن الموت ، ما هو

بالضبط وكيف سيحصل . لذلك كانوا يتبعونه مُعجبين ، وأعتقد من جهتي أنهم كانوا مذهولين بحديثه عن **آلامه** .

لا شيء من كل ذلك جعلهم يكتسبون مروءة بالرغم من كلامه المستمرّ عن قيامته ، لأنه مع ذكر موته كانوا يضطربون عندما يسمعون انه سوف يُهزأ به ويُجلد وما الى ذلك . عندما تذكروا العجائب التي صنعها والموتى الذين أقامهم والعجائب الاخرى التي حصلت على يده ، وسمعوا بالتالي كلماته هذه عن الآلام دُهشوا مفكرين : هل باستطاعة ذاك الذي صنع كل هذه العجائب أن يعاني مثل هذه الآلام ؟ لذلك كانوا متحيّرين يؤمنون حيناً ويضعف ايمانهم حيناً آخر ، ولم يستطيعوا ان يفهموا كلماته . لقد وصل ضعفهم في عدم فهم أقواله بوضوح الى حدّ أن اقترب منه ، مباشرة بعد كلامه عن الآلام ، ابنا زبدى مع أمهما مناقشين اياه حول من سوف يجلس عن يمينه .

● « حينئذ تقدّمت اليه أمّ ابني زبدى مع ابنيها وسجدت وطلبت منه شيئاً . فقال لها : ماذا تريدين ؟ قالت له : قلْ ان يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك » **(متى ٢٠:٢٠-٢١)** .

في إنجيل مرقس يقول : « تقدم اليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدى قائلين : يا معلّم ... أعطنا أن نجلس واحدٌ عن يمينك والآخر عن يسارك في مجدك » **(مرقس ١٠:٣٥-٣٧)** .

كيف يقول الانجيلي متى إن أمّ ابني زبدى اقتربت من الرب ؟ طبعاً لقد حصل الأمران ، لأنهما اتخذا أمهما وسيطةً بهدف دعم طلبهما ، وبهذه الطريقة يمكن أن يستعطفا السيّد . ما يؤيّد كلامي في أن الطلب يعود اليهما وانهما استخدما أمّهما بسبب الحياء هو طريقة إجابة المسيح على سؤلهما . لكن الأفضل

لنا أوّلاً ان نعرف ماذا يطلبان بالضبط ، وبأي استعداد يطلبانه ، وما الذي دفعهما الى ان يتصرفا بهذه الطريقة .

ما هو دافع هذه المبادرة ؟ كانا يريان انهما ينعمان بالتكريم من قبل الناس الآخرين ويرجوان بسبب ذلك أن يُستجاب لطلبهما . لكن ماذا كانا يطلبان بالضبط ؟ اسمع الانجيلي الآخر يعلن ذلك بوضوح إذ يقول : « لانه كان قريباً من اورشليم وكانوا يظنون ان ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال » (لوقا ١٩ : ١١) . كانا يعتقدان أن **ملكوت الله** قريب منهما **وأنه حسيّ** ، وأن أيّ سوءٍ لن يصيبهما إن حصلا على ما يطلبانه ، لأنهما لم يطلبا ملكوت الله من أجل الملكوت بحدّ ذاته بل لكي يهربا من المساوىء . لذلك في البداية يُبعد المسيح عنهما هذه الافكار قائلاً لهما أنه ينبغي لهما أن يواجها مذابح وأخطاراً وأشرّ المساوئ .

● « فأجاب يسوع وقال : لستما تعلمان ما تطلبان . أتستطيعان أن تشربا الكأسَ التي سوف أشربها انا ، وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا ؟ قالا له : نستطيع . فقال لهما : أمّا كأسي فتشربانها ، وبالصبغة التي أصطبغ بها أنا تصطبغان ، وأمّا الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه الّا للذين أُعدّ لهم من أبي » **(متى ٢٠ :٢٢–٢٣)** .

لا يضطربنّ أحد من أن حالة التلميذين الروحية كانت ضعيفة للغاية ، لأن صلب الرب لم يكن قد تم بعد كما ان نعمة الروح القدس لم تكن بعد قد أُعطيت ، إلّا أنك ان اردت ان تتعرّف الى فضيلتهما فابحث عنهما بعد هذه الاحداث ، وسوف تجدهما فوق كل هوى وشهوة . لذلك يُظهر الرب نواقصهما لكي ترى بالتالي كيف أصبحا بقوّة نعمة الله . لم يطلبا شيئاً روحياً ولم تكن لديهما اية فكرة عن **ملكوت السماوات** ، وهذا يتضّح مما قلناه سابقاً . فلنفحصْ نحن من جهتنا كيف اقتربا منه وماذا قالا :

« نريد ان تفعل لنا كلَ كما طلبنا » (مرقس ١٠ : ٣٥) . فأجابهما السيّد « ماذا تريدان أن أفعل لكما ؟ » (مرقس ١٠ : ٣٦) . سألهما هذا لا لأنه يجهل طلبهما بل ليضطرهما ان يكشفا عن الجرح ، وهكذا يستحضر العلاج . أمّا هما فقد امتلا خجلاً لأنهما اتخذا هذه المبادرة انطلاقاً من شهوة بشرية ، لذلك اخذاه على حدة بعيداً عن بقية التلاميذ وسألاه . ذلك لأنه يقول : « اقتربا منه قريباً جداً » (مرقس ١٠ : ٣٥) حتى لا يسمعهما التلاميذ الآخرون ، وقالا له ما يريدان بحسب رأيي ، كونهما سمعا « تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً » (**متى ١٩ : ٢٨**) أخذا يريدان أن يرأسا هذا المجلس . وكانا يعلمان ان الربّ يكرّمهما بصورة خاصة امام التلاميذ الآخرين ، لكنهما كانا يخافان من بطرس . لذلك قالا للرب : « قلْ أن يجلس . . . . واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك » . كانا اذاً يضغطان عليه قائلين مرْ بذلك .

ماذا فعل الرب ؟حاول بجوابه ان يجعلهما يدركان أنهما لا يطلبان شيئاً روحياً ، ولو عرفا ماذا يطلبان لما تجرآ على ان يطلباه بهذه الطريقة . قال لهما « لستما تعلمان ما تطلبان » لأن طلبكما شيء كبير للغاية ، عجيب هو ويفوق القوات السماوية ثم أضاف :

« أمّا كأسي فتشربانها ، وبالصبغة التي أصطبغ بها انا تصطبغان ، امّا الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه الّا للذين أُعدّ لهم من أبي » (متى ٢٠ : ٢٣) . أرأيت كيف حرّرهما من تلك الفكرة مكلّما اياهما بعكس طلبهما ؟ فهو يقول : أنتما تتكلّمان عن الإكرام والأكاليل ، امّا انا فأكلمكما عن جهادات وأعراق . **هذا الزمن ليس زمن جوائز ولا ينبغي الأن أن يظهر مجدي** . الوقت الحاضر وقت ذبيحة حروب وأخطار . لاحظوا كيف يحثّهما بسؤاله ويجذبهما ! لم يقل لهما تستطيعان ان تضحّيا بنفسيكما أن تسفكا دمكما ، بل قال « أتستطيعان ان تشربا الكأس التي سوف أشربها » ؟ هكذا

يجعلهما يتعلّقان به أكثر فأكثر ثم **يدعو آلامه معمودية** لكي يُظهر ان تطهير المسكونة الذي ينتج عن الآلام الحاصلة سوف يكون عظيماً جداً.

قالا له « نستطيع » هذا من غيرتهما. وعدا للحال دون أن يعرفا حتى معنى ما يقولانه. لكنهما أجابا راجيين ان يُستجاب طلبهما. ماذا قال الرب: « الكأس التي اشربها سوف تشربانها، والمعمودية التي أصطبغ بها سوف تصطبغان أنتما بها ». بهذه الكلمات تنبأ لهما عن خيرات عظيمة جداً، اي انهما سوف يؤهّلان أن ينالاهما أيضاً شهادته وموته، وسوف يعانيان ما سيعاني، لأنهما سيكملان حياتهما بالموت الشنيع فيصيران هكذا شركاء لآلام الرب.

● « اما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي ان أعطيَه الّا للذين أعدّ لهم من أبي » **(متى ٢٠:٢٣) (مرقس ١٠: ٤٠).**

بعدما ملأ نفسيهما شجاعة وجعلهما يرتفعان روحياً حتى لا يستطيع الحزن أن يتسلّط عليهما، يصحّح الآن طلبهما. لكن ماذا تعني بالنهاية كلمات الرب هذه؟ يقدّم الكثيرون تفاسير مزدوجة: التفسير الأول هو جواب على السؤال إن كان قد أُعدّ للبعض أن يجلسوا عن يمينه. والتفسير الثاني جواب على السؤال ان كان الربّ، سيّد هؤلاء الذين أُعدّ لهم، لا يملك القدرة على ان يمنحهم هذا الامتياز. ماذا تعني اذاً كلمات الربّ؟ إن حللنا المسألة الاولى، تسهل الاجابة على الثانية. ما هو المعنى اذاً؟ لن يجلس أحد لا عن يمينه ولا عن يساره، لأن عرشه لا يُقترب اليه من الجميع بصورة عامة. لا أقصد فقط الناس والقديسين والرسل، بل أيضاً الملائكة ورؤساء الملائكة والقوات السماوية بأسرها على ما يُظهره بولس بتأكيده أن الأمر لا يعرفه الّا الابن الوحيد بقوله: « لِمَن من الملائكة قال قط اجلس عن يميني؟ ...

وعن الملائكة يقول الصانع ملائكته رياحاً ... وأمّا عن الابن عرشك يا الله » (عبر ١: ١٣، ٧، ٨).

لماذا اذاً يقول « وأمّا الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أُعطيَه » (متى ٢٠ : ٢٣) ، وكأن البعض جالسون هناك ؟ لا يقول ذلك قاصداً أشخاصاً معينين جالسين هناك . لا يذكر هذه الفكرة مطلقاً ، بل يجيب عن سؤالهما **مُظهراً تنازلاً أمام روحانيتهما الضعيفة** ، لأنهما لم يعرفا بعدُ ذلك العرش الرفيع ولاجلوسَ الابن عن يمين الاب ، كما كانا يجهلان في تلك اللحظة ما هو أدنى من ذلك بكثير بالرغم من سماعهما الأمر خارجاً من فمه كلّ يوم . كانا يطلبان شيئاً واحداً : ان يتمتّعا بالأوليّة وبالتقدّم على الآخرين وأن لا يسبقهما احد امام الربّ . كما ذكرتُ سابقاً ، كان يتكلّم أمامهما عن اثني عشر عرشاً ، لذلك لم يفهما المعنى العميق لكلامه هذا فأخذا يطالبان بالجلوس على المقاعد الاولى .

كلمات المسيح لها المعنى التالي : سوف تموتان طبعاً من أجلي وتُذبحان من أجل البشارة وتعانيان آلامي نفسها ، لكن كل هذا لا يكفيكما حتى تتمتعا بالجلوس في الأماكن الأولى . فلو جاءني انسان مات شهيداً أو أكتسب في حياته فضيلة تفوق فضائلكما بكثير لن أخذله لمجرّد محبّتي لكما وتفضيلي إياكما على الآخرين . لن أرذل ذاك الذي يلمع من جرّاء أعماله وأعطيكما الأوّلية . لم يقل لهما طبعاً هذا الكلام حتى لا يحزنهما بل قال « أمّا كأسي فتشربانها وبالصبغة التي أصطبغ بها أنا تصطبغان ، وأمّا الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه الّا للذين أُعد لهم من أبي » **(متى ٢٠ : ٢٣)** .

لكن لِمَن أعِدّ الجلوس عن اليمين؟ لأولئك الذين يستطيعون أن يصيروا ممجّدين من جرّاء أعمالهم . لذلك لم يقلّ « ليس لي ان أعطيه ، هو من صلاحية أبي » ، وإلّا فهم السامع أن الرب لا يستطيع ان يُعطي ذلك وأنه لا يملك قدرة على منح الصالحات . بل قال : « ليس لي ان أعطيه إلّا للذين أُعدَّ لهم من أبي » . حتى يتّضح كلامي أكثر أشرحه متخذاً المثل التالي : لنفترض أن هناك انساناً يدير سباقاً وأن رياضيين كثيرين أتوا لكي يشتركوا في السباق ، اثنان منهم معروفان جداً لدى المدير . هذان الأخيران ، استناداً الى عطفه وصداقته ، اقتربا

منه وطلبا أن يتصرّف بطريقة معيّنة لصالحهما لكي ينجحا وينالا النصر . لكن الرئيس قال لهما :

لا يحق لي أن أفعل ذلك لأن النصر سوف يناله هؤلاء **الذين أعدّوا له** ، **الذين تعبوا وعرقوا من أجله** . هل باستطاعتنا بعد هذا القول أن ننسبَ إليه عدم القدرة ؟ طبعاً لا ، بل بالعكس ، سوف نعترف انه عادلٌ وغير متحيّزٌ .

لذلك لا نستطيع ان نقول إن المدير ليس له القدرة كونه لم يعطهما الجائزة . هدفه ألّا يلغي قانون السباق ولا يزعزع مسيرةَ العدل . كذلك نستطيع ان نقول إن المسيح جاء بكلماته هذه بهدف دفع تلميذيه بكل طريقة ليؤسّسا رجاء خلاصهما وتقدّمهما على اساس الفضيلة وعلى إنجازاتهما الشخصية التي تحصل **بعون الله ونعمته** . لذلك يقول : « للذين أُعد لهم من أبي » . ماذا يحصل لو جاء أناس أفضل منكما ؟ ان قاموا بأعمال أعظم ؟ أو تعتقدان انه كونكما تلميذيّ سوف تنعمان بالاوّلية ؟ إن لم تبرهنا بذاتكما أنكما أهلٌ للاختيار ؟

من الواضح ان الرب هو سيّد الكون لانه سوف يدين الخليقة كلها ، إذ يقول ما يلي لبطرس : « وأُعطيك مفاتيحَ ملكوت السماوات » (متى ١٦ : ١٩) . ويدلّ بولس على ذلك أيضاً عندما يقول : « وأخيراً قد وُضع لى إكليلُ البرّ الذي يهبه لي في ذلك اليوم الربّ الديان العادل ، وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبّون ظهورَه أيضاً » (٢تيمو ٤ : ٨) . لقد ظهر المسيح فعلاً للعالم ومن الواضح ان لا أحد سوف يسبق بولس . ولا تعجبْ من ان الرب قد كلّم تلاميذه بطريقة غير واضحة لأنه كما قلنا **أراد ان يُظهر تنازلَه الكامل** ، أن يحفظهم بكلماته حتى لا يزعجوه بطريقة غير لائقة وباطلة في موضوع الاوّلية (الأمر الذي حصل لهم من جراء ضعفهم الانساني) ، ولم يردْ من جهة أخرى ان يحزنهم فتكلم بغير وضوح للهدفين المذكورين سابقاً .

● « ولمّا سمع العشرة اغتاظوا من أجل الآخرين . فدعاهم يسوع وقال لهم :

أنتم تعلمون ان رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلّطون عليهم ، فلا يكن هكذا فيكم : **بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً ، ومن اراد ان يكون فيكم اوّلاً فليكن لكم عبداً** » (**متى ٢٠:٢٤-٢٧**) .

« لمّا » : متى ذلك ؟ عندما فاجأهم بكلامه . طالما ان تفضيل التلميذين على الآخرين كان قراراً صادراً عن المسيح لم يتذمّر الباقون . كانوا يرون هذا التفضيل ويصمتون لأنهم كانوا يحترمون المعلّم ويكرّمونه . حتى ولو انزعجوا في فكرهم ، ما كانوا يتجرّأون على التعبير عن ذلك . ففي حالة بطرس عندما أعطاه الدرهمين (متى ١٧:٢٤-٢٧) ، بالرغم من ظهور ضعفهم البشري لم يتذمّروا ، بل اكتفوا بالسؤال « من هو الأعظم » (متى ١٨:١) . لكن هنا يصدر الطلب عن التلاميذ ، لذلك أخذ الآخرون يتذمّرون . لم يتذمّروا للحال عند طلب التلميذين إذ فاجأهم المسيح وقال لهم : لن يتنعما بالأوّلية ان لم يبرهنا بنفسيهما انهما أهل لذلك .

أرأيتَ كم كانت ضعيفةً روحانيةُ تلاميذه كلّهم حتى إن الاثنين حاولا ان يفرضا نفسيهما على العشرة الآخرين ، والآخرون يحسدونهما . لكن ، كما قلتُ سابقاً ، أرجو منك ان تنظر اليهم بعد كل هذا وتراهم محرَّرين من هذه الأهواء كلّها . اسمع اذاً كيف أن يوحنا نفسه الذي يحاول الآن أن يسيطر على الآخرين سيمنح في كل مناسبة الأوّليّة لبطرس في الكرازة وفي صنع العجائب (أعمال الرسل ٣:١ . . .) . لا يخفي انجازاته بل يكرز باعتراف ايمانه هذا الذي كان يفعله والآخرون صامتون ، وكذلك يذكر دخوله الى القبر ويقدّم بطرس على نفسه . كان الاثنان موجودين قرب الرب عند صلبه ، ومع ذلك يتجنّب مديحَ نفسه ويقول : « إن التلميذ الآخر الذي كان معروفاً عند رئيس الكهنة » (يوحنا ١٨:١٦) . أمّا يعقوب فلم يعش وقتاً طويلاً لكنه أظهر منذ البداية ايماناً حاراً ، وترك كل الدنيويّات فوصل الى علوّ فائق جعله يُستشهَد . هكذا وصل الجميع لاحقاً الى درجات سامية من الفضيلة ، إلّا أنهم الآن يتذمّرون .

ماذا فعل المسيح ؟ « فدعاهم يسوع وقال : أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم

يسودونهم والعظماء يتسلّطون عليهم » (متى ٢٠:٢٥) . لقد اضطربوا وخافوا ، لذلك هو يهدّؤهم . وقبل أن يكلّمهم دعاهم ليقتربوا منه ، لأن الاثنين كانا قد انفصلا عن الباقين واقتربا جداً من الرب متكلّمين معه على انفراد . لذلك دعا الباقين الى جانبه مريداً بهذه الطريقة أن يسخر من طلبهما ويفضحه امام الآخرين مداوياً بذلك هوى هؤلاء وأولئك . لم يداوِ هواهم هذا في الوقت الحاضر كما فعل سابقاً . ففي الحالة السابقة أتى بالأولاد الى الوسط وحثّهم على التشبّه ببراءتهم وتواضعهم ، أما في الحالة الحاضرة فيحثّهم بلهجة قاسية وببراهين معاكسة قائلاً : « إن رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم كعبيد . فلا يكن هكذا فيكم . بل من أراد ان يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً ، ومن اراد ان يكون فيكم أوّلاً فليكن لكم عبداً » (متى ٢٠:٢٥–٢٧) . يدلّ هكذا على ان **من ميزة الأمم الوثنية ان يفتشوا دائماً عن الاوّلية** .

في الواقع يتسلّط هذا الهوى على الرجال الكبار بصورة مستمرّة ويزعجهم . لذلك بالضبط **يحتاج الى جرح أعمق** . يتقدّم يسوع في العمق اكثر ويهدّىء نفوسهم الغاضبة مقدّماً مثل الأمم الوثنية ، وفي الوقت ذاته يداوي حسد البعض وتعظّم الآخرين قائلاً ما معناه : لا تتذمّروا وكأنكم قد شتمتم ، فالذين يطالبون بالأوليّة بهذه الطريقة يتأذون ويخزون لأنهم يُجعلون في مصفّ الآخرين . تعاليمنا لا تشبه تعليم الوثنيين لأن رؤساء الأمم يسودون شعبهم ، بينما ، انسجاماً مع تعاليمنا ، **الذي يخدم الآخرين هو الذي يستحق الأوّلية** .

هذا الحديث ليس مجرّد كلمات لأنكم تأخذون برهاناً عليه من أعمالي وآلامي . ولكن قد فعلتُ اكثر من ذلك ، فبالرغم من كوني ملك القوّات السماوية الّا أني أردت أصير انساناً وقبلتُ ان يُزدرى بي وان أُشتم ، ولم اكتفِ بذلك بل وصلتُ الى الموت نفسه . لذلك يقول **(متى ٢٠:٢٨)** « **كما ان ابن الانسان لم يأتِ ليُخدم بل ليخدَم وليبذل نفسه فديةً عن كثيرين** » . لم أقف عند هذا الحدّ بل أعطيتُ نفسي فديةً عن كثيرين . ولِمَن قدّمتُ هذه التضحية ؟

من اجل أعدائي . إن تواضعتَ أنت فإنك تفعل ذلك من اجل نفسك ، أما أنا فتواضعتُ من أجلك .

لذلك لا تخشَ ، إن فعلتَ ذلك ، أن تخسر من قيمتك فإن تواضعتَ لن تستطيع ان تنزلَ الى مثل هذه الدرجة السفلى التي نزل اليها الربّ ، لكن التواضعَ هذا أصبح سبباً لرفع الناس كلّهم وساهم في أن يشعّ مجد المسيح . قبل ان يُصبح انساناً ، كان معروفاً فقط من الملائكة ، لكنه عندما أصبح انساناً وصُلب لم ينقص ذلك المجد بل ازداد بمعرفة المسكونة كلّها له . فلا تخف اذاً من الفكرة انك سوف تخسر من قيمتك إن تواضعت[١] ، لأن **التواضع** يزيدك مجداً فيُصبح مجدك أعظم . **هذا هو باب ملكوت السماوات** . فلا نسلكنّ الطريق العكسيّة ، ولا نجنينّ على انفسنا لأننا إن اردنا ان نصيرَ عظماء لن نصبح كذلك بل على العكس سوف نكون أدنى من الكلّ .

أرأيت كيف يعلّمهم في كل ظرف بالأمثال **المعاكسة** لكي يعطيهم مشتهاهم ! لقد أظهر ذلك مرّات عديدة ، فقد تصرّف هكذا في حالة حبّ المال أو حبّ المجد والسلطة . يقول : لماذا تصنع صدقتك امام الناس ؟ ألكي تحصل على مجد ؟ لا تفعل ذلك تتنعّم بالمجد . لأي هدف تكنز كنوزاً على الأرض ؟ ألكي تغتني ؟ لا تكنز كنوزاً ههنا تصبح غنياً هناك . كذلك يقول في الحالة الحاضرة : لماذا تتهوّس للأوّليّة ؟ أتريد أن تتقدم على الباقين؟ إختر الصف الأخير، عندها تحصل على الأوّلية. إن أردتَ ان تكون كبيراً لا تطالب بذلك ، وعندها تصير كبيراً لأن مطالبتك بالكبر تجعلك صغيراً .

---

(١) في هذا الموقف المتواضع حسب القديس لا نجد علامة للجبن كما يعتقد البعض من الشعب بل علامة للرفعة والكرامة والمجد.

٢- أحد القديسة مريم المصريّة

ربّما لم تعرف القديسة مريم المصريَّة الحياةَ التي خصّها بها القديس صفرونيوس في ترجمته المشهورة. حسب الدراسات الحديثة حول هذا الموضوع، كان المقصود منها بالأحرى توسيعاً خرافيًّا، بهدفٍ إرشاديٍ، لحياة مريم القديسة الفلسطينية التي تذكرها حياةُ القديسة تيوكتيستي (theoctiste de lesbos) وقصّتان من Paul de Monembasie وقصة «مفيدة للنفس» مجهولة الكاتب.

من خلال حياة القديسة ثيوكتيسيتي المثبتة بواسطة كيرلّس سيكثوبولس في حياته عن القديس كرياكوس، عاشت فعلاً مريم المصرية في فلسطين حيث عُرف قبرها وكُرِّم. كانت مرتّلة في «القيامة» واختارت ان تهرب وحدها إلى الصحراء بسبب «العثرات» التي سبّبها جمالها في بعض الأحيان. لقيها جوهانس وبنامون في الصحراء في ظروف مشابهة للتي حصلت مع زوسيماس حسب «السيرة» الشعبية المعروفة. أخبرتهما عن انطلاقها الى الصحراء، عن حياتها النسكية الرهيبة «خلال ١٨ سنة وليس ٤٠)، وأوصتهما بأن يعودا للقياها عند عودتهما لزيارة الاب كرياكوس. عندما عادا الى مغارة القديسة المتوحّدة وجداها ميتة على مثال مريم المصرية فدفناها.

نرى إذاً إلى جانب بعض التفاصيل الخرافية والتي تُبرّر من الناحية الروحية، ان قصة القديسة مريم المصرية تبقى بصورة أساسية مطابقة لقصة مريم الفلسطينية الفرق الكبير الوحيد الذي أضافه القديس صفرونيوس بصورةٍ اصطناعيةٍ أو استعاره من قديسة أخرى يكمن في سيرة مريم قبل انطلاقها الى الصحراء.

يبرزها صفرونيوس خاطئة كبيرة ، مصابة بشبق النساء ، لم تقصد فلسطين إلّا لأنها مقيدة مرضياً بالفجور (وهذا يكشف من جهة أخرى الطابع غير المنطقي الذي للهوى) . إلا أن مريم الفلسطينية تبدو غيرَ مستعبدة لمغرياتها التي كانت تجذب بها الآخرين ، فانعزلت في الصحراء بالضبط لكي تتجنّب الخطيئة .

حتى لو كانت قصة صفرونيوس لا تطابق الحقيقة ، فهي ، بطابعها النموذجي والإيحائي ، جعلت من مريم المصرية واحدة من القدّيسات الأكثر شعبية في الكنيسة الارثوذكسية . تثبتت خدمتها العبادية حتى قبل انتشار سيرة القديس صفرونيوس ، وأول إشارة واضحة لعيدها خلال الصوم تعود الى القرن الحادي عشر . إصرار صفرونيوس على خطايا مريم وعلى طابع الإكراه الذي لأهوائها ، مخفياً تماماً عنها كل قدرة عقلية ودافعاً إياها رغماً عنها إلى الخطيئة ، هذا الأصرار ساهم في إبراز أكثر للطابع الساطع والعجائبي لارتدادها .

حالما فهمت الاشارة الإلهية التي منعتها من دخول الكنيسة وراء الرجال الذين اشتهتهم ، وحالما وعت بنعمة الله خطيئتها أتمّت مريم دون تأخر « **التحوّل** » **الجذري للكيان** الذي تستلزمه **التوبة** (Métania) بذهابها الى الصحراء والعيش هناك حياةَ توبة وتقشف حيث مارست الزهد بالمقدار عينه من الجنون الذي كانت أظهرته سابقاً في حياتها الخاطئة .

سمح مثال مريم لناظمي التسابيح باستخلاص دروس روحية للمؤمنين الملتزمين طريق التوبة خصوصاً في ما يتعلق بالطابع الجذري لتبدّل سلوكها ولاهتدائها الحاصلَيْن بالتوبة . يعبّرون عن هذا التبدل بمقاطع تعارضيَّة وتناسقيَّة ، على مثال الأسلوب الكثير الاستعمال في التسابيح البيزنطية التي تتعلق بالآلام والفداء ، والتي تقدّم الخلاص على انه شفاء المثل بالمثْل : شفاء آدم الأوّل بآدم الثاني ، إبادة الموت بالموت والهوى بآلام المسيح الخ . . .

« إن التي بشصّ ألحاظ جسدها اقتنصت كثيرين وبلذةٍ يسيرةٍ صيّرتهم مأكلاً

للشيطان قد صِيْدت حقاً بنعمة الصليب الكريم الالهية وصارت للمسيح طعاماً لذيذاً »[١] .

كما أن الصليب « عكس أقطاب » الزمن ، هكذا عندما يفعَّل **بالتوبة المقترنة بالنسك** فهو يعكس أقطاب طريقة الحياة البشرية بتحوّل الانسان من الهوى الى الفضيلة [٢] .

بفضل **التوبة** أصبحت مريم شمساً حقيقيةً ترشد الآن الكثيرين الى الخلاص بعد أن كانت سابقاً سبباً في سقوط كثيرين[٣] .

« أيها المسيح ان قوّة صليبك قد صنعت العجائب لأن التي كانت زانية بدءاً قد جاهدت جهاداً نسكياً ، ولهذا اطّرحت الضعف الطبيعي وقاومت الشيطان بشجاعة . لذلك بما انها اقتبلت جائزة الغلبة فهي تتشفّع من أجل نفوسنا »[٤] .

هذا العبور من الأقصى الى الأقصى **بفضيلة التوبة** الفعّالة جعلت من مريم المصرية مثالاً لكل الرهبان والتائبين ، خاصة خلال الصوم الكبير حيث المقصود

---

(١) الاحد الخامس، الاودية الخامسة، القانون الثاني، الطروبرية الثالثة.

(٢) أنظر القنداق باللحن الثالث:
«يا مريم المجيدة، إنك كنت بدءاً متوحّلة في أنواع أدناس الزنى، وقد ظهرتِ اليوم بالتوبة عروساً للمسيح الإله لما ضارعتِ سيرة الملائكة وبسلاح الصليب لاشيت الشياطين، لذلك ظهرتِ عروساً للمملكة، السماوية».

(٣) العودة او التحوّل هي تحوّل حواسها، تحوّل ضميرها، تغيّر كل أعمالها نحو الخيرات العلويّة:
«إن رجس الأدناس السالفة الممتدّ كان يصدّك عن مشاهدة الأشياء المقدّسة، إلّا ان ضميرك المتألّه العزم وإحساسك بالمفعولات منكِ صنع لك الرجعة الى ما هو أفضل...» (الأحد الخامس، الغروب).

(٤) الاحد الخامس، ذكصا الغروب.
لقد أدركت الجحيم من جرى خطاياها، لذلك خلّصها المسيح غالب الجحيم (الاحد الخامس، الاودية الثالثة، القانون الثاني، الطروبرية الاولى).

فعلاً الاقتداء بها والذهاب الى « الصحراء » ليطهروا أنفسهم من الأهواء بنضال النسك[٥] . نتأمل حياتها في الأحد الخامس ، لكننا في الواقع نتابع التأمل الذي بدأناه الخميس السابق حين قرأنا سيرة حياتها بحسب القديس صفرونيوس موضّحةً في خدمة التوبة للقانون الكبير بحسب القديس اندراوس الكريتي .

تظهر القديسة مريم المصرية بصورة خاصة نموذجاً لفعالية النسك وقدرته على إعطاء التوبة كل لمعانها وعلى اصلاح الكائن الساقط من شرفه الآدمي :

« أيتها البارة العفيفة لمّا جهلتِ الأوامر الإلهية دنّست صورة الله الإلهيّة . إلّا انك بالعناية الإلهية طهّرتها أيضاً يا ذات كل مديح وتألهتِ بالافعال الإلهية »[٦] .

إن مآثر مريم النسكية قد رفعتها الى مرتبة الأخلاق الملائكية ، وجعلت منها ملاكاً بالجسد » بالرغم من الضعف المقرون بطبيعتها . على غرار القديس يوحنا السلّمي ، هي خلاصة حيّة لكل الفضائل ، لكن هذه المرّة كون هذه الفضائل تساهم في إثمار التوبة :

« أيتها البارة لقد حسمت بسيف الإمساك الفخاخ النفسانية وأهواء البشرة ، وبصمت النسك خنقت الخطايا الفكرية ، وبمجاري عبراتك روّيتِ كل البرّية وأينعتِ لنا أثمار التوبة ، فلذلك نعيّد لتذكارك »[٧] .

توبتها وحياتها في الصحراء جعلا منها « أيقونة » للتوبة بالمعنى الحقيقي نكرّمها بحق لنتمثّلها ونقتدي بها ، ونشترك هكذا بالنعمة التي ألّهتها .

---

(٥) تتُخذ نموذجاً في المواعظ للرهبان:
أنظر مواعظ القديس ثيوذورس الستوديتي ٢٠و٩٣ .

(٦) الاحد الخامس، الاودية الاولى، القانون الثاني، الطروبرية الثالثة.جاء في طروبرية الأبرار: «فيك ايتها الأم البارة حُفظت الصورةُ بدقّةٍ»

(٧) الاحد الخامس، ذكصا أبوستيخن الغروب.

« يا مريم البارة ، بما أننا حويناك نموذجاً للتوبة ، توسّلي الى المسيح أن يمنحنا إياها في أوان الصيام لكي بإيمان وشوق نمدحك بالتسابيح »[٨] .

إن لأحدَيْ القديس يوحنا السلّمي والقديسة مريم المصرية الوظيفة نفسها . فهما يقدّمان للمؤمنين الذين يقتربون من هدف جهاداتهم أمثلةً حيّة ، « أيقونات » للحياة الروحية منظور اليها بحسب بُعديْها الجوهريين :

الإمساك (Engrateia) = **القديس يوحنا السلّمي**

والتـــوبـــــة (Métanoia) = القديسة مريم المصرية .

نستطيع أن نتساءل على الصعيد العملي والتوازن الروحي في التريودي إن كان من الأفضل أن يأخذ هذان العيدان مكانهما في بداية الصوم . لكن تاريخ نظام الأعياد الثابتة المنقولة جعلهما في الأخير ، فاكتسبا منذئذٍ معنىً خاصاً مستمداً من مكانتهما في بنية التريودي .

إدخالهما بعد عيد الصليب ، في حين يجري التحضير من بعيد لسبت لعازر وأحد الشعانين ، يسمح بتحريك غيرة المؤمنين عن طريق الإظهار لهم ان الفضائل التي هم مدعوون اليها ليست مثاليّات مجرّدة لكنها تحقّقت فعلاً عند القدّيسين .

نستطيع الملاحظة من جهة أخرى أن هذه النماذج الحيّة للحياة الروحية ولتحقيق الخلاص بحياة الصليب ما هي الّا تحضير غير مباشر للجوّ المؤثّر لأسبوع الآلام الذي يبدأ من الأسبوع السادس . وفي موضوع الصلاة الى **القدّيسين** ، هؤلاء هم انجازات جزئية لكن حقيقية للكمال الالهي- الإنساني للمسيح . فإذ تبعوه في آلامه عن طريق الاستشهاد بالدم وعن طريق النسك ، وبعد أن اخترقتهم قوّة الروح القدس الأقنومية ، أصبح القديسون في الكنيسة مسحاء ، إتمامات « للتصميم » الإلهي نحو الإنسان ، الذي هو على حدّ قول القديس مكسيموس المعترف « إتمام تجسّده في كل شيء » .

(٨) الإكسابستلاري، الاحد الخامس.

• **خلاصة :**

دورة الآحاد والأعياد الثابتة المنقولة الى التريودي تنبسط اذاً كتدرّج يوصل الى الأسبوع العظيم وإلى تكرار شخصي لخبرة المعمودية عند كل واحد. بعد الوعظ الأوّلي للفترة التحضيرية، يشكّل الاحدان الأوّلان المرحلة الأولى من الدخول في سرّ المسيح بالإيمان، ثم يأتي عيد الصليب من حيث مركزه في وسط الصوم فيصف روحانية الصوم بمثابة « صلب روحي » وتوقع إرادي للآلام.

أخيراً أحدا القديس يوحنا السلّمي، والقديسة مريم المصرية يعرضان أمثلة حيّة من الحياة في المسيح حسب نمطي النسك والتوبة الجوهريين.

اقامة لعازر

١ - السنكسار

في هذا السبت قبل الشعانين نعيّد لإقامة القديس لعازر الصدّيق، حبيب المسيح، الرباعي الأيام، من بين الأموات.

القديس لعازر الصدّيق حبيب ربّنا يسوع المسيح كان عبراني الجنس وفريسي المذهب. وُلد في بلدة بيت عنيا في اليهودية والواقعة شرقي جبل الزيتون على بعد كيلومترين ونصف من مدينة أورشليم. والده هو سمعان الفريسي وأختاه مريم ومرتا اللتان يتكلم عنهما الإنجيل.

في ذلك الزمان كان ربنا يسوع المسيح يعلّم ويطوف اليهودية من أجل خلاص الناس. وكثيراً ما كان يزور سمعان الفريسي في بيته ويتكلّم معه لأنه كان يؤمن هو أيضاً بالقيامة من بين الأموات. وكان يتردد الى منزله فأخذ يحبّ كل من كان يتواجد في ذلك المنزل أي لعازر واختيه مريم ومرتا اللتين كثيراً ما كانتا تخدمانه (يوحنا ١٢:٢-٣). عندما اقترب زمن آلام ربنا يسوع المسيح الخلاصية وكان يجب ان يكرز بسرّ القيامة الإلهية وبتحقيقها، حينئذ قام الرب بفعل تلك العجيبة العظيمة. لقد سبق فأقام ابنة يائير من الموت (**متى ٩:١٨** ...) وابن أرملة نائين (**لوقا ٧:١١-١٧**)، لكن حادثة اقامة لعازر العجائبية تخطّت الأحداث السابقة لأن لعازر عندما أقيم كان له أربعة أيام ميتاً مدفوناً في القبر. والحادثة هي كما يلي:

في الأيام التي مرض فيها لعازر كان الرب مع تلاميذه عبر الأردن. عندما رقد لعازر علم الرب بذلك بمعرفته الإلهية وقال لتلاميذه: «إن صديقنا لعازر

راقد » (يوحنا ١١: ١١) . فظن أولئك أنه يتكلم عن رقاد النوم فقال لهم أيضاً : « لعازر قد مات » (يوحنا ١١: ١٤) . وبعد يومين أخذ الرب تلاميذه وترك الأردن عائداً الى اليهودية . جاء الى بيت عنيا فخرجت مرتا لاستقباله وقالت له : « يا رب لو كنت ههنا لما مات أخي . لكني الآن أيضاً أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه » (يوحنا ١١:٢١- ٢٢) . سأل الرب أين وضعتموه **وبكى عليه (يوحنا ١١:٣٥)** . فذهب الجميع الى القبر وهناك أمر الرب برفع الحجر . فحاولت مرتا أن تمنعه قائلة : « لقد أنتن لأن له أربعة أيام » (يوحنا ١١: ٣٩) . فزجرها الرب ، ورفعوا الحجر ، وصلّى الى الآب وصرخ بصوت عظيم : « لعازر هلمّ خارجاً » (يوحنا ١١:٤٣) . وللحال نهض الميت وخرج من القبر كما دُفن ملفوفاً ومربوطاً بالأقمطة . فحلّوه بناء على طلب يسوع وذهب الى بيته والكل متعجّب للأمر .

أثارت هذه العجيبة الغريبة **حسد رؤساء الكهنة والفريسيين** وجعلتهم يتآمرون عليه ويطلبون ليس موته فقط بل موت لعازر أيضاً ، ولذلك اعتزل في مدينة تدعى أفرايم . أمّا **لعازر فهرب الى قبرص** حيث سيم رئيس كهنة من قبل الرسل القدّيسين على مدينة الكيتيين (لارنكا اليوم) . ويُقال إنه بينما كان لعازر هناك والعذراء والدة الاله بعد على قيد الحياة خاطت له أوموفوريوناً وألبسته إياه . عاش لعازر ثلاثين سنة بعد إقامته من الموت وسار سيرة حسنة جداً ، ثم رقد ثانية في سنة ٦٣ بعد المسيح ودُفن في مكان خارج مدينة كيتي وصنع عجائب كثيرة . ولم يزل القبر الثاني هذا حتى اليوم يحمل كتابة تقول : « لعازر الرباعيّ الأيام حبيب المسيح » .

ويُقال عن لعازر الصدّيق انه طيلة حياته بعد أقامته من الموت لم يتناول شيئاً من الطعام بدون حلو ، وانه لم يضحك أبداً إلّا مرّة واحدة عندما جاء أحد ليسرق إناءً فخارياً . عندها ابتسم وقال له : « إنَّ التراب يسرق أخاه التراب » . كل هذا كان يفعله لأنه كان يتذكر دائماً الموت المرّ والهلاك الرهيب جداً . لكنه

لم يذكر شيئاً البتة عن الجحيم وذلك لسببين : إمّا لأن الرب لم يسمح له بذلك ، أو لأنه لم يرَ شيئاً بتدبير من الله . وقد نقل رفاته الى القسطنطينية الملك لاون الحكيم في سنة ٨٩٠ ووضعها عن يمين المذبح في هيكل كنيسة القديس لعازر التي بناها وكانت دائماً تفيض رائحة زكية .

وقد عيّن آباؤنا المتوشحون بالله هذا اليوم ليعيَّد لإقامة لعازر الصدّيق قبل آلام ربنا يسوع المسيح الخلاصية . ذلك أن هذه العجيبة ، اكثر من أية عجيبة أخرى ، كانت فرصة انتهزها اليهود ليأتمروا على المسيح ويقرروا قتله . كتب عنها الانجيلي يوحنا ، ولم يذكرها الانجيليون الآخرون لأن لعازر كان على قيد الحياة في زمانهم وكانوا يرونه ولذلك اعتبروا الكتابة عنه غير ضرورية . أمّا الانجيلي يوحنا فقد كتب إنجيله بعد موت لعازر حتى لا ينسى الشعب مثل هذه العجيبة العظيمة . ويقال انه روى هذه الحادثة وما يختص بألوهية المسيح في ولادته الأزلية لكي يظهر الحقيقة وهي **ان المسيح هو ابن الله وهو الله** ، وانه قد قام وأن القيامة من بين الأموات حقيقة كما يتبين من إقامة لعازر أوّلاً .

انطلاقاً من لعازر الإلهي هذا نسمّي كل مائت « لعازر » ولباس الأموات « لعازريات » وسباني أيضاً . وذلك ربّما لنتذكر في حادثة كل ميت أننا جميعاً سوف نقوم في يوم مجيء ربنا يسوع المسيح الثاني . كما قام لعازر نفسه .

إن حادثة اقامة لعازر من الموت صورة لقيامة المسيح ولقيامتنا ، لأنه كما بكلمة من ربنا يسوع نهض لعازر هكذا يكون الحال مع كل مائت منذ الدهر ينهض عند صوت البوق ويحيا أبدياً .

٢- النصّ الإنجيلي[١]

(يوحنا ١١: ١-٤٦)

أتعلمون لماذا تجتمعون اليوم في الكنيسة أيها المسيحيون المباركون ؟ إن لعازر صديق المسيح هو الذي يدعونا اليوم للعيد ، أو بالأحرى إن قيامته هي التي تجمعنا لكي نعاين أسرار الله وعجائبه : ميت رباعيّ الأيام يقوم من الموت . ميت منتن منحلّ يحيا من جديد ويظهر لنا . الموت يُغلب والجحيم لم يعد باستطاعتها أن تمسك الميت بل حالاً عند أمر المسيح يخرج الميت حيّاً معافى كما كان من قبلُ لأن الربّ ظهر اليوم إلهاً من خلال أعماله . وعلمت الجحيم ، أو بالأحرى الشيطان ، أن أجلها قد دنا ولم يعد لها الّا بضعة أيام . هذا هو الذي دعانا ، ان نجتمع اليوم . فلنصبر اذاً قليلاً حتى نرى كيف قام لعازر ولنستمع الى رواية إنجيل يوحنا وتفسيرها :

● « كان انسان مريض وهو لعازر من بيت عنيا من قرية مريم ومرتا أختها . وكانت مريم هي تلك التي دهنت الربّ بالطيب ومسحت قدميه بشعرها وكان لعازر المريض أخاها » **(يوحنا ١١:١-٢)** .

متى دهنت مريم المسيح بالطيب ومسحت قدميه بشعرها ؟ إن الإنجيلي يروي الحادثة في الفصل ١٢ . ولماذا يذكر ذلك ؟ لأنه يريد ان يُظهر محبتها للمسيح وإيمانها به . لقد دهنته بالطيب في بيت عنيا كما هو مذكور في يوحنا ١٢:٣ .

---

(١) التفسير هو للإيبوذياكون دامسكنيوس من دير ستوديت.

يظهر انها دهنت المسيح بالطيب بعد قيامة لعازر وذلك في بيتها . ويقول الانجيلي كل ذلك حتى لا نظنّ انه يتكلّم عن مريم اخرى كمثل مريم المجدلية أو غيرها . و« كان لعازر المريض أخاها » . مرض مرضاً جسدياً انسانياً ، وكل انسان يعبر هذه الحياة يمرض ويتعب ويشقى . ولا بدّ للعازر هذا الانسان المجبول من التراب أن يمرض ويموت .

● « فأرسلت الأختان اليه تقولان : يا سيّد ها إن الذي تحبّه مريض . فلما سمع يسوع قال ليس هذا المرض للموت بل لأجل مجد الله لكي يمجَّد ابن الله به . وكان يسوع يحبّ مرتا وأختها ولعازر » (**يوحنا ١١:٣–٥**) .

لماذا لم تذهبا وحدهما بل أرسلتا أنساناً ؟ لأنه ينبغي أوّلاً أن لا يدعا المريض وحده ، ومن جهة أخرى لأنه كانت لهما دالة عند المسيح ولذلك تجرأتا على إعلامه بالأمر . لماذا قال المرسلون : « يا سيّد ها إن الذي تحبّه مريض » ، ولم يقولوا إن لعازر مريض ؟ فكأنهم يقصدون : إن الذي يحبّك ، ولذا أنت تحبّه ، مريض . كما فعلتَ عجائب شفاء مع الغرباء لا بدّ أن تحسن الى صديقك أيضاً وتشفيه . فقال الربّ : « ليس هذا المرض للموت » . إن لم يكن للموت فكيف ذهب الى القبر ميتاً رباعي الأيّام ؟ ترى هل مات ظاهرياً ؟ وكيف تقول بعد قليل « إن لعازر صديقنا قد مات » ؟ ليس هذا المرض للموت ، إذاً عندما مات كيف يمكنهم أن يثقوا بك وقد سمعوا من فمك هذا الكلام ؟ كيف أقمته طالما لم يكن للموت ؟ كيف طلبت قبره طالما لم يكن للدفن ؟

بكل هذا الكلام يقصد المسيح ان مرض لعازر لم يكن لموت دائم بل فقط لأربعة أيام حتى تظهر قوّة الله . طبعاً لم يمت لعازر لكي تظهر قوّة الله . انه مات بسبب مرضه ثم ظهرت قوّة الله بإقامته من القبر حياً . لماذا يقول الانجيلي ان المسيح كان يحبّ لعازر ؟ لكي تسمع وتعلم ان أصدقاء الله يمرضون جسدياً كما يقول سليمان الحكيم : « من يحبّه الربّ يؤدّبه ، ومن يرتضي به كابن يوبّخه » (**أمثال ٣ :١٢**) . أتريد من أصدقاء الله ألّا يمرضوا ؟ لا ، إنهم يمرضون لأنهم

أصدقاء الله **لأن المرض هو امتحان للنفس**[٢]. ولذلك يتوسّل داود ويقول: « امتحنّي يا ربّ وجرّبني » (**مزمور ٢٥: ٢**).

● « فلما سمع أنه مريض لبث حينئذ في الموضع الذي كان فيه يومين وبعد ذلك قال لتلاميذه: لنذهب إلى اليهودية أيضاً. فقال له التلاميذ: يا معلّم الآن كان اليهود يطلبون رجمك وأنت تمضي أيضاً الى هناك؟ أجاب يسوع أليس النهار اثنتي عشرة ساعة؟ فإن مشى أحد في النهار لم يعثر لأنه يبصر نور هذا العالم، وإن مشى في الليل عثر لأن النور ليس فيه » (**يوحنا ١١: ٦-١٠**).

أين كان المسيح وأين لبث أيضاً؟ هذا ما يجيب عنه الانجيلي في الفصل العاشر حيث يقول: « فطلب اليهود أن يمسكوه فخرج من أيديهم ومضى أيضاً الى عبر الأردن الى المكان الذي كان يوحنا يعمد فيه أوّلاً ومكث هناك » (يوحنا ١٠: ٣٩-٤٠). هناك علم بأن لعازر سوف يموت. بقي هنك يومين حتى يُدفن وتصبح العجيبة أكثر جلاءً، لأن الشفاء من المرض أقلّ قدراً من احياء الميت. عندما أقامه من الموت ظهر بأكبر قدرة **سيّداً على الموت**. لماذا لم يذهب قبل أربعة أيام؟ لكي يُظهر ان الله قادر ان يجمع العناصر المنحلّة ويحييها من جديد.

لماذا كان اليهود يطلبون رجمه؟ يجيب الإنجيلي في الفصل العاشر حيث يقول: « وكان عيد التجديد في أورشليم وكان شتاء. وكان يسوع يتمشى في الهيكل في رواق سليمان. فاحتاط به اليهود وقالوا له: الى متى تعلّق أنفسنا؟ ان كنتَ أنت المسيح فقلْ لنا جهراً. أجابهم يسوع: إني قلت لكم ولستم تؤمنون. الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي، ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافي كما قلت لكم ... **أنا والآب واحد**. فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه » (يوحنا ١٠: ٢٢-٣١).

---

(٢) وافتقاد الله لها.

متى حصل هذا ؟ قبل ثلاثة أيام . لذلك قال له تلاميذه : « يا معلّم الآن كان اليهود يطلبون أن يرجموك وأنت تمضي أيضاً الى هناك ؟ » . أتريد أن تموت ؟ أتودّ ان يقتلوك ولذلك تذهب الى هناك ؟ قال المسيح : « أليس النهار ١٢ ساعة ؟ كيف تقول ذلك ونحن نعلم أن هناك أياماً فيها ١٠ و ١١ و ١٣ و ١٤ ساعة ؟ يقصد المسيح هنا شهر آذار الذي يكون النهار فيه ١٢ ساعة ، لأن اليهود كانوا يعيّدون الفصح في ١٤ آذار ، وحصلت إقامة لعازر ١٠ أيام قبل الفصح اليهودي .

الذي يمشي في النهار لا يعثر لأنه يرى نور الشمس ، أمّا الذي يمشي في الليل فهذا يعثر لانه لا يرى الشمس . يريد المسيح بذلك أن يقول لتلاميذه ما يلي : أيها التلاميذ إن آمنتم أني النور الحقيقي لا تخافون من أن تتعثروا من تجارب الشيطان والناس . إن آمنتم أني الله لا تخافون من أي شرّ حتى ولو ذهبنا الى اليهودية . وإن لم تؤمنوا بي ، فعند ذلك تسيرون في الليل وتتعثرون وتُجرّبون من أعدائكم دون ان يكون لكم أي معين .

● « قال هذا ثم قال لهم : ان لعازر حبيبنا قد رقد لكني أنطلق لأوقظه . قال له تلاميذه : يا سيّد ان كان قد رقد فإنه يخلص . وانما قال يسوع عن موته ، فظنوا أنه يقول عن رقاد النوم . حينئذ قال لهم يسوع صريحاً : لعازر قد مات . وأنا أفرح من أجلكم أني لم أكن هناك لتؤمنوا . فلنذهب إليه » **(يوحنا ١١:١١-١٥)** .

لماذا لم يقل لهم منذ البداية بصراحة ان لعازر مات ، بل قال رقد ؟ لأن لعازر بقي في القبر أربعة أيام فقط ثم أقامه المسيح . ولذلك سمّى المسيح موته رقاداً . والجدير بالذكر ان الكتاب المقدّس يتكلّم عن « موت » الخطأة والملحدين لأنهم يذهبون الى الهلاك الأبدي حيث العذاب والعقاب ، بينما يتكلّم عن « رقاد » الصدّيقين لأنهم يذهبون الى الملكوت السماوي إلى الراحة الأبدية . من أجل ذلك سمّى المسيح موت لعازر رقاداً . ثم يتابع قائلاً : انا لا افرح من أجل موت

صديقنا لعازر لكن أفرح من أجلكم ، ذلك أنكم سوف تشاهدون عجباً ، سوف تعاينون إقامته وتؤمنون اني أنا هو الله . سوف يقوم لعازر بصوت واحد حتى تؤمنوا بقيامتي أنا أيضاً وبإقامة كل الراقدين في القبور منذ الدهر بصوت واحد . أنا أفرح من أجلكم أيها التلاميذ لأنكم سوف ترون أن القبر لن يستطع أن يمسك لعازر . سوف ترون ان الموت لن يقدر أن يخالف أوامري . أفرح من أجلكم لأنكم سوف تؤمنون أني بالرغم من غيابي عن المكان عرفت أنه قد مات .

لماذا يقول المسيح : إني لم أكن هناك ؟ » . ان الله لا يوصف ولا يوجد مكان ليس حاضراً فيه . يقول المسيح هذا لأن ربنا يسوع المسيح هو إله وانسان ، له طبيعتان ، إله تام وإنسان تام . انه إله حاضر في كل مكان وانسان كائن في مكان معيّن . هو إله حاضر في بيت عنيا وفي بيت لعازر في آن واحد ، وانسان موجود مع تلاميذه عبر الأردن . لكلّ ذلك قال : إني أفرح من أجلكم لأني لم أكن هناك .

وتفسير هذا القول يتطلّب انتباهاً إذ يمكن لنا ان نتوقف عند هذا الحدّ . طبعاً كان التلاميذ يعلمون انه لم يكن في بيت عنيا . إلا أنه كان يقصد بكلامه انه سوف يفرح بإيمان تلاميذه عندما يعرفون أنه أوّلاً علم بموت لعازر وهو بعيد عنه وانه من ثمّ سوف يقيمه بكلمة أمره مظهراً انه **سيّد الموت والحياة** . فيتابع كلامه قائلاً : « لتؤمنوا . فلنذهب نحوه » ، أي لنذهب اليه فتؤمنوا بالحقيقة .

توضع كلمة « نحوَ » prós امام كلمة يُراد بها شخصٌ حيّ ، في حين أن كلمة « إلى » eis توضع أمام كلمة يُراد بها شيءٌ جامد ، على نحو : أذهب الى البيت ، الى الكنيسة . .. أتقدّم نحو الله ، نحو القريب . .. هكذا فإن المسيح يتكلم عن شخص حيّ بما أن لعازر سوف يقوم .

لم يستطع بعدها التلاميذ ان يجيبوه بشيء لأنهم سمعوا من فمه ان لعازر قد مات ، أو ربما لأنهم قالوا في أنفسهم : إنه قادر أن يعلم بموت لعازر مع أنه بعيد

عنه ، فكم بالأحرى هو قادر ان يحمينا من أي خطر هناك ؟ أو ربّما لأنهم كانوا يرغبون في الذهاب عندما علموا بموت لعازر . وحده توما تكلّم .

● « فقال توما الذي يُسمّى التوأم للتلاميذ أصحابه : لنذهبْ نحن أيضاً لنموت معه » (**يوحنا ١١ : ١٦**) .

يُسمّى التوأم إمّا لأنه كان له إصبعان متلاحمان ، أو كان له أخ توأم معه ، أو ان اسم توما في اليونانية يعني التوأم . قوله على كل حال غريب لأن توما منذ البداية خجول فزعٌ . فكيف يجاهر امام الكلّ : « لنذهب نحن أيضاً لنموت معه » ؟ إن كنتَ يا توما تريد ان تموت مع المسيح ، لماذا هربت مع بقية التلاميذ عند التسليم ؟ أين كنتَ آنذاك ؟ لماذا لم تتبعه أنت أيضاً مع بطرس ؟ وكأن توما يريد أن يقول هنا : كلامي دلالة على عزمي ، على محبتي ، على روحي؛ أمّا هربي وجزعي فهو من شأن جسدي الضعيف؛ لذلك قال المسيح معلّمي : الروح نشيط أمّا الجسد فضعيف (متى ٢٦ : ٤١) . أيضاً عندما قام الرب وظهر للتلاميذ لم تكن معهم فقال لك التلاميذ بعدئذ لقد رأينا الرب لكنك لم تصدّق بل قلتَ : « إن لم أعاين قيامته لا أؤمن » (يوحنا ٢٠ : ٢٥) . وأضفت أريد ان اعاين بعينيّ ثم أذهب للكرازة حتى اذا ما سألوني في الأمم هل رأيته قائماً أقل نعم لقد رأيته بعينيّ ولمسته بيديّ ولا أقول سمعتُ سماعاً فقط .

● « فلما وافى يسوع وجد أن له في القبر أربعة أيام . وكانت بيت عنيا قريبة من أورشليم على نحو خمس عشرة غلوة ، وكان كثيرون من اليهود قد جاؤوا الى مرتا ومريم[٣] ليعزّوهما عن أخيهما » (**يوحنا ١١ : ١٧ - ١٩**) .

أنظر كيف انقضت الايام الأربعة : في اليوم الأوّل أرسلوا أناساً الى المسيح لكي يقولوا له إن لعازر مريض . وفي ذلك اليوم مات . ثم أمضى المسيح يومين في عبر الأردن . وفي اليوم الرابع ذهب الى بيت عنيا . والمسافة بين أورشليم

---

(٣) النصّ اليوناني يقول: «قد جاؤوا الى من كُنَّ مع مرتا ومريم»

وبيت عنيا حوالي ٢٥٠٠ متر أي تستغرق حوالي مسير نصف ساعة. المسافة إذاً قصيرة، ولذلك كثيرون من سكان أورشليم جاؤوا ليعزّوا مرتا ومريم.

لهذا الكلام أهمية كبيرة إذ إن الإنجيلي يوحنا يقول في مكان آخر ان الكتبة والفريسيين اتفقوا فيما بينهم على أن يُخرجوا من المجمع كل من له صلة بالمسيح. كيف يقول هنا ان كثيرين من اليهود قد جاؤوا الى مرتا ومريم علماً أن مرتا ومريم تعاشران المسيح وتأكلان معه؟ لماذا لم يخف هؤلاء من أن يطردوا من المجمع؟ يقول البعض ان هؤلاء الناس كانوا من معارفه أو أقربائه، لذلك لم يكن أحد يزعجهم في ذهابهم الى الدفن. أما الانجيلي فيقول انهم «جاؤوا الى من كُنّ مع مرتا ومريم»[٤] أي إلى النسوة الأخريات حتى لا تلحقهم الشبهة كما ذكرنا ويُخرَجوا من المجمع.

* * *

● «فلمّا سمعت مرتا بقدوم يسوع استقبلته، وكانت مريم قاعدة في البيت. فقالت مرتا ليسوع يا سيّد لو كنت ههنا لم يمت أخي. ولكني الآن أيضاً أعلم أنك مهما تطلب من الله فالله يعطيك» (**يوحنا ١١: ٢٠–٢٢**).

يبدو أن مرتا كانت خارجاً ولذلك ذهبت للقاء المسيح، أو انهم قالوا لها وحدها إن المسيح آت. فلو قالوا لمريم أيضاً لخرجت هي بدورها للقاء الرب. لكن لاحظوا كم أن كلام مرتا مغلوط. هي تقول: «يا ربّ لو كنتَ ههنا لم يمت أخي». إن الله حيثما تطلبه تجده وحيثما تريده يكون. لماذا قالت مرتا هذا الكلام إذاً؟ لأن إيمانها لم يصل الى حدّ إيمان مريم كما يذكر الانجيلي لوقا (لوقا ١٠: ٣٨– ٣٩) عندما ذهب المسيح مرّة الى بيت عنيا واستقبلته مرتا في بيتها

(٤) راجع الحاشية السابقة.

وكانت أختها جالسة على قدميه تسمع كلامه. وإيمان مريم يظهر أيضاً في شهادة المسيح عندما قال: «لقد اختارت مريم النصيب الصالح» (لوقا ١٠: ٤٢).

ربّما قالت مرتا هذا الكلام قاصدة أن تقول «ان كنتَ جسدياً ههنا لم يمت أخي». لم يمت «أخي» وليس «أخونا» لأنها كانت وحدها. ولم تدرك تماماً بعدُ ان المسيح هو الله ولذلك قالت «أعلم أنك مهما تطلب من الله فالله يعطيك».

● «فقال لها يسوع: سيقوم أخوكِ. فقالت له مرتا: انا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير. فقال لها يسوع: **انا القيامة والحياة، من آمن بي وإن مات فسيحيا**. وكلّ من كان حيًّا وآمن بي فلن يموت الى الأبد. أتؤمنين بهذا؟ قالت: نعم يا سيّد أنا مؤمنة انك المسيح ابن الله الآتي الى العالم» (**يوحنا ١١: ٢٣-٢٧**).

يتكلم المسيح هنا بتواضع. لم يقلْ لا تبكي سوف أقيم أخاك، بل قال: «سيقوم أخوك». وكيف يقوم إن لم تقمه أنتَ أيها المسيح؟ لم تجب هكذا مرتا بل قالت: أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير». كيف علمَتْ ان هنالك قيامة للأموات؟ من قول إشعيا النبي: «الموتى يقومون والذين في القبور ينهضون» (**إشعيا ٢٦: ١٩**). لقد سمعت إيضاً عن قيامة الموتى من أنبياء آخرين كما سمعت من فم المسيح نفسه. وكيف يكون اليوم الأخير؟ ربّما لا يوجد يوم بعده. لن يكون بعده نهار وليل بل وقت مستديم كله فرح وابتهاج للصدّيقين وهلاك للخطأة.

ويجيب المسيح «انا هو القيامة والحياة». حقاً هو القيامة والحياة. هو «القيامة» لأنه بأمر كلمته سوف ينهض الأموات منذ الدهر. وهو «الحياة» لأن أمره هذا سوف يُحيي الجميع. الذي يؤمن به لا يخاف الموت. يقول بولس

الرسول « الموت لن يسود من بعد » (رومية ٦: ٩) . لا بدّ للانسان ان يموت ثم يقوم ، ولذلك يقول الرب : « الذي يؤمن بي وان مات ذلك الموت الجسدي لن يَخَفْ من الموت الروحي » . الموت الروحي هو الهلاك الأبدي والأفضل للخاطيء ان يظلّ مائتاً من أن يقوم ويهلك ابدياً. «من آمن بي وان مات فسيحيا » . لقد مات أخوكِ لكن كونكِ تؤمنين بي لا تخافي من موته الى الأبد من ذهابه الى الهلاك . « **أتؤمنين بذلك يا مرتا ؟** » .

قبل ان يقوم المسيح بمعجزة يستخبر عن إيمان المخاطب إياه . كما فعل مع الأعميين وقال لهما : « أتؤمنان أنني أستطيع ذلك ؟ » (متى ٩: ٢٨) ، ولقائد المئة عندما كان يريد ان يشفي ابنه : « ليكن لك حسب إيمانك » (متى ٨: ١٣) ، ويقول في مكان آخر : « إيمانك خلّصك » (متى ٩: ٢٢) ، هكذا يفعل هنا أيضاً : **أوّلاً يطلب الإيمان من مرتا ومن ثم يحقق المعجزة** ، وهكذا كان الرسل يفعلون من بعده . قال فيلبس للخصيّ : « إن آمنت من كل قلبك يكون لك » (أعمال ٨: ٣٧) وبولس الرسول يقول : « آمن بالله القادر على كل شيء » .

أرأيتَ كيف أن المرأة آمنت بالمسيح ؟ أية عجيبة أو أية نبوة أو أيّ أمر جعلها تعرف أنه المسيح ابن الله وتقول : « نعم يا ربّ اؤمن انك المسيح ابن الله » (راجع يوحنا ١: ٤٩ ٦: ٦٩) كان يجب ان تقول من ثمّ انت الذي جئت الى العالم. لكنها لم تقل ذلك بل أضافت : « أنت الآتي الى العالم » ، وتقصد بذلك : « أنت الذي تسير في هذا العالم لم تتم بعدُ رسالتك ولا يعرف أحد بعدُ من أنت في الحقيقة ، لكنني أؤمن **أنك المسيح الإله الإنسان** » . فيما مضى كان الذي يُمسح بالطيب يُدعى ممسوحاً أو مسيحاً لأنه كانت العادة أن يمسح الملك أو رئيس الكهنة بالطيب . والطيب مصنوع من زيت وعطور لهذه الغاية بالضبط ، ومنه كان يُسكب على الذي توضع عليه الأيدي ليصبح ملكاً أو رئيس كهنة . فإن نزل الطيب سوياً على منخاريه وعلى فمه يجعلونه ملكاً والّا فلا يصبح

ملكاً . وكون ربنا يسوع المسيح قد مُسح من الروح القدس فهو يُدعى المسيح أي الممسوح . ولذلك قالت له مرتا : « أنت هو المسيح ابن الله الآتي الى العالم » .

* * *

● « ولما قالت هذا مضت ودعت مريم أختها سراً قائلة : المعلّم حاضر يدعوكِ . فلما سمعت نهضت مسرعة وجاءت إليه . ولم يكن يسوع قد بلغ الى القرية ، ولكنه كان في المكان الذي استقبلته فيه مرتا » (**يوحنا ١١:٢٨-٣٠**) .

لماذا تكلّمت سرًّا مع أختها ؟ حتى لا تثير الضجة في البيت حيث الكلّ يريدون ان يروا المسيح . وربّما تكلّمت سرًّا حتى لا يعلم اليهود الذين يريدون رجم المسيح وقتله .

ماذا قالت مرتا لأختها ؟ قالت : « المعلّم حاضر يدعوك » . كان الشعب يدعوه « معلّماً » . ولكن متى دعا المسيح مريم ؟ لم يقُل المسيح لمرتا شيئاً . لكن مرتا قالت هذا حتى تسرع مريم للقائه . يقول الانجيلي إن مريم عندما سمعت بالخبر « نهضت مسرعة وجاءت اليه » في حين أنه لم يكن بعد قد وصل الى القرية . فقد كان الرب العارف ما في القلوب يعلم ان مريم سوف تأتي اليه فبقي هناك خارج القرية ينتظرها . لاحظ عزم مريم التي حين سمعت بخبر المسيح « نهضت مسرعة » بسبب محبتّها له .

● « فاليهود الذين كانوا معها في البيت يعزّونها لمّا رأوا مريم قد نهضت مسرعة وخرجت تبعوها قائلين انها ذاهبة الى القبر لتبكي هناك . فلما انتهت مريم الى حيث كان يسوع ورأته وخرّت على قدميه وقالت له : يا سيّد لو كنت ههنا لم يمت أخي . فلمّا رآها يسوع تبكي ورأى اليهود الذين جاؤوا معها يبكون ارتعش بالروح وحرّك نفسه . وقال أين وضعتموه ؟ » (**يوحنا ١١:٣١-٣٤**) .

ظنّ الحاضرون أن مريم ذاهبة الى القبر لأنهم لم يسمعوا ما قالت لها مرتا

سرًّا . أنظروا بعدها الى عزم مريم التي خرّت على قدمي المسيح ، لكنها قالت له نظير أختها : « يا سيّد لو كنت ههنا لم يمتّ أخي » . ولكن كيف يقول المسيح : « أين وضعتموه ؟ » وهو الله العارف خفايا البشر . لم يقل هذا لأنه لا يعلم مكان القبر ، لكن حتى يكون الجواب فرصة للحاضرين ليذهبوا الى القبر ويعاينوا العجب . وهذا النوع من الأسئلة رائج في الكتاب المقدّس . نصادفه في سفر التكوين حين يقول : « آدم أين أنت ؟ » ، والله العارف ما في القلوب كان يعلم أين هو آدم ، ومع ذلك طرح السؤال . وفي موضع آخر يقول : « أنزل وأرى هل فعلوا طبق صراخها البالغ إليّ ؟ » (تكوين ١٨ : ٢١) . هذا ما يقوله الله عن سدوم وعمورة ، كما يقول شيئاً مماثلاً أيضاً بخصوص صانعي البرج (تكوين ١١ : ٤ – ٦) . كان الله عارفاً بكل ما يحدث ومع ذلك كان يسأل ويستفهم : « أين وضعتم لعازر ؟ » .

● « فقالوا له : يا سيّد تعالَ وانظر . فدمّع يسوع . فقال اليهود : أنظروا كيف كان يحبه . وقال بعضهم : أما كان يقدر هذا الذي فتح عيني الأعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت ؟ » **(يوحنا ١١ : ٣٥ – ٣٧)** .

دمّع يسوع كإنسان . حزن المسيح لأنه كان يحبّ صديقه لعازر . لكن أنظر ماذا قال اليهود . أنظروا إلى حسدهم وعدم إيمانهم . يعلمون جيّداً انه فتح عيني الأعمى ، ولكنهم يتهمونه حسداً بأنه غير قادر على شفاء لعازر من مرضه . ترى عن أي أعمى يتكلّمون ؟ عن الأعمى منذ مولده الذي طلى الرب عينيه بالطين وأمره أن يذهب ليغتسل في بركة سلوام على ما يقوله الإنجيلي نفسه (يوحنا ٩ : ١) . لكن اليهود يذكرون العجيبة بهزء واحتقار .

● « فارتعش يسوع ثانية في نفسه وجاء الى القبر ، وكان مغارة وقد وُضع عليها حجرٌ . فقال يسوع : ارفعوا الحجر . فقالت مرتا أخت الميت : يا سيّد قد أنتن لأن له أربعة أيام . فقال لها يسوع : ألم أقل لكِ إنك إن آمنتِ فسترين مجد الله ؟ » **(يوحنا ١١ : ٣٨ – ٤٠)** .

لماذا قال « ارفعوا الحجر » وهو القائل للرسل : « الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ولا تشكّون . .. بل وان قلتم لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر يكون » (متى ٢١: ٢١) ؟ كان المسيح يستطيع أن يأمر الحجر ليرتفع من تلقاء نفسه ، لكنه لم يفعل ذلك بل طلب منهم ان يرفعوا الحجر حتى يروا بأنفسهم الحقيقة ، حتى يشهدوا للعجيبة بأنفسهم ، واذا سُئلوا « هل رأيتم العجيبة بأنفسكم ؟ » يجيبون « نعم رأينا بأعيننا ومسكنا الحجر بأيدينا » .

قالت مرتا : « لقد أنتن لأن له أربعة أيام » ، فأجابها الرب يسوع ألم أقل لك إن آمنت فسترين مجد الله ، ستعرفين انني الله القادر على إقامة أخيك ، ليس إياه فقط بل أيضاً كل الأموات منذ الدهر والذين هم تراب . ألم تقولي انني المسيح ابن الله ؟ فآمني اذاً تري قدرة الله .

● « فرفعوا الحجر . فرفع يسوع عينيه الى فوق ، وقال : يا أبتِ أشكرك لأنك سمعتَ لي . وقد علمتُ انك تسمع لي في كل حين . لكن قلتُ هذا لأجل الجمع الواقف حولي ليؤمنوا انك أنت أرسلتني . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : **يا لعازر هلمّ خارجاً** . فخرج الميت ورجلاه ويداه مربوطاتٌ بلفائف ووجهه ملفوفٌ بمنديل . فقال لهم يسوع : حلُّوه ودعوه يذهب » (**يوحنا ١١: ٤١- ٤٤**) .

يصلّي المسيح ليظهر لنا انه علينا أن نصلي لكي نحصل على هبة من الله . لا نصلّي طلباً لحاجة ما ونحن نعلم ان الله مصدر كل المواهب يعطي كل ما نحتاج اليه . صلّى المسيح ليعلّمنا أن لا شيء نعمله بأنفسنا انهُ مُرسلٌ من الآب ، لا ليعمل كعبد بل كابن محبوب ، لا كغريب بل كربّ حقيقي . فانظروا الى سلطته الإلهيّة : « يا لعازر هلمّ خارجاً » . وكأن لعازر لم يكن ميتاً . « اخرج من قبرك ، استمع لصوتي ، دع القبر وأخرج الى العالم . دَع الجحيم وتعال الى بيت عنيا الى بيتك . دع الفساد وتعال الى القيامة ، دع الموت وتعال الى الحياة . يا لعازر هلمّ خارجاً حتى تعرف الجحيم مَن أنا ، حتى يعرف الناس ما هي قيامة

الأموات ، حتى يعلم اليهود الضالون اني عندما أقيمك من الموت وأنت صديقي أستطيع أن أقوم انا من بين الأموات . انهضْ يا لعازر لأني أنا هو الله ، وأنا آمرك ، انا السيّد القدير الرهيب على الموت والحياة » .

عندما خرج لعازر مع اللفائف ، فلئلا يُظن انه دُفن ظاهرياً ولئلا يدعي اليهود ان الدفن كان صورة ظاهرية والقيامة أيضاً ظاهرية قال المسيح : حلّوه أنتم بأيديكم حتى لا تقولوا انني أقمت شخصاً آخر . حلّوه أنتم كما دفنتموه ودعوه يذهب حيث تشاؤون . دعوه ينظر الى خالقه وجابله الذي أقامه ، أن يرى اخواته الباكيات ، أن يرى الجمع الحاضر ، أن يرى الأرض أمه حيث لا بدّ أن يعود كإنسان .

● فكثيرون من اليهود الذين جاؤوا الى مريم ورأوا ما صنع يسوع آمنوا به . وامّا قوم منهم فمضوا الى الفرّيسيين وقالوا لهم عمّا فعل يسوع » (**يوحنا ١١:٤٥-٤٦**) .

يمكن لهذا الكلام ان يكون ذات معنى مزدوج . قالوا ما فعل يسوع إمّا عن محبّة له وازدراءً باليهود ، وامّا عن حسد . إن كان عن محبّة فالمقصود هو قولهم للفريسيين : أنظروا أيها الفرّيسيون الضالون كم هو إنسان عظيم ، أنظروا الى العجائب التي يصنعها . لندعْ جانباً ما نعرفه من السماع ونعتبر هذا الذي رأيناه بأعيننا ولمسناه بأيدينا . أليس هذا علامة كافية جليّة على انه الله . هل تستطيعون أنتم أن تفعلوا مثل هذه العجيبة ؟ هل سمعتم بنبي يصنع العجائب مثل هذا ؟ اليس هو ابن الله بالحقيقة ؟ لماذا تحسدونه ؟ لماذا تطلبون قتله ؟ لماذا تريدون أن تصلبوه ؟ لو كان إنساناً خاطئاً لما استطاع ان يفعل مثل هذه العجائب ، ولما استطاع أن يتصرّف كإله .

وإن كان عن حسد فالمقصود هو قولهم للفرّيسيين : انه يضلّ الناس وقد أقام لعازر ظاهرياً وهو يثير الشغب في الشعب .

أحـد الشعـانين

عظة للقديس أبيفانيوس القبرصي

● مقدّمة : الاحتفال بالعيد

ليكُن فرحُكِ عارماً يا ابنة صهيون ! اشكري وتهلّلي يا كنيسة المسيح بأجمعها ، لأن الملك يأتي اليكِ من جديد عريسك يأتيكِ جالساً على جحش كما على عرش . لنخرجْ لاستقباله ، لنسرعْ ونرَ مجدَه ، لنلحق به ونكرّم دخولَه فرحين . مرّة أخرى يأتي الخلاص للعالم . مرّةً أخرى يأتي الله ليُصلب . ملك صهيون ، رجاء الأمم ، يأتي من جديد اليها ويمنح الخلاص للعالم . مرّة اخرى يفتقدنا النورُ وتنحلّ اللعنة . تزهر الحقيقة ، ترقص الكنيسة فيترمّل مجمع اليهود . الشياطين تخجل من جديد . اللعنة تتبدّد والعبرانيون يضطربون . الشيطان ينسحق . الأمم تفرح وصهيون تتزيّن . يأتي المسيح جالساً على جحش كما على عرش . تهلّلي ايتها السماوات ، يا ملائكة سبّحوا . يا جبالُ ابتهجي ويا تلال ارتكضي ويا أنهار ثوري . ارقص يا شعب صهيون وافرحي أيتها الكنائس . وأنتم يا كهنة رتّلوا ويا أنبياء هلمّوا في المقدّمة . يا تلاميذ بشّروا ويا شعوب استقبلوا وانتم أيها الشيوخ تسارعوا معهم أيضاً . ارقصي أيتها الأمّهات وانشدوا أيها الرضّع . اصرخوا أيها الشباب ويا أيتها القبائل تجمّعي . كل جبلة ، كل وجود ، كل مصفّ ، كل نسمة ، الأرض كلّها ، كل ما له قيمة ، الأعمار كلها ، رؤساء الأمم كلهم ، الملوك كلّهم ليستقبلوا ببهاء ملوكي ملك الملوك . وببهجة سيّدية لنسجد لسيّد الأسياد وننشد إلهياً أناشيد لإله الآلهة ولنرقص رقصات الزفاف الألهية للعريس الأزلي . لنُشعل مصابيحنا بابتهاج ونبدّل لباس نفوسنا كما يليق

بالله . لنهيء طرق حياتنا جميلةً ، ولنُمسك بسَعَف الظفر من اجل الظافر على الموت ، ولنهزّ أغصان الزيتون للغصن الآتي من مريم . لنرتّل ملائكياً لإله الملائكة . وكما يليق بالله ، فلنصرخ مع الأطفال ومع الشعب أيضاً صرخة الجموع ونقل : « **أوصنا في الأعالي ! مبارك الآتي باسم الرب !** » . لقد ظهر الله والرب مثل نور وأشرق علينا نحن الجالسين في الظلام وظلال الموت . ظهر الإصلاح للذين سقطوا ، وكذلك الخلاص للمأسورين . ظهر النور للعميان ، التعزية للمحزونين ، الراحة للمتعبين ، الارتواء للعطشى ، العدل للمظلومين ، الخلاص لليائسين ، الوحدة للمنشقين ، الشفاء للمرضى ، السلام للواقعين في وسط العاصفة .

لذلك نحن أيضاً مع الجمع لنصرخ اليوم الى المسيح **أُوصَنّا** (هوشعنا) الذي معناه **خلّصنا أيها الإله السماوي** . يا للأمور الجديدة ! يا للعجائب غير المتوقعة ! البارحة اقام المسيح لعازر من بين الأموات ، واليوم يسير هو بنفسه الى الموت . البارحة بمثابة حياة وهب الحياة لغيره ، واليوم معطي الحياة يأتي الى الموت . البارحة حلّ لفائف لعازر ، واليوم يأتي ليلتفّ هو نفسه طوعاً باللفائف . البارحة أخرج الانسانَ من الظلمة ، واليوم يأتي ليدخل الظلام وظلال الموت من أجل الانسان . البارحة ستة أيام قبل الفصح وهب الثلاثيُّ الأيام للأختين أخاهما الرباعيَّ الأيام بحواسه الخمس ، واليوم يسير بنفسه نحو الصليب . لقد وهب مريمَ الميتَ الرباعيّ الأيّام ، بينما يهب المسيح الثلاثيُّ الايام نفسَه للكنيسة . هناك فقط بيت عنيا تتعجّب ، وهنا تعيّد الكنيسة بأسرها . تعيّد عيدَ الأعياد ، وعندها في الوسط ملك القوات اللاهيولية بمثابة عريس وملك . تعيّد عيداً كزيتونة مثمرة في حديقة الله ، زيتونة تظلّل بأوراقها الدائمة . تعيّد عيداً بمثابة زنبقة ربيعية . حيث المسيح هناك الزنبق الخضير بالحقيقة الذي لا يُدين بل يخلّص العالم . حيث المسيح هناك البنفسج الذي يداوي آلامَ المرضى . هناك الكرمة التي تقول : انا هو الكرمة الحقيقية . هناك الرحيم الذي يرحم حقاً كل الواضعين رجاءهم فيه . هناك

أزهرَ الغصن الذي قبل الأزل من جذر يسّى دون فلاحة ودون ان ينقب الفلاح . هناك النبع الذي لا ينضب ، حيث لا يوجد فيصون وجيعون ، دجلة والفرات ، بل يوجد متى ، مرقس ، لوقا ويوحنا الذين يُروّون بستان كنيسة المسيح . هناك الشبيبة كلّها اليوم كمثل زيتونة مثمرة مليئة بالحَبّ تتوسّل الى المسيح الرحيم فنحن ، مغروسين في حقل المسيح ، مزهرين موسماً ربيعياً في وسط البستان ، نعيّد عيدنا ونشاهد شتاء الناموس يقفل .

عيّدي يا كنيسةَ المسيح ، ليس شكلياً ولا جسدياً ، بل راقصة رقصاً روحياً . عيّدي عيدك مشاهدة سقوط الأصنام وعائشة قيامتك الخاصة . وانا من جهتي أضيف صوتي إلى صوت بولس الشريف القوي : لقد مضى القديم ، وها كل شيء قد أصبح جديداً غير منتظر وقوعه . لذلك افرحوا وابتهجوا يا فتيان المسيح ، تهلّلي يا كنيسة المسيح ، عيّدي يا فتاة الله وكوني شاكرة . لقد أصبح مجدك لا يزول كونك إبنةَ المسيح الملك داخلياً وخارجياً . لست بعد أرمَلَةَ أحد بل عروس الله تُزهرين ، ليس عن يسار الله للوثنيين ، بل عن يمينه ، زهرةَ المعرفة الإلهية . لم يدنّسك دم الأصنام بل دم الله يختمك . لن تعبدين الإله أوبيل بل عمانوئيل . لن تسبّحي طرواده بل الثالوث . لن تكرّمي أفلاطون بل إلهنا الضابط الكلّ . لن توقّري هيرقليوس مبعد الشر بل المعزّي صانع الكل . لن تسجدي لأرسطو ليجعلك حكيمة بل لله الذي خلّصك الى كل الدهور . لقد سقط كرونس لأن الله الكلمة اتخذ جسداً لا بمشيئة رجل بل ولد بقوّة الله من مريم .

لاحظوا حظوة هذا النهار . انظروا الى بهاء العيد . افرحي إذاً وابتهجي يا ابنة صهيون . كوني شاكرة . ارتكضي وتهلّلي يا كنيسة الله بأسرها . أديري ألحاظك وانظري كيف يجتمع الآن أولادك المشتتين قبلاً في الأمم . أنظري الى خشوع العيد . انتبهي الى تسابيح الشعب المتوافقة . لاحظي كل لسان في تمجيد واحد وكل الأفواه كواحد . شاهدي الأمم المتوحشة صائرة خرافاً بجوارك . استمعي الى تمجيد الأمم المتشبّهة بالملائكة غير المتجسمين . لاحظي أيضاً التناغم الذي هو

جوقة الملائكة المنتظمة . أنظري الى هذه الرتب التي تشابه صافات الملائكة . اعتبري المزاميرَ اناشيد ملائكية ، والأطفال حملاناً حديثة السن ترنّم للمسيح : **أوصنا لإله السماء ، مبارك هو الآتي ! معهم** صفّقي بالأيادي برعدة وازأري كالأسد بأقوال العيد الشكرية : هاأنذا والأولاد الذين اعطانيهم الله ، أنا التي كنتُ قبلاً عاقراً لا تلد ولا معنى لها . مبارك الذي أتى والآتي باسم الله . هو إلهنا وربّنا الذي ظهر لنا ، الذي لا يسعه مكان ، ولا شيء يضبطه . مبارك الآتي دون أن يبتعد عن السماء . مبارك بما يليق هذا الذي سوف يأتي من جديد بعظمة إلهية . مبارك هو الآتي من أجلي رمزياً راكباً على جحش كما على الشاروبيم . اسمعوا ما يقوله الانجيلي الكارز بالعيد .

* * *

● « عندما اقترب من بيتَ فاجي وبيتَ عنيا عند الجبل الذي يُقال له جبل الزيتون أرسل اثنين من تلاميذه قائلاً لهما : اذهبا الى القرية التي أمامكما وللوقت تجدان جحشاً مربوطاً ما ركبه أحد . فحلّاه واتيا به . . . فعل التلميذان كما أمرهما يسوع ووضعا على الجحش ثيابهما وأركباه عليه وعندما وصل الى مقدّمة الجبل أخذ الجمع الذي جاء للعيد أغصاناً من السعف وخرج ليستقبل يسوع . والذين يتقدّمون والذين يتبعون كانوا يصرخون قائلين : أوصنا لابن داود مبارك الآتي باسم الرب » .

ها هو الحضور السيّدي في عيدنا . هذه هي السكنى القديمة والجديدة لصهيون ابنة ملك الملوك . ها هو المجيء الاحتفالي والعلني لخالق الكل في اليوم الحاضر . لذلك أيها الأخوة ويا كلّ من أتى الى هذا العيد لنخرجْ كلّنا لاستقباله ، المعيّدون المنظورون وغير المنظورين ، الأنبياء الذين سبقونا زمنياً ، والمعلّمون الذين يتبعون الجحش والمرتبطون بالأيمان بالله . اليوم لترتّل السماوات والارض وما تحت الارض معاً . كل فم مع كل نسمة ليُفتح للتمجيد . ليصدَح الشاروبيم : قدوسٌ

قدوسٌ قدوسٌ ربُ الصباؤوت المثلّث التقديس ، السماءُ والأرض مملوءتان من مجدك . أيها السيرافيم سبّحوا ويا انبياء اكرزوا . ليقل الواحد لتفرح السماواتُ وتتهلّل الأرضُ ، وليقل الآخر تهلّلي يا ابنةَ صهيون واستبشري يا ابنة اورشليم . وآخر ليصرخ متطلعاً الى المسيح الملك : هوذا حمل الله الرافع خطيئة العالم . وآخر ليتكلم عن الرب نفسه : هوذا إلهنا . وغيرهُ ليقل إلى جانبه : هوذا الإنسان والإله معاً ، المشرق اسمُه . ليتطلّع داود الى المسيح الآتي من صُلبه مرتّلاً : **الله الربُ ظهر لنا** . الواحد ساجداً ليقلْ للمسيح : لتسجد لك المسكونة كلّها . والآخر ليحثّ الشعوب قائلاً : احتفلوا بالعيد في المجامع حتى قرون المذبح .

هكذا كان يتم قديماً مجيء ربنا على الجحش الى صهيون . هناك تناغمٌ عام بين أجواق الآباء وشعب الصدّيقين مع روح الأنبياء وأطفال العبرانيين ورضّع الأمّهات وجمع الملائكة . يبسط البعض أجنحتهم ويُمسك آخرون السَعف وغيرهم يتبعون . يقطع هؤلاء أغصاناً واولئك يحيكون الأكاليل . منهم من يحلّ الجحشَ ومنهم من يطرح ثيابَه على الأرض . غيرهم يفتح الأبواب وآخرون ينظفون الطرق . هؤلاء يهيّئون الجحش واولئك يخبرون عن الظفر . غيرهم يحرّك الأغصان وآخرون يقولون للأولاد : سبّحوا الربّ أيّها الأطفال ،فيجيب الأطفال : أوصنا مبارك الآتي باسم الرب ! يا لها من أشياء جديدة وعجائب غير متوقّعة للعيد . الأولاد كاللاهوتيين يصفون المسيح كإله ، والكهنة يشتمونه . الاطفال الرضّع يسجدون له ، والمعلّمون يُظهرون الحاداً . **الأولادُ يُنشدون أوصنا ، والعبرانيّون يصرخون ليُصلب !**

هؤلاء يأتون بالسَعف إلى المسيح ، واولئك يقتربون منه بالسيوف . هؤلاء يقطعون الأغصان ، واولئك يهيّئون خشبة الصليب الأولادُ يفرشون ثيابهم للمسيح ، والكهنة يمزّقون ثيابَ المسيح . الأولاد يرفعون المسيح على الجحش ، والشيوخ يُصعدونه على الصليب . الأولاد يسجدون لأقدام المسيح ، وأولئك يسمّرون قدميه بالمسامير . الأولاد يوجّهون اليه التسبيح ، والآخرون يقدّمون له

الخلّ. الأولاد يهدونه الاكرامَ، وأولئك المرارةَ. الأولاد يحرّكون السعف، وأولئك يطعنونه بالرماح. الأولادُ يسبّحون المسيح، وأولئك يبيعون الراكب على جحش.

الثور عرف سيّده عندما اقترب من المغارة، والشعب الجديد الذي من الأمم خضع لربّه، وإسرائيل وحده لم يعترف بالمسيح إلهه. القبائل المتوحشة قبلاً أصبحت صديقة له، والاثمة قديماً خضعوا للناموس، إلا أن أهل الناموس أضحوا عاصين له. لم تهابوا الانبياء، قتلتم الكهنة، حوّرتم ما في الكتب، ألغيتم ما في الناموس، ازدريتم بالصدّيقين، أهملتم النبي موسى، ذبحتم الأنبياء، دنّستم الهيكل، هجرتم الله، لم تؤمنوا بالمسيح، تهاونتم بالعجائب. **لم تؤمنوا لا بلعازر ولا بالعميان الذين استناروا**. حسنٌ هذا كلّه! لكن ماذا تقولون عن الاطفال هؤلاء؟ ماذا تنظرون حول تسبيح الرضّع؟ قولوا لي: **من الذي أنارهم**؟ من الذي علّمهم؟ من الذي أعطاهم حكمةً؟ من الذي أعطى لاولادِ الأمّيين الكلام؟ أليس هو المسيح الكلمة الذي منذ الأزل؟ الآن الأولادُ، الأطفال والرضّع يمسكون ثدي أمّهم بيدٍ ويسبّحون تسبيحاً ملائكياً. يمسكون الثدي بيد وبالأخرى يحرّكون الأغصان للمسيح. الطبيعة غير الناطقة تتكلّم لاهوتياً، تنطق للحال بكلام نبويّ. يقدّمون تسبيحاً ملائكياً هدية لله ويصرخون: أوصنا في السماوات مبارك الآتي باسم الربّ، **هو ربّنا وإلهنا الذي يأتي الينا**.

وسط انبلاج الفرح والعيد أتجرأ وأوجّه أسئلتي الى هؤلاء الاطفال الإلهيين: ماذا تقولون يا أولادَ الله المسبّحين اياه؟ كيف توازون بأنفسكم تسبيحَ الشاروبيم؟ كيف وأنتم تشاهدون المسيح على الجحش كإنسان تصرخون كما يليق بالله: أوصنا في الأعالي؟ نعم، يجيب الأولاد باللسان الإلهي: المسيحُ جالس على جحش حقيقي لكنه لم يبتعد أبداً عن الأحضان الأبويَّة. يجلس على الجحش دون ان يغادر عرش الشاروبيم. هذا المتجسّد الذي لا يفارق المائتين

يوجد في الوقت نفسه في السماء إلهاً حقيقياً سيّد كل العالم والأمم ، رازقاً ، خالقاً ، مُرشداً ، مخلّصاً الجميع . هذا هو الذي يدخل الى اورشليم الأرضية دون ان يفارق السماوية . هذا هو مبدع الدهور ، يأتي من الدهور متجهاً نحو أبد الدهور . هو الذي وحده بسط السماء ، يمشي على البحر كأنه على اليبس . يلفّ البحر بالسحاب . هو الذي صوّر مفاتيح الإنسان ، نظّم حدود البحار ، علّق الأرض على المياه ، كسا الزهورَ جمالاً ، بسط السماء كالرداء وزيّنها بالنجوم البرّاقة . منه ترتعد الشاروبيم وتخاف السيرافيم . إياه تسبّح الشمسُ ويمجّد القمر . له ترتّل النجوم وإياه تخدم الينابيع . منه ترتجف اللجج وتجزع الأعماق . له تخضع وحوشُ البحار ، ومنه ترتجف الشياطين .

المطر يخدمه والرياح توليه احتراماً . هو الذي أعطى لكل واحد طبيعته ، أبدع الخلائق ، فرز الرتب ، أبدع كائنات الأرض والسماء كلّها ، ربّنا وإلهنا له المجد والقدرة الى الدهور ، آمين .

أحـد الشعـانين

(يوحنا ١٢: ١-١٨)

تفسير لينكيفوروس ثيوطوكس

■ المقدّمـة

اليوم احتفالٌ بهيٌ مجيد، احتفال بدخول ربّنا يسوع المسيح الى أورشليم. في هذا العيد المجيد الإلهي لا تشاهد أعمالاً مصطنعة ولا مظاهرَ رسمية تُمليها أوامر الحكام أعني كل ما كان يصنعه القوّاد الرومانيّون القدماء عندما كانوا يعودون ظافرين ويدخلون عاصمة مملكتهم. هنا تشاهد **بساطةً كليّةً**، تكريماً تلقائياً، تقوى، خصباً روحياً تتميماً لنبوءات الله: تشاهد **يسوعَ جالساً على جحش** أتان لكي يتمّم النبوءة عنه داخلاً الى أورشليم. أمّا جمهور الشعب، سكّان أورشليم والذين أتوا اليها من أجل الفصح، فعندما سمعوا بقدومه تناولوا في أيديهم سَعَف النخل وخرجوا للقائه هاتفين عالياً: «أوصنا[1] مبارك الآتي باسم الرب ملكُ إسرائيل» (**يوحنا ١٢: ١٣**).

عندئذ فرش آخرون ثيابَهم في الطريق وآخرون «قطعوا أغصاناً من الشجر» (متى ٢١: ٨) وفرشوها على الأرض التي كان يسوع مزمعاً أن يمرّ عليها. بعضهم كان يسبقه والبعض الآخر يتبعه صارخاً: «أوصَنا لابن داود، مبارك الآتي باسم الرب، أوصنا في الأعالي» (**متى ٢١: ٩**).

---

(١) «**أُوصَنا**» في العبرانية «**هو شعنا**» أي يا ربّ خلِّص، وهي بمثابة تحيّة وهتاف (**مز١١٧: ٢٥**).

آخرون كانوا يصرخون « مباركة مملكة أبينا داوود الآتية باسم الرب ، أوصنا في الأعالي » (مرقس ١١ : ١٠) . وكما هتف نحوه تلاميذه لما قرب من منحدر جبل الزيتون ومجّدوه قائلين : « مبارك الملك الآتي باسم الرب ، سلام في السماء ومجد في الأعالي » (لوقا ١٩ : ٣٨) ، هكذا كان الأولاد العادمو الشرّ يصرخون لما وصل إلى أورشليم ودخل الى الهيكل : « أوصنا لابن داود » **(متى ٢١ : ١٥)** . أثارت إقامة لعازر ودخول الرب يسوع المسيح المجيد إلى أورشليم حسدَ رؤساء الكهنة والفرّيسيين وشيوخ الشعب . وجاء من ثم وقتُ آلامه وصلبه وموته عناصر خلاصنا . يفصّل المقطع الانجيلي الثاني كلّ ذلك كما يلي :

■ حادثة مسح قدمي يسوع بالطيب قبل الفصح بستة أيام

● « وقبل الفصح بستة أيام أتى يسوع الى بيت عنيا حيث كان لعازر الميت الذي أقامه من الأموات ، فصنعوا له عشاءً . وكانت مرتا تخدم وأمّا لعازر فكان أحد المتكئين معه » **(يوحنا ١٢ : ١-٢)** .

بعد إقامة لعازر في بيت عنيا خرج الإله الانسان منها وجاء الى بلدة تدعى افرايم (يوحنا ١١ : ٥٤) . وقبل الفصح بستة أيام أتى من جديد الى بيت عنيا حيث كان لعازر الذي أقامه من بين الأموات . هناك إذاً في بيت سمعان الأبرص ، كما يشهد الانجيليان متى ومرقس (متى ٢٦ : ٦ و مرقس ١٤ : ٣) ، هيّأوا له عشاءً ، وكانت مرتا تخدم كما فعلت سابقاً (لوقا ١٠ : ٤) ، وكان « لعازر أحدَ المتكئين معه » .

● « فأخذت مريم منًّا [٢] من طيب ناردين خالص كثير الثمن ودهنت قدمَي يسوع ومسحت قدميه بشعرها . فامتلأ البيتُ من رائحة الطيب » **(يوحنا ١٢ : ٣)** .

منهم من يقول إن كلمة « خالص » تعني موثوقاً به وحقيقياً ، وآخرون إنه

---

(٢) المنّ سعته ٣٠٠ غرام.

نوع من الناردين المدعوّ هكذا . امّا مريم فهي دون شك أختُ مرتا ولعازر الساكنين في بيت عنيا ، ويُجمع المفسّرون على هذا الرأي . السؤال هنا هل هي مريم نفسها التي ذكرها الإنجيليون الآخرون ؟ يؤكد القديس يوحنا الذهبي الفم أنها إياها عند الإنجيليين الثلاثة .

والمرجّح أن الإنجيليين الثلاثة متى ومرقس ويوحنا يتكلّمون عن المرأة نفسها أي عن مريم أخت لعازر لأنهم يقولون إن الحدث وقع في بيت عنيا وقد تذمّر التلاميذ من ذلك .

المرأة التي يتكلّم عنها الإنجيلي لوقا « كانت خاطئة » أي زانية : « واذا امرأة في المدينة كانت خاطئة » (**لوقا ٧ : ٣٧**) ، أمّا مريم فكانت عاقلة ، تقية ، وقد مدحها الرب يسوع لأنها « اختارت النصيبَ الأفضل » (لوقا ١٠ : ٤٢) . المرأة عند لوقا قدّمت الطيبَ في بلدة نايين (لوقا ٧ : ١١) ، أمّا مريم ففي بيت عنيا . الأولى قدّمته في بيت سمعان الفرّيسي ، والثانية في بيت سمعان الأبرص . الأولى في وقت سابق بكثير لعيد الفصح ، امّا الثانية فقبل ستة أيام من الفصح اليهودي حين صلب يسوع . تعثّر سمعان الفرّيسي من تصرّف المرأة ظاناً أن يسوع المسيح لم يكن يعرف أنها خاطئة ، امّا التلاميذ فقد تذمّروا من تصرّف مريم واستاء خصوصاً يهوذا من إتلاف الطيب .

إذاً مريم أخت مرتا ولعازر ، وهي نفسها عند متى ومرقس ، هي التي دهنت قدمي يسوع المسيح بالطيب الناردين الخالص الجزيل الثمن . وقد كانت رائحته قويّة الى حدّ انّه ملأ بيت سمعان كلّه . ترى مَنْ دفع مريم الى مثل هذا العمل ؟ كان استعمال الطيب في المجالس والمآدب مألوفاً ليس فقط عند الوثنيين بل أيضاً عند اليهود . لكن هنا **كانت مريم مُستنيرة من الله** إذ ، كما يقول يسوع الإلهُ الأنسان ، « حفظته ليوم دفني » (يوحنا ١٢ : ٧) . من هنا ان تصرّف مريم قد خرج عن العادة المألوفة . يقول متى ومرقس إنها جلبتْ قارورة طيب مرمريَّة ، أي مصنوعة من حجر مرمريّ ومملوءة بالطيب ، وسكبته على رأس يسوع المسيح .

أمّا مرقس فيضيف انها كسرت القارورة . فتكون العملية قد تمت على الشكل التالي : كسرت مريم رأسَ القارورة لكي يخرج منها الطيب بسهولة كما يشهد مرقس (١٤ : ٣) ، ثم أفاضته على رأسه كما جاء عند متى ومرقس ، وبعدها سكبت ما بقي منه في القارورة « ودهنت قدميه أيضاً ومسحتهما بشعرها » كما يشهد يوحنا على ذلك . وبعدها جاءت أقوال يهوذا :

● « فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا سمعان الاسخريوطي المزمع أن يسلّمه : لماذا لم يُبَعْ هذا الطيب بثلاث مئة دينار ويُعطَ للفقراء . قال هذا ليس لأنه كان يبالي بالفقراء بل لأنه كان سارقاً وكان الصندوق عنده وكان يحمل ما يلقى فيه » (**يوحنا ١٢ : ٤-٦**) .

يقول متى : « فلما رأى تلاميذه ذلك اغتاظوا قائلين : لماذا هذا الإتلاف » (متى ٢٦ : ٨) . أمّا مرقس فيقول : « وكان قوم مغتاظين في أنفسهم . . . وكانوا يؤنّبونها » (مرقس ١٤ : ٤-٥) . أمّا يوحنا فيقول إن يهوذا تعثّر من ذلك العمل . فكيف يمكننا أن نوفّق بين هذه الأقوال ؟ إن كل ما ذكر من قبل الإنجيليين الثلاثة هو صحيح وحصل فعلاً . لقد سمع التلاميذ من قبلُ على لسان الرب يسوع المسيح أن الرحمة أفضل من الذبيحة (متى ٩ : ١٣) فتذمّروا على مريم ظانين انها قد صنعت صنيعاً لا يُرضي المسيح . كما أن بعضاً من الحاضرين اغتاظ واضطرب فقال : لما هذا الإتلاف ؟ كان يمكن ان يباع الطيب بأكثر من ٣٠٠ دينار ويُعطى للفقراء (مرقس ١٤ : ٤-٥) . أمّا يهوذا فقد اغتاظ واضطرب لا لأنه كان يهتم بالفقراء بل لأنه كان سارقاً وكان يودّ أن يضع الدنانير الـ ٣٠٠ المعادلة لـ ١٥ قطعة ذهبية تقريباً في الصندوق الذي كان يحمله كمدبّر ومسؤول عن تأمين حاجات التلاميذ ، وبعدها يسرق كل ما كان فيه كعادته . اسمعوا جواب الرب يسوع المسيح له :

● « فقال يسوع : دَعْها ، انما حفظته ليوم دفني ، لأن الفقراء معكم في كل حين وأما أنا فلست معكم في كل حين » (**يوحنا ١٢ : ٧-٨**) .

« دعْها » . يتوجّه هنا المسيح ، حسب رواية يوحنا ، الى يهوذا وحده دون سائر التلاميذ المذكورين عند متى ومرقس . من هنا أن جوابه للتلاميذ عند مرقس يفسّر هذا الكلام المختصر الموجّه الى يهوذا : « لماذا تزعجونها ؟ قد عملت بي عملاً حسناً . لأن الفقراء معكم في كل حين ومتى أردتم تقدرون أن تعملوا بهم خيراً . واما أنا فلست معكم في كل حين . عملتْ ما عندها . وقد سبقت ودهنت بالطيب جسدي للدفن » (مرقس ١٤ :٦-٨) .

يقول : لماذا تزعجون المرأة ؟ لقد صنعت معي صنيعاً حسناً ومقدّساً . أنتم تقولون انه كان يمكن ان يعطى ثمن الطيب أي ٣٠٠ دينار الى الفقراء ، لكن هؤلاء هم دائماً أمام أعينكم ويمكنكم ان تحسنوا اليهم متى تشاؤون . (أمّا أنا فلست معكم في كل حين» ، لأني سوف أموت بعد أيام قليلة . إن هذه **المرأة المستنيرة** قد علمت مسبقاً بموتي وعملت معي ما كان بإمكانها أن تعمله . لقد علِمتْ بموتي ودهنت جسدي مسبقاً وهيأته للدفن ، «فإنها إذ سكبت هذا الطيب على جسدي انما فعلت ذلك لأجل دفني » (متى ٢٦ :١٢) .

هكذا برّر يسوع الإله الانسان صنيع مريم وأظهر فضيلتها ونعمة الله التي كانت معها ، كما بيَّن الأجر الذي سوف تحصل عليه من جراء عملها : « الحق أقول لكم حيثما يُكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يُخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها » (مرقس ١٤ :٩) . ونحن نشهد حتى اليوم تحقيق نبوءة المخلص لأنه حيث يُكرز بالانجيل يُذكر اسم مريم وحادثتها . بعد هذا الكلام ينتقل يوحنا الى موضع آخر :

* * *

■ الدخول الى أورشليم

● « فعلم جمع كثير من اليهود انه هناك فجاؤوا ليس لأجل يسوع فقط بل

لينظروا أيضاً لعازر الذي أقامه من الأموات . فتشاور رؤساء الكهنة ليقتلوا لعازر أيضاً . لأن كثيرين من اليهود كانوا بسببه يذهبون ويؤمنون بيسوع » **(يوحنا ١٢:٩-١١)** .

لقد علم جمع كثير من اليهود أن يسوع كان هناك أي في بيت عنيا فجاؤوا لا من أجل يسوع أي ليس ليسمعوا تعليمه « لكن ليروا أيضاً لعازر الذي أقامه من الأموات » . أمّا رؤساء الكهنة فكانوا يشاهدون العدد الكبير من اليهود يأتون اليه ويؤمنون به بسبب لعازر الذي أخذ يجذبهم الى الإيمان بالمسيح ، فتشاوروا على أن يقتلوا لعازر أيضاً . يا لجهالتهم ! ألا يعلمون أن الذي أقام لعازر الميت يستطيع ان يقيم أيضاً ، لو شاء ، لعازر المقتول ؟ بعد هذا الكلام يمضي يوحنا في التكلّم عمّا جرى في اليوم التالي :

* * *

● « في الغد سمع الجمع الكثير الذي جاء الى العيد أن يسوع آتٍ الى أورشليم . فأخذوا سَعَفَ النخل وخرجوا للقائه ، وكانوا يصرخون : أوصَنَّا ، مبارك الآتي باسم الرب ملكُ اسرائيل » **(يوحنا ١٢:١٢-١٣)** .

حسب مقتضى الناموس لا يُقام عيد الفصح اليهودي الَّا في مدينة أورشليم « لا يحلّ لك أن تذبح الفصح في احدى مدنك التي يعطيك الربّ إلهك ، بل في الموضع الذي يختاره الربّ إلهك ليحلّ فيه اسمه ، هناك تذبح الفصح » (تث ١٦:٥-٦) . لذلك يأتي كل سنة جمعٌ كثير الى أورشليم ليعيّدوا الفصح . بعد ان انتشر خبر الآية الباهرة التي صنعها يسوع بإقامة لعازر من الأموات وسمع الجمع الكثير بأنه آت الى أورشليم ، اخذوا بأيديهم « سَعَفَ النخل » وخرجوا من المدينة للقائه وكانوا يصرخون : « اوصنّا ، مبارك الآتي باسم الرب » .

هكذا فعلوا ، وكان اليهود يقولون إن يسوع المسيح هو المسيّا المنتظر الذي

يأتي الى أورشليم لكي يجلس على عرش داود ويملك على شعب اسرائيل . كانت أعمالهم وأقوالهم بإيحاء من الروح الإلهي ، وهي تختص بيسوع الإله الانسان . **إن سعف النخل رمز يشير الى أن المسيح هو غالب الشيطان والموت** . أمّا كلمة « أوصنا »[٣] العبرانية فتعني « يا ربّ خلّص » كما جاء في نبوءة داود حول مجيء المسيح : « يا ربّ خلّص . . . مبارك الآتي باسم الربّ » **(مز ١١٧:٢٥–٢٦)** .

● « ووجد يسوع جحشاً فجلس عليه كما هو مكتوب : لا تخافي يا ابنة صهيون . هوذا ملكك يأتي جالساً على جحش أتان » **(يوحنا ١٢:١٤–١٥)** .

لقد أرسل يسوع المسيح اثنين من تلاميذه لكي يأتيا بجحش أتان (متى ٢١:١–٢) . وعندما أتياه به ألقيا عليه ثيابهما وأصعدا الربَ يسوع المسيح عليه . لقد سكت يوحنا عن هذه التفاصيل الواردة عند الإنجيليين الثلاثة فاكتفى بالقول : « وجد يسوع جحشاً فجلس عليه كما هو مكتوب » ، أي كما في نبوءة زخريا . وقد نقل يوحنا وكذلك متى المعنى الوارد في النبوءة دون ان يوردا الكلمات كلّها ، لأن النبي زخريا قال عن دخول المسيح إلى أورشليم : « ابتهجي جداً يا بنت صهيون ، واهتفي يا بنت أورشليم **هوذا ملكك يأتيك صدّيقاً ومخلّصاً ووديعاً** وراكباً على أتانٍ وجحشٍ ابن أتان » **(زخريا ٩:٩)** . يقول يوحنا : « لا تخافي يا ابنةَ صهيون » ، لأنه عندما كان يتقدم ملك جديد ليعتلي العرش كان الشعبُ يخاف من قساوته المرتقبة على مثال بعض الملوك السابقين له .

ماذا يقصد بجحش أتان الذي تنبأ عنه زخريا بصورة واضحة وجلس عليه يسوع الإله الانسان متمّماً النبوءة ؟ الجحش عادة فظ ، غليظ وصعب الإنقياد .

---

(٣) راجع (١)

يُعتبر عند اليهود دنساً فلا يُقبَل حسب الناموس كذبيحة مقدّمة الى الله بل يُستبدل بالخروف (خر ١٣:١٣). كانت كل أمم الأرض معتبرة دنسةً غيرَ طاهرة بسبب عدم إيمانها، ووحشية وصعبة الانقياد بسبب افتقارها الى نواميس الله. **إن جلوس يسوع المسيح على جحش أتان يعني خضوع الأمم له**(٤). لاحظوا كيف أتى الرسل بجحش أتان وأبقوا ثيابهم عليه واصعدوا مخلِّص العالم عليه. يقول لوقا: «وأتيا به الى يسوع وطرحا ثيابهما على الجحش وأركبا يسوع» (لوقا ١٩: ٣٥). هذه كلّها رموز تشير الى ان الرسل القديسين بسطوا البشارة الإنجيلية على الأمم وأتوا بها خاضعة للمسيح السيّد فملأها هو من مواهبه الالهية.

* * *

● «وهذه الأمور لم يفهمها تلاميذه أوّلاً. ولكن لما تمجد يسوع حينئذ تذكّروا أن هذه كانت مكتوبة عنه وأنهم صنعوا هذه له» **(يوحنا ١٢: ١٦)**.

أية أمور لم يفهمها التلاميذ أوّلاً؟ إنها نبوءة زخريا وكل ما كتبه النبي عن يسوع المسيح. ولكن لما «تمجّد» حينئذ فهموا ان زخريا تنبّأ عنه وأن الشعب صنع له هذا اللقاء المجيد. «لمّا تمجّد» أي بعد آلامه وموته ودفنه وقيامته من الأموات «حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب» (لوقا ٢٤: ٤٥». وبعد صعوده الى السماوات أرسل عليهم الروح القدس وجعلهم بنعمته كليّي الحكمة ففهموا ليس فقط نبوءة زخريا بل كل النبوءات الأخرى.

● «وكان الجمع الذي معه يشهد انه دعا لعازر من القبر وأقامه من الأموات. لهذا أيضاً لاقاه الجمع لأنهم سمعوا انه كان قد صنع هذه الآية» **(يوحنا ١٢:١٧-١٨)**.

---

(٤) لقد ورد عند مرقس ان الجحش «لم يجلس عليه أحد من الناس» **(مرقس١١:٢)** مما يعني ان الأمم لم تكن بعد قد بُشّرت بالانجيل.

الشعب الذي كان معه في بيت عنيا وتبعه الى أورشليم رأى قيامة لعازر وأخبر عنها . فشهد في أورشليم بأن يسوع المسيح صرخ حقاً نحو لعازر الذي في القبر : « لعازر هلمَّ خارجاً » (يوحنا ١١ : ٤٣) وأقامه من الأموات . وقبل هذه الشهادة كان قد سمع في أورشليم بهذه الآية التي صنعها يسوع ، ولذلك يقول يوحنا إن الجمع خرج للقائه بالسعف والأغصان .



نزول المسيح الى الجحيم

لأبينا الجليل في القديسين ابيفانيوس
رئيس أساقفة قسطنديه في قبرص.

تُقرأ في سبت النور

خطاب في دفن جسد ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح ، عن يوسف الذي من الرامة ، عن نزول الربّ الى الجحيم نزولاً مستغرباً بعد الآلام الخلاصيّة .

● **السكون**

١ – ما هذا الصمت غيرُ المحدود ، المخيّمُ على الأرض في هذا اليوم ؟ صمتٌ عظيم وهدوء كثير . صمتٌ عظيم لأن الملكَ نائم . خشعت الأرض فاستراحت لأن الإله رقد بالجسد . **مات الإله بالجسد** وارتعدت الجحيم . رقد الإله قليلاً والذين رقدوا منذ الدهر أقامهم من الجحيم . أين هي الآن الاضطرابات والأصوات والضجّة الآثمة المصعَّدة ضدّ المسيح ؟ أين الجماهير والثورات والجنودُ والحراس والسيوفُ والرماح ؟ أين الملوك والكهنة والقضاة المَقضيّ عليهم ؟ أين المشاعل المُضاءة والسيوف والصرخات الفوضويّة ؟ أين الجماهير المزمجرة والحرّاس العديمو الحشمة ؟ لقد اختفى الجميعُ لأن الشعوب بالحقيقة دبّرت خططاً باطلة لا معنى لها . داسوا حجر الزاوية ، المسيح فتحطّموا . ضربوا بمكرالصخرة الثابتة لكنهم تلاشوا كالزبد على مثال الموج الذي يضرب الصخور . دقّوا على السندان

غير المنهزم فتقطّعوا إرباً إرباً . رفعوا الحجرَ على خشبة الصليب فتدحرج عليهم وقتلهم . كما قيّد الفلسطينيون شمشون الجبّار كذلك فعلوا بالمسيح الشمس ، لكن هذا الاخير حطم السلاسل التي منذ القديم البعيد ، وقضى على الأثمة والغرباء . غاب الإله المسيحُ شمسُ العدل في الأرض فنزل على اليهود ظلامٌ كثيف .

• الخلاص

٢- اليوم الخلاصُ للذين يعيشون على الأرض وللذين تحتها منذ الدهر . اليوم خلاصُ العالم بأسره ، المنظور وغير المنظور . اليوم حضور المسيح السيّد المزدوج : رأفةٌ مزدوجة ، نزولٌ مزدوج مع تنازل ، محبّة للبشر مزدوجة ، افتقاد للبشر مزدوج . نزل المسيح من السماء الى الأرض ومن الارض الى ما تحت الثرى . أبوابُ الجحيم تُفتح . افرحوا يا من ترقدون منذ الدهور البعيدة ، الموجودون في الظلام وظلال الموت ، تقبّلوا النورَ العظيم . يأتي الربّ في ما بين عبيده ، **الإله في ما بين الأموات** ، الحياةُ في ما بين الأموات ، البريء فيما بين المذنبين . النورُ الذي لا يغرب في ما بين القابعين في الظلام ، المحرّر بين الأسرى ، تحت الثرى هذا الذي هو أعلى من السماوات . جاء المسيح الى الأرض وآمنا بذلك . نزل المسيح الى الأموات **فلننزل معه** ولنتعلّم الأسرارَ الحاصلة هناك . لنتعرّف الى العجائب الخفيّة الحاصلة تحت الارض والتي لله الخفيّ . لنتعلّم كيف أشرقت كرازة المسيح أيضاً على الساكنين في الجحيم .

• البارحة واليوم

٣- ماذا ايضاً ؟ بنزوله الى الجحيم هل يخلّص الإله الجميع بدون استثناء ؟ لا ، لأنه كما على الأرض هكذا أيضاً هناك ، يخلّص فقط الذين آمنوا به .

البارحة رأينا مظاهر ضعف المسيح الخلاصي ، واليوم نرى مظاهر قوّته . البارحة عايشنا طاعته ، واليوم نشهد لسيادته . البارحة ظهرت علاماتُ طبيعته

الانسانية ، واليوم العلامات الإلهيّة . البارحة لطموه ، واليوم ببرق لاهوته يشقّ مسكن الجحيم المظلم . البارحة قيّدوه ، واليوم هو الذي يُقيّد الطاغيةَ الشيطان بقيود لا تنحل . البارحة حكموا عليه ، واليوم يهب الحرّية للمحكوم عليهم بالخطيئة . البارحة استهزأ به خدام بيلاطس ، واليوم رآه بوّابو الجحيم فارتعدوا .

● القديم والجديد

٤- أنظر الى آلام المسيح وما يفوق قدرةَ الكلام . أنظر اليها وارفع التسبيحَ . أنظر ومجّد عجائبَ الله العظيمة . انظر كيف يمضي الناموس الموسوي وتزهر نعمة المسيح ، كيف تذهبُ الرموز والأشكال ويُكرز بالحقيقة ، كيف يغيب الظلام وتعمّ الشمس المسكونة ، كيف يُضحي العهد القديم لا فائدة منه ويُصدَّق على الجديد ، كيف تمضي الأشياء القديمة وتزهر الجديدة . شعبان وُجدا في صهيون معاً في زمن آلام المسيح (اليهودي والوثني) ملكان : بيلاطس وهيرودس . رئيسا كهنة : حنّان وقيافا . هكذا يتمّ الفصحان معاً ، ينتهي الفصح اليهودي ويبدأ الفصح المسيحي .

في الليلة نفسها تُقدَّم ضحيّتان . يتمّ فيهما خلاص الأحياء والاموات . من جهة يقبض الشعب اليهودي على حمل الله ويذبحونه ، ومن جهة أخرى يتعرّف الوثنيون الى الله المتّخذ جسداً . يقبض اليهود على المسيح ويطردونه خارجاً ، فتتقبّله الأمم بنشاطٍ . اليهود يقدّمون ذبيحة حيوانية ، والأمم تقدم ذبيحة الإله اللابس جسداً بشرياً .

● حياة مزدوجة

٥- اليهود يقدّمون ذبيحة الفصح تذكاراً لخروجهم من مصر ، والأمم يعلنون فيها خلاصهم من ضلالة الأوثان . أين يتم ذلك ؟ في صهيون مدينة الملك العظيم . فيها صُنع الخلاص في وسط الأرض ، حيث ظهر يسوع ابن الله بولادته بين حيوانين (الثور والحمار) ، بين وجودين ، جسديّ وروحيّ ، يرمز اليهما

الحيوانان . هذا الذي ظهر حياةً المولود من الحياة والواهب الحياة ، الذي ولد في مزود في ما بين الملائكة والبشر ، الذي وقف في ما بين شعبين وجعلهما واحداً كحجر الزاوية ، الذي كُرز به بين الناموس والأنبياء ، الذي ظهر بين موسى وايليا على جبل ثابور ، الذي بين اللّصّين أُعلن إلهاً من قبل اللص الشكور ، هذا الذي يجلس ابدياً على كرسيّ القضاء حيث تنتهي الحياة الحاضرة وتبدأ المستقبلة يظهر اليوم بين الاحياء والأموات مانحاً الحياة والخلاص معاً . حياةٌ مزدوجة ، ولادة مزدوجة مع اعادة ولادة . فأنطر اذاً الى الأحداث وصفّق لعجائب ولادةِ المسيح المزدوجة .

● **الولادتان :**

٦- ملاكٌ يبشر والدةَ الاله مريم بالحبل المسيحي وولادته ، وملاك يبشّر مريمَ المجدليّة ببشارة الفرح بقيامة المسيح من القبر . المسيح يولد ليلاً في بيت لحم ، وكذلك ليلاً يولد من جديد من بين الاموات في صهيون . يولد في مغارة من صخر ، ويولد ثانيةً عند القيامة من مغارة وصخرة .يُلفّ بالأقمطة عند الولادة وعند الدفن . هناك تقبّل المرّ الذي قدّمه له المجوس ، وهنا يتقبّل دهنه بالطيب ودفنه على يد يوسف ونيقودمس . هناك يخدمه يوسف خطِيب مريم الذي لم يكن يعرفها ، وهنا يوسف الذي من الرامة . هناك الرعاة أوّلاً بشروا بولادة المسيح ، وهنا رعاةٌ أيضاً ، وهم تلاميذ المسيح ، بشروا قبل غيرهم بولادته الجديدة من الأموات . هناك هتف الملاك بالعذراء « افرحي » ، وهنا المسيح ملاك الرأي العظيم هتف بحاملات الطيب « افرحن » . في ولادته الأولى دخل المسيح الى اورشليم الأرضية بعد اربعين يوماً ، دخل الى الهيكل وقدَّم لله كونه البكْر زوجَ حمام . أيضاً عند ولادته الجديدة من الأموات بكراً ولا فساد صعد بعد أربعين يوماً الى اورشليم السماوية التي لم ينفصل عنها ، الى قدس الاقداس ، وقدَّم لله الآب زوجَ حمام بلا عيب وهما النفس والجسد ، جسدنا . هناك في السماء تقبّله سمعان ، ولكن أيّ سمعان هذا ؟ القديم الايّام ، الله الذي قبل الدهور ،

وكأن على ذراعيه، في حضنه ما يتعدّى كل وصف بشري. وإن اعتبرتَ كل ذلك خرافةً لا ايماناً حقاً أدانتك الأختام غير المنتهكة، أختام القبر السيّدي لقيامة المسيح.

فإنه كما ولد المسيح من العذراء حافظاً أختام البتولية (تلك التي تُفتح طبيعياً بالحبل عند النساء كافة) مصونةً، هكذا حصل بالضبط لدى قيامة المسيح من الاموات إذ ان اختام القبر لم تفتح هي أيضاً عند القيامة.

● **يوسف ونيقودمس**

٧- **كيف، متى ومن دفن المسيحَ الحياة؟** لننظر ماذا تقول الكتاباتُ الشريفة. «لما كان المساء جاء رجل غنيّ من الرامة اسمه يوسف. هذا تجرّأ ودخل الى بيلاطس وطلب جسد يسوع» (**متى ٢٧:٥٧** - مرقس ١٥:٤٣).

جاء المائت الى المائت يطلب أن يأخذ إله البشر! الجبلة تطلب من الجبلة أن تأخذ جابلَ الكلّ! العشب يطلبٌ من العشب أن يأخذ النار السماويّة! القطرة العدمُ تطلب من القطرة الاخرى أن تُعطي المحيطَ بأسره! من شهد ومن سمع بمثل هذا الذي لا يسمع به قط: إنسان يهب انساناً آخر صانعَ الكلّ! قاضٍ لا قضاءَ عليه يسمح بأن يُدفن محكوماً عليه وهو قاضي القضاة!

«لما كان المساء جاء رجلٌ غني اسمه يوسف». بالحقيقة هو غنيّ لأنه أخذ شخصَ الرب بكامله. بالحقيقة غنيّ لأنه أخذ من بيلاطس المسيحَ بحضوريه. غنيّ لأنه استحقّ أن يأخذ اللؤلؤة الثمينة. غنيّ لأنه أخذ في يديه خزينةً تحتوي على الذخيرة الإلهية كاملة! كيف لا يكون غنياً هذا الذي حصل على الحياة وخلاص العالم! كيف لا يكون يوسف غنياً بعد ان تقبّل كهديةٍ ذاك الذي يغذّي الكلَّ ويدبّرهم؟ «لما كان المساء»: لقد غاب شمس العدل في الجحيم. لذلك جاء رجل غنيّ اسمه يوسف من الرامة بقي مختبئاً خوفاً من اليهود. جاء

معه نيقودمس الذي كان قد زار يسوع في إحدى الليالي (**يوحنا ٣ : ١-٢، ١٩ : ٣٩**).

● سرّ محبّة الله العظيمة.

٨- يا له من سرّ خفيّ اكثر من الاسرار كلّها! تلميذان خفيّان يأتيان ليخفيا يسوعَ في القبر. وبطريقتهما الخفيّة يعلّمان السرَّ الخفي في الجحيم، **سرَّ الله الذي توارى في الجسد**. الواحد ينافس الآخر في حرارة استعدادهما نحو المسيح. من جهة يقدّم نيقودمس الدهنَ والطيب بإكرام، ومن جهة اخرى يتقدّم يوسف المستحق المديح الى بيلاطس بجرأة وشجاعة.

لكن لماذا، بعد أن رمى عنه كل خوف، يتقدم الى بيلاطس بجرأة ويطلب جسدَ يسوع؟ عندما يتقدم إليه يأتي بحذاقة كلّية من أجل أن يصيب هدفه. لذلك لم يستعمل في حديثه مع بيلاطس تعابيرَ فاخرة لئلّا يُغضبَه ويفشَل في طلبه. كما لم يقلْ له: أعطني جسد يسوع الذي أظلم الشمس منذ برهة، الذي شقّق الأرض والصخور، الذي شقّ حجابَ الهيكل الى اثنين. لم يقل لبيلاطس شيئاً من ذلك على الاطلاق. لكن ماذا قال له؟

● أعطني هذا الغريب.

٩- شيئاً واحداً أطلب منك يا سيّدي، غرضاً صغيراً جئتُ من أجله: أعطني أن أدفنَ جسد ذلك المائت، الذي حكمتَ عليه بالموت، جسدَ يسوع الناصري، يسوع الغريب، يسوع الفقير، الذي لا سقفَ له، يسوع المعلّق عرياناً، يسوع ابن النجّار الحقير، المقيّد والمعروض في البرّية، الغريبَ المجهول بين الغرباء، المعلّق والمزدرى به بالحقيقة.

أعطني هذا الغريب لأنه جاء من كورة بعيدة من أجل ان يخلّص الانسان المتغرّب عن وطنه السماوي.

أعطني هذا الغريبَ الذي نزل الى الأرض المظلمة من أجل أن يرفع الغريب .

أعطني هذا الغريب لأنه وحده غريب بالحقيقة .

أعطني هذا الغريب الذي لا نعرف بلده نحن المتغربين.

أعطني هذا الغريب الذي نجهل طريقه ومكانه نحن الغرباء .

أعطني هذا الغريب الذي عاش حياة المغترب بين المغتربين .

أعطني هذا الغريب الذي ليس له هنا ما يُسند اليه رأسه .

أعطني هذا الغريب الذي لا سقفَ له ، ووُلد في مغارة كغريب بين الغرباء .

أعطني هذا الغريب الذي ، وهو بعد طفل خارج من المزود ، هرب لكي ينجو من هيرودس .

أعطني هذا الغريب الذي تغرّب في مصر وهو بعد في الأقماط .

أعطني ذاك الذي لم يكن له لا مدينة ، ولا قرية ، ولا بيت ، ولا مسكن ثابت ، ولا أي قريب من جنسه ، لكنه سكن مع أمه في كورة غريبة مع انه يحوي كل شيء.

سيّدي ! اسمح لي أن أستر جسد المعلّق عرياناً على خشبة الصليب الذي ستر عري طبيعتي الخاصة .

أعطني أن أدفِنَ ذاك المائت الذي دفن خطيئتي في مياه الأردن . أتوسّل إليك من اجل مائتٍ حُكم عليه من الجميع ، سُلّم على يد تلميذه ، تركه أصدقاؤه ، طرده إخوته وضربه عبده !

أتوسّل إليك من أجل مائتٍ حكم عليه من قبل هؤلاء الذين حرّرهم من العبودية ، جُرّح من قبل الذين شفاهم ، تركه تلاميذه وحُرم حتى من أمّه .

أطلب اليك يا بيلاطس ، من أجل مائتٍ معلّق على الصليب ، ليس له أحد يخدمه ، لا أب على الارض ، لا صديق ، لا تلميذ ، لا أقارب ، لا أحد يدفنه . هو وحده الابن الوحيد للآب الوحيد ، الإله في هذا العالم ، الذي لا إله سواه .

● الدفن

١٠- بمثل هذا الكلام كان يتوسّل . فأمر بيلاطس بأن يُعطى جسدَ يسوع . جاء يوسف بعدها الى الجلجلة وأنزل الإله بالجسد عن الصليب . بسط على الارض جسد الاله عرياناً . فها هو ممدود على الارض ، هذا الذي جلب الكلّ الى العلاء . يبقى لفترة بدون نسمة هذا الذي هو نسمة الكلّ وحياتهم .

يظهر عديمَ النظر هذا الذي أبدع الشاروبيم الكثيري الأعين . يُضحي على الأرض هذا الذي هو قيامة الكلّ . **يُمات الإله بالجسد** ، وهو الذي أقام الاموات . ويصمت هدير كلمة الله بالجسد . أيادي بشريّة ترفعه ، وهو الذي أمسك بقبضته الارض كلّها .

تُرى يا يوسف بعد أن طلبتَ وأخذت ، هل تعرف بالحقيقة من استلمتَ ؟ بعد أن اقتربتَ من الصليب وأنزلتَ يسوع ، هل تعرف بالحقيقة من تمسك بيديك ؟ إن عرفت فعلاً أصبحت الآن غنياً . وإلّا كيف تتجاسر على هذا الدفن الرهيب ، دفن يسوع الإله بالجسد ؟ ممدوحة بالحقيقة رغبتك ، لكن استعدادَ نفسك هو أجدر بالمديح . ألا ترتعد يا ترى عندما تحمل على يديك هذا الذي ترتعد منه الشاروبيم ؟ بأي قدر من الخوف عرَّيتَ جسد الإله هذا من الثوب الخفيف الذي كان يستره ؟ بأي قدر من الخشوع أغلقت عينيه ؟ ترتجف إذ تحدّق بالطبيعة الجسدية التي للإله الفائق الطبيعة .

● كيف دفنتَ الخالق ؟

١١- قلْ لي يا يوسف ، أدفنتَ يسوع موجّهاً إياه الى الشرق كسائر الأموات ، وهو مَشْرِق المشارق ؟ هل أغلقتَ بأصابعك عينيه كما يجري

للأموات ، وهو الذي فتح عيني الأعمى بأصبعه القدّوس ؟ هل أغلقتَ فم ذلك الذي فتح فم الأبكم الأخرس ؟ هل ربطت يدي ذلك الذي حلّ اليدين المخلّعتين ؟ هل قيّدت قدمي يسوع الذي حرّك القدمين اليابستين ؟ ربّما حملت على سرير الأموات هذا الذي أمر المخلّع بأن يحمل سريره . ربّما سكبت طيباً على الذي أخلى ذاته كطيب سماوي ليجدّد العالم ؟ هل تجرّأت يا ترى على مسح الجنب المسيل الدمّ ، جنب يسوع الإله الذي شفى النازفة الدم الحزينة ؟ هل غسلتَ بالماء جسد الإله الذي غسل خطايا الكلّ ووهبَ التطهير ؟ أيّ سراج أشعلتَ أمام النور الحقيقي المنير كلّ انسان ؟ هل رتّلت تراتيل جنائزيّة لذلك الذي ترنّم له القوات الملائكية بلا فتور ؟ هل سكبت دموعاً على يسوع الذي دمّع وأقام لعازر صديقه المائت ؟ هل رثيت الذي منح الفرح ووضع حدّاً لحزن حوّاء ؟

١٢- مغبوطتان على كلّ حالٍ يداك يا يوسف لأنهما لامستا اليدين الإلهيتين ، وقدمي يسوع النازفتين بعد دماً . مغبوطتان يداك اللتان مسّتا جنب الإله قبل يدي توما الأمين في فضوله المستحق المديح . مغبوط فمك الذي شبع ممّن لا يُشبع منه واتحد بفم يسوع فامتلأ منه بالروح القدس . مغبوطتان عيناك اللتان قابلتا عيني المسيح وأخذتا منهما النور الحقيقي . مغبوط وجهك الذي واجه وجه يسوع . مغبوطان كتفاك اللذان حملا الذي حمل الجميع مغبوط رأسك الذي اقترب من يسوع رأس الجميع .

طوبى لكما يا يوسف ونيقودمس لأنكما أصبحتما شاروبيماً مثل الشاروبيم عندما حملتما الإله ورفعتماه، وأصبحتما سارافيماً قبل السارفيم ذوات الستة الأجنحة عندما خدمتما الإله . لقد اكرمتما المسيح وسترتماه لا بالأجنحة بل بالسباني . هذا الذي ترتعد منه الشاروبيم يحمله يوسف ونيقودمس على أكتافهما وينقلانه مع كل الأجناد السماوية .

● المنظر الرهيب : يسوع عريان مائت

١٣- جاء يوسف ونيقودمس ومعهما جوق الملائكة بكامله. أقبل الشاروبيم وأسرع السارفيم. تحمله العروش، تستره ذوات الستة الأجنحة، ويرتعد معها الكثيرو الأعين عندما يشاهدون يسوعَ بالجسد عديمَ النظر. القوّات تلفّه والرؤساء ترنّم له والطغمات ترتعد. تسقط القوّات الملائكيّة كلّها في دهشة وانخطاف ويتساءلون بتحيّر كبير: ما هو هذا الأمر الرهيب والخوف والرعدة والسبيل؟ ما هو هذا المشهدُ العظيم المتناقض وغير المدركُ؟ هذا الذي لا نتجاسر نحن العديمي الأجساد أن ننظرَ اليه في السماء من الارتعاد، يظهر هنا على الأرض انساناً عرياناً ومائتاً! هذا الذي يقف الشاروبيم أمامه بكل خشوع يدفنه يوسف ونيقودمس بحماس. متى نزل على الارض هذا الذي لم يغادر السماء؟ كيف خرج الى الخارج هذا الذي لم يزل داخلاً؟ كيف جاء وحدّ نفسه على الارض هذا الذي يملأ الكلّ بحضوره؟ كيف تعرّى هذا الذي ستر الجميع؟ الحاضر دوماً في السماء كإله مع الآب يعيش الآن باستمرار على الارض مع أمّه إنساناً حقيقياً! هذا الذي لم يظهر أبداً كإله للبشر كيف يظهر الآن بشراً ومحبّاً للبشر معاً؟

● هدف نزوله الى الجحيم

١٤ - كيف صار غيرُ المنظور منظوراً؟ كيف اتّخذ غير الهيولي جسداً؟ كيف تألّم الذي بلا هوى؟ كيف وقف القاضي ليُدان؟ كيف ذاق الحياةُ الموت؟ كيف وسع القبر من هو غير موسوع؟ كيف يسكن القبر من لم يزل في حضن الآب؟ كيف يدخل باب المغارة من لم يفتح أبواب السماوات؟ كيف يفتح أبواب الفردوس من صان أبواب البتولية مغلقة؟ كيف حطّم أبواب الجحيم إلا أنه لم يفتح أبواب العلّية حيث كان توما ينتظره؟ كيف فتح للبشر أبواب ملكوت السماوات إلا انه ترك أبواب القبر وأختامه تُفتح من نفسها؟ كيف أُحصي في عداد الأموات من هو حرّ فيما بين الأموات؟ كيف يأتي النور الذي

لا يغرب الى الظلمة والظلال ؟ أين يذهب ؟ أين ينزل هذا الذي لا يستطيع الموت أن يدركه؟ ما هو السبب؟ ما هو السبيل؟

ما هو هدف نزوله الى الجحيم؟ ربما ينزل ليرفع أخانا في العبودية آدم المحكوم عليه ؟ حقاً ! إنه يسير بدون شك ، يطلب المجبول أوّلاً ، الخروف الضال ، ويريد أن يفتقد هؤلاء القابعين في الظلام وظلال الموت . يسير بدون شك ليحرّر من الآلام آدم المُقيّد وحوّاء معه . وهو الإله وابنهما في آنٍ .

● أبرار العهد القديم

١٥ – لننزل اذاً مع المسيح ! لنسرع ونتهلّل معه إذ نشاهد البشرَ مصالَحين مع الله والمحكومَ عليهم محرّرين من قبل السيّد الصالح . لأنّ الذي هو بطبيعته محبّ للبشر **يجري ليفكّ قيودَ المقيّدين منذ القديم** بشجاعة وقوّة كثيرة ، هؤلاء القابعين في القبور ، الذين ابتلعهم الطاغية المرّ المتوحّش بعد أن أخضعهم لسلطانه ونشلهم كاللصّ من أحضان الله .

هناك نجد **آدم** المُقيّد الذي جُبل أوّلاً ومات أوّلاً موضعه أعمق من سائر المحكوم عليهم . هناك **هبيل** الراعي البار الأوّل والذبيحة البريئة الاولى مثالُ الذبح الظالم للمسيح الراعي . هناك **نوح** مثالُ تابوت المسيح العظيم الذي أنشأ كنيسة الله التي ، بواسطة حمامة الروح القدس ، خلّصت الامم البربريّة من طوفان عدم الايمان وطردت منها الغراب الاسود الشيطان المظلم . هناك أيضاً **ابراهيم** جدّ المسيح ذابح ابنه والذي قدّم لله الذبيحة الشهيرة التي بالسيف وبدون سيف ، بموت وبدون موت في آن واحد . هناك يوجد **يعقوب** حزيناً في الجحيم أسفل ، كما حزن على الارض لفقدان يوسف . هناك **يوسف** المسجون في مصر مثال المسيح المسجون والسيّد .

وفي اسفل الظلمات نجد **موسى** كما كان مرّة على الارض داخل السلّة المظلمة . هناك النبي **دانيال** في أسفل الجحيم كما وُجد وهو على الارض في

جبّ الاسود . هناك **ارميا النبي** في قعر الجحيم وفساد الموت كما كان في جبّ الهلاك حيث رماه أبناء جنسه . هناك ايضاً في فم الجحيم التي تبتلع العالم النبي **يونان** الذي يمثل المسيح الأزلي . هناك **داود** جدّ الإله الذي انحدر منه المسيح بالجسد .

ولماذا أقتصّر على ذكر داود ، يونان وسليمان ؟ هناك أيضاً **يوحنا المعمدان** العظيمُ الفائق على كلّ الأنبياء وكأنه في جوفٍ مظلمة (كما كان قديماً في بطن أمّه اليصابات) يسبق ويعلن المسيح لكل المقيّدين في الجحيم ، وهو **السابق والكارز للاحياء والاموات معاً** . هذا الذي عند ذبحه أُرسل من سجن هيرودس الى سجن الجحيم ، الى الراقدين منذ الدهر ، الأبرار والمظلومين .

● **إبتهال الابرار**

١٦- ومن هناك ، من أسافل الجحيم كان الأنبياء والأبرار يبتهلون الى الله بصلوات حارة ومستمرّة طالبين الخلاص من الليل القاتم المظلم ، الذي لا نهاية له ، الحزين الموجع ، السائد عليه الشيطان العدوّ . كان الواحد يقول لله : « من جوف الجحيم استغثتُ فسمعتَ صوتي » (يونان ٢ : ٣) ، والآخر كان يصرخ : « من الأعماق صرخت اليك يا رب ، يا رب استمع الى صوتي » (مز ١٢٩ : ١-٢) . آخر يبتهل : « أظهر وجهك علينا فنخلص » ، وآخر يتوسل « انت الجالس فوق على عرش الشاروبيم اطّلع علينا » ، وواحد آخر يصلّي : « يا ربّ شدّدني بسلاح قوتك الذي لا يُقهر وتعال اليّ وخلّصني » ، وآخر بحزن : « يا ربّ ارثِ لنا ولتدركنا رأفتك ، » ، وآخر يصرخ : « **خلّص نفسي من أعماق الجحيم** » ، وآخر : « يا ربّ أخرج نفسي من الجحيم » ، وأيضاً يا ربّ لا تترك نفسي في الجحيم » ، وكذلك : « لترتفع حياتي من الهلاك اليك أيها الرب الهي (يونان ٢ : ٧) .

لقد سمع الله الجزيل التحنّن هؤلاء كلّهم ، ولم يشأ أن يقدّم محبّته فقط

الى البشر الذين كانوا يعيشون معه على الارض، لكنه بسط رأفته على كلّ المقيّدين في الجحيم، الذين ينتظرونه في ظلام الموت وظلاله وقبل أن يذهب إليه. فافتقد الله الكلمة الذين على الأرض بجسده المتنفّس الحيَّ وللنفوس التي تركت جسدها على الارض وأصبحت في الجحيم ظهر بنفسه الإلهية الطاهرة بدون جسد ولكن ليس بدون ألوهيته.

● كيف سحق قوّة الموت.

١٧- لنسرع اذاً ونذهب بالفكر الى الجحيم لكي نرى هناك كيف يتغلّب بقوّة، بقدرة عظيمة على الطاغية المتسلّط على النفوس المقيّدة، كيف يأسر بلمعانه، بجيشه العظيم وبلا أيدٍ جحافلَ الشياطين العديمةَ الموت! يرفع المسيح بصليبه من الوسط أبواباً لا نوافذ لها وغير خشبيّة بمسامير إلهية يسحق الأمخال الدهريّة، وبيديه الإلهيتين المربوطتين يذيب كالشمع السلاسلَ العسرة الحلّ. بالحربة التي طعنت جنبه الإلهي وبلا جسد يطعن قلب الطاغية. يسحق قوّة قسيّه في الوقت الذي يبسط يديه الإلهيّتين بمثابة قوس على الصليب. لذلك إن تبعت المسيح بهدوء، ترى الآن اين رُبِطَ الطاغية وأين عُلّق رأسُه، كيف نبش سجن الجحيم وحرّر المقيّدين، كيف داس الحيّة القديمة وأين علّق رأسها، كيف حرّر آدم وأقام حوّاء، كيف هدم الحائط المتوسّط وأين حكم على التنين الخبيث، أين أمات الموت، كيف أفسد الفساد وكيف أعاد الانسان الى مرتبته الملكيّة الاولى.

● مواكبة الملائكة.

١٨- ذاك الذي البارحة بتنازله غير المحدود لم يلجأ الى مساعدة الجيوش الملائكية قائلاً لبطرس: «باستطاعتي الآن أن أطلب أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة» (متى ٢٦: ٥٣)، ينزل اليوم بموته الى الجحيم، الى الموت، ضدّ الشيطان الطاغية، كما يليق بالله وبالسيّد، على رأس جيوش عديمة الجسد والموت، طغمات غير منظورة، لا فقط اثني عشر جيشاً بل ربوات، ربوات

آلاف آلاف من الملائكة ، من رؤساء الملائكة ، من السلطات ، من العروش ، من ذوات الستّة الأجنحة ، من الكثيري الأعين ، من الطغمات السماوية تتقدّم المسيح بمثابة ملك لها وسيّد تواكبه، وتكرّمه . ليس ذلك للتحالف معه ومؤزارته في الحرب . لا أبداً ! إذ كيف يحتاج الى حليف حربي من هو المسيح الكليّ القدرة ؟ تواكبه لأنها تحتاج وتتشوّق الى أن تكون دائماً الى جانبه . تركض القوات الملائكية كعساكر مرافقة مسلّحة بالسيوف بمثابة صواعق بارقة ، مسلّحة بالصواعق الإلهية الكلّية القدرة التي لملكها . تبادر القوّات بحماس كبير ويفوق أحدها الآخر سرعةً ملبياً مجرّد الاشارة الإلهية ومنفّذاً الأمر الإلهي ومكلّلاً بإكليل الظفر ضدّ مصفّ الأعداء الطغاة . لذلك فهي تنزل الى سجون الأموات القدماء جداً ما تحت الثرى ، في قلب الجحيم وأعمق من كلّ الأرض ، وذلك لتُخرج الآن المكبّلين بالسلاسل والراقدين منذ الدهر .

● **ارفعوا الابواب ارفعوا !**

١٩- ما ان ظهر الربّ بحضوره الالهي المُشعّ أمام أبواب الجحيم المقفلة ، امام السجون المظلمة القاتمة في قعر مغاور الجحيم ، حتى تقدّمه جبرائيل رئيس الجنود كونه اعتاد أن يجلب بشارة الفرح الى البشر . وبصوت قويّ لائق برؤساء الملائكة يهتف بصوت طنّانٍ كصوت الأسد نحو القوات المعادية : « **إرفعوا أيها الرؤساء أبوابكم** » ، ويصرخ معه ميخائيل : « لتسقط الأبواب الدهّرية » ، ومن ثم تتابع القوات : « الى الوراء أيها الحرّاس الأثمة » والسلطات تأمر بشدّة : « حطّموا السلاسلَ العسرة الحلّ » ورئيس آخر يضيف : « الخزي لكم يا طغاةً غير مبالين » .

وكما يحدث عند حضور جيش ملكي رهيب لا يُقهر وكليّ القدرة ، حين يسود القائد غيرُ المقهور على الأعداء بالرعدة بالاضطراب ، بالخوف الشديد ، هكذا حصل فجأة ما ان حضر المسيح بهذا الشكل الغريب الى أسافل الجحيم .

من فوق برقٌ قويّ يُعمي وجوه قوّات الجحيم المعادية ، وفي الوقت نفسه كانت تُسمع هتافات الجيوش المرعدة . « **ارفعوا الأبواب** » . لا تفتحوها فقط بل اقتلعوها من اساساتها ، اخرجوها كلّياً من مكانها حتى لا تستطيع من بعد أن تقوم . إرفعوا ايها الرؤساء أبوابكم ، لا لأن الرب لا يستطيع أن يفتحها ، وهو إن شاء أمر ودخلها وهي مقفلة ، لكنّه يأمركم كعبيد فارين بأن ترفعوا الابواب الدهّرية وتنقلوها من هنا . لا يأمر شعبكم بل يأمركم أنتم الرؤساء : « إرفعوا أيها الرؤساء أبوابكم » **(مز ٢٣:٧– ١٠)** .

من الآن فصاعداً لن تكونوا رؤساء متسلّطين على أحد مع أنكم حتى الآن سدتم باطلاً على الراقدين . لن تسودوا بعد الآن عليهم ولا على غيرهم ولا حتى على أنفسكم . إرفعوا الأبواب لأن المسيح أتى وهو الباب السماويّ . إفتحوا الطريق أمامه فقد داس بقدمه معقل الجحيم . **إسمه « ربّ » والربّ له الحق والقدرة أن يخترق ابواب الموت** ، لأن مدخل الموت قد صنعتموه أنتم وهو أتٍ لكي يعبره . لذا افتحوا بسرعة ولا تتأخروا . إفتحوا ولا تُرجئوا . إن ظننتم أنه سوف ينتظِركم فباطلاً تفعلون ، لأنه سوف يأمر ان تنفتح الأبواب من نفسها وبدون أيدٍ : إنفتحي أيتها الابواب الدهّرية !

● تزعزعت القوات المعادية .

٢٠– ما ان صعد هتاف القوّات الملائكيّة حتى انفتحت الابواب في اللحظة نفسها . في اللحظة نفسها تحطّمت الأمخال والسلاسل ، فسقطت المفاتيح وتزعزعت أساسات السجن . هرعت القوّات المعادية الى الهرب فجأة : واحد يدفع الآخر ، آخر يتشابك بين أقدام غيره ، كل واحد يحث الذي بجانبه على الفرار بسرعة . ارتعدت ، تزعزعت ، ضاعت ، اضطربت ، تغيّرت ألوانها ، خافت ، وقفت وتحيّرت ، تحيرت وارتجفت . بقي الواحد فاغراً فمه ، والثاني ستر وجهه بين ركبتيه ، والثالث سقط على الأرض جامداً من الخوف . آخر وقف بلا حراك كأنه مائت . الواحد يجمد في مكانه ، والآخر يركض طالباً النجاة بعيداً .

• من هو هذا ملك المجد؟

٢١- في هذه الساعة قطع المسيح رؤوس الطغاة المذهولين. تعطّلت ألجمتهم وأخذوا يتساءلون: «من هو هذا ملك المجد»؟ من هو هذا الذي جاء الى هنا قائماً بمثل هذه الاعمال الغريبة؟ من هو هذا ملك المجد الذي يفعل الآن في الجحيم ما لم يُفعل فيها قبلاً على الإطلاق؟ من هو هذا ملك المجد الذي يُخرج من هنا المكبّلين منذ الدهر؟ من هو هذا الذي به انحلّت سلطتنا وجسارتنا غيرُ المقهورتين حتى الآن. وقُضي عليهما؟

وكانت قوّاتُ الربّ تجيبها قائلة: أتريدين معرفة من هو هذا ملك المجد؟ «إنه الربّ العزيز القويّ الرب القوي في القتال» الكليّ القدرة وغير المنهزم. هو الذي طردكم من الأخبية السماوية ورماكم خارجاً أنتم الطغاة الأثمة الأشقياء. هو الذي سحق في مياه الأردن رؤوس تنانينكم. هو الذي جعلكم مشهداً للجميع على صليبه. شهّرَ بكم ونزع عنكم كلّ قوّة. هو الذي قيّدكم ورماكم في الظلمة والهوّة. هو الذي سيقضي عليكم نهائياً في النار الأبديّة وجهنّم. فلا تتأخروا، ولا تنتظروا، بل أسرعوا وأخرجوا المكبّلين الذين ابتلعتموهم الى الآن برداءة. من الآن فصاعداً لن تكون لكم أيّة قدرة. زالت سلطتكم الطاغية. تحطّم كبرياؤكم بصورة تثير الشفقة. امّحت قوتكم وزالت الى الأبد.

• عمل القوّات

٢٢- كانت قوّات الرب الظافرة تهتف بهذا الكلام الى قوّات العدوّ وفي الوقت نفسه تعمل بلا هوادة. منهم من هدم السجن من أساساته. آخرون طردوا الأعداء الهاربين الى الاماكن العميقة. آخرون يركضون ويفتشون دركات الارض والمغاور والمعاقل. والكل من جهات مختلفة كان يأتي بالمقيّدين الى أمام الربّ. منهم من كان يقيّد الشيطان الطاغية، وغيرهم يحرّر المقيّدين منذ الدهر.

منهم من يتقدّم الربَّ السائر الى أعماق الجحيم ، وآخرون يتبعونه ظافرين وراء الله والملك .

● تحرير آدم

٢٣- بينما كانت تجري هذه الاحداث في الجحيم ويهتزّ كلّ شيء، كان الربّ يقترب من الاعماق البعيدة حيث كان آدم المخلوق أوّلاً ، المجبول اوّلاً والمائت أوّلاً ، مقيّداً بصورة متينة في موضعٍ أعمق من غيره ، وهو يسمع خطوات الربّ الذي كان يتقدّم فيما بين المساجين ، وقد عرف للحال صوته وهو يمشي في السجن . فالتفت عندها الى المحيطين به منذ الدهر وهتف بهم قائلاً : « يا أصحابي ! إني اسمع رنينَ خطوات شخص يقترب منّا . إن استحقينا فعلاً أن يأتي الى ههنا سوف نُطلق أحراراً ! إن شاهدناه بيننا، أُنقذنا من الجحيم » .

٢٤- في الوقت الذي كان فيه آدم يتكلّم الى المحكوم عليهم معه ، يدخل الرب ماسكاً سلاح الصليب الظافر . ما ان واجهه آدم حتى قرع صدره من الفرح وهتف لجميع الراقدين : « ليكن الربُ معكم جميعاً » ! فأجابه المسيح : « ومع روحك أيضاً » .

من ثم يمسكه بيده ويرفعُه الى فوق قائلاً له : « استيقظْ أيّها النائم وقم من بين الاموات فيضيء لك المسيح » (أفسس ٥: ١٤) . أنا هو الإله الذي صرتُ ابناً لك من أجلك . أنت معي الآن مع كل أبناء جنسك ، وبسلطتي الإلهيّة أمنحكم الحرّية ، وأقول للمقيّدين اخرجوا ! وللذين في الظلام استعلنوا ، وللذين على الأرض انهضوا .

● والى آدم .

وأنت يا آدم لك أقول آمراً : إنهض من نومك الدهري . لم أجبلْك لكي تبقى مكبّلاً في الجحيم . قم من بين الاموات لأني انا هو حياة الراقدين . إنهضْ الى فوق ، إنهض يا من أخذ شكلي ، من خلقتُه على صورتي . إنهض لنرحل من

هنا لأنّك أنت فيّ وأنا فيك ! من أجلك أخذتُ صورةَ عبد . من أجلك نزلتُ الى الأرض والى ما تحت الارض أنا الذي هو أرفع من السماوات . من أجلك « صرتُ مثل إنسان ليس له معين منفصلاً عن الحياة فيما بين الاموات » (مز ٨٧ : ٥) . من أجلك انت ، يا من خرجتَ من بستان الفردوس ، في بستان سُلّمتُ الى اليهود وفي بستان صُلبتُ (يو ١٩ : ٤١) .

أنظر البصاق في وجهي . قد قبلتُه من أجلك ، من أجل أن أعيدك الى مجدك القديم الذي وهبتك إيّاه بنسمة من عندي . أنظر اللطمات على خدّي . قبلتها من أجل أن أصلح شكلك الذي تشوّه وأعيده الى الشكل الذي على صورتي . أنظر الجلْدَ على ظهري ، قبلته لكي أبدّد حمل خطاياك . أنظر الى يديَّ المسمّرتين بسطتهما على عود الصليب من أجل غفران خطيئتك أنت الذي بسطت يدك على عود المعصيّة . أنظر الى قدميّ . ثقبتا وسمّرتا على الصليب من أجل تطهير قدميك اللّتين أسرعتا برداءةٍ الى عود الخطيئة .

لقد صدر الحكم عليك في اليوم السادس . ولذلك في اليوم السادس أيضاً أجبلك من جديد وأفتح لك الفردوس . من أجلك ذقت المرارةَ لكي أشفيك من اللذّة المرّة التي ذقتها بأكلك تلك الثمرة الحلوة . ذُقتُ الخلّ لكي أُخرج الحدّة والمرارة من حياتك وكأسَ الموت من طبيعتك . قبلتُ الاسفنجة لكي أمحو سجلّ خطاياك . قبلتُ القصبة من أجل أن أوقّع على تحرير الجنس البشري . بُسطت راقداً على الصليب وطعن جنبي بحربة من أجلك أنت الذي بسطتُك راقداً في الفردوس وأخرجتُ حوّاء من جنبك . رقادي الخاص قد اقامك من رقاد الجحيم . السيف الذي ضربني رفع السيف الموجّه عليك (تكوين ٣ : ٢٤) .

إنهض لنرحل من هنا . قبلاً نفيتك من الفردوس الأرضي ، والآن **أعيدك لا الى ذلك الفردوس بل الى العرش السماوي** . آنذاك منعت عنك عود الحياة (تكوين ٣ : ٢٢) ، لكني الآن أتحد بك تماماً ، أنا الحياة نفسها قبلاً أمرتُ الشاروبيم بحراستك كعبد والآن اقود السارافيم للسجود لك كإله . لقد اختفيتَ

قبلاً من أمام الله لأنك كنتَ عرياناً ، لكنّك أُهّلت الآن لأن تخفي في داخلك الله نفسه عرياناً . ولذلك انهضوا لنرحل من هنا ! من الموت الى الحياة ، من الفساد الى عدم الفساد ، من الظلمة الى النور الابدي ، من الوجع الى الحرّية ، من سجن الجحيم الى اورشليم السماويّة ، من القيود الى الراحة ، من العبودية الى نعيم الفردوس ، من الأرض الى المساء .

● **إنهضوا**

٢٥- من أجل هذا مات المسيح وقام . لكي يصيرَ ربَّ الاحياء والاموات (رو ١٤ : ٩) . انهضوا اذاً لنرحل من هنا . إن الآب السماوي ينتظر بشوق الخروف الضال . الملائكة التسعة والتسعون (متى ١٨ : ١٢) ينتظرون شريكهم آدم : متى يقوم ، متى ينهض ويعود الى الله . العرش الشارويبيمي جاهز . الذين سوف يرفعونك يتسارعون معجلين . خدر العرس مهيّأ ومائدة العيد مفروشة (رؤ ١٩ : ٩، لو ١٤ : ١٦) . قد فُتحتْ خزائن الخيرات الأبدية . وحضر ملكوت السماوات الذي منذ إنشاء العالم (متى ٢٥ : ٣٤) . خيرات لم ترها عين ولا سمعت بها أذن تنتظر الانسان (١ كور ٢ : ٩) .

هذا وما شابهه قاله الربّ . وللحال نهض آدم المتحد به وحوّاء معهما . « وقام أيضاً معهم عدد كبير من أجساد الصدّيقين الذين رقدوا منذ الدهر » (متى ٢٧ : ٥٢) ، كارزين بقيامة المسيح ذات الثلاثة الايام . فلنتقبّلها ونعانقها نحن المؤمنين بكلّ فرح معيّدين وراقصين مع الملائكة ورؤساء الملائكة ممجّدين المسيح الذي أقامنا من الفساد الذي يليق به المجد والقوة مع الآب الذي لا يموت والروح المساوي له في الجوهر الصالح والصانع الحياة ، الى دهر الداهرين ، آمين .

آحاد

القيامة

(البندكستاري)

القيامة [١]

للقديس سمعان اللاهوتي الحديث

● **المقدمة : آبائي واخوتي**

ها الفصحُ قد أتى ، اليومُ البَهج ، المانحُ الفرحَ والسرور ، يومُ قيامةِ المسيح . الفصح العائد إلينا في كل سنةٍ بل الصائر بالأحرى كلَّ يوم وعلى الدوام في النفوس العارفةِ سرَّه . لقد ملأ قلوبَنا فرحاً وبهجةً لا توصف وأنهى في الوقتِ ذاتهِ مشقّةِ الصومِ الوقورِ ، لا بل أكملهُ وعزّى نفوسنا في آنٍ واحدٍ . من أجلِ ذلكَ يَعبُر كما تَرَون ، داعياً ايّانا والمؤمنين معاً الى الراحةِ والشُّكران .

فلنشكر إذاً الربَّ الذي أهَّلنا لأن نجتازَ بحرَ الصَّومِ وهَدانا بفرحٍ الى مرفأ قيامتهِ . ليشكرهُ كلُ من خاضَ شوطَ الصومِ بجدٍّ ونشاط ، بهمةٍ وحرارة ، بجهاداتٍ في سبيلِ اكتسابِ الفضيلةِ . وليشكرهُ أيضاً كلُّ من تقاعس بسببِ الإهمالِ وصِغَرِ النفسِ ، لأنهُ يمنحُ أكاليلَ مضاعفة للمجاهدين الأشداء ، وأجراً لائقاً بأعمالهم ، ويُسامحُ الضعفاء المُتهاملين لأنهُ رحيمٌ ومحبٌّ للبشر . ينظر الى قلوبنا واستعدادها ، الى النوايا ، اكثر ممّا ينظرُ الى الاتعاب الجسدية التي نبذُلها في سبيل الفضيلة أبذلنا جُهداً كبيراً بعزمٍ كلّي أم قمنا ، بسبب ضعف الجسد ، بأقل مما يقوم به المجاهدون الأقوياء . يوزّعُ الجوائز ومواهبَ الروحِ لكل واحدٍ **حسب**

---

(١) هذا المقال عن القيامة هو حديث للقديس سمعان اللاهوتي الحديث ألقاه على تلاميذه بمناسبة عيد الفصح. وهو من تعاليمه رقم١٣. ولد القديس في عام ٩٤٩ تتلمذ على يد الشيخ سمعان التقيّ، مرّ بدير الستوديت ثم أصبح رئيساً لدير القديس ماما في القسطنطينية.

النوايا وبتوافق . فإما ان يُبرز أحدَ المجاهدين الأشداء ويمجّده أو يَدَعهُ وضيعاً راجياً منه نقاوة أكثر .

* * *

● قيامة المسيح السريّة

لنر ان شئتم ، ونتأمل جيّداً ماهيَّة سرٍّ قيامة المسيح الهنا ، السرّ الذي نودُّ ان يتمَّ فينا (بصورةٍ روحيةٍ) . لنرَ كيف أنّ المسيح مدفون فينا كما في قبرٍ وكيف انهُ ، عندما يتّحدُ بنفوسنا ، يَنهضُ ويُنهضنا معه . واليكم توضيح الكلام : ذاق الموتَ ونزلَ الى أسافلِ الجحيم . ولدى صعودهِ من الجحيم اتَّحد بجسدهِ الطاهر الذي لم ينفصلْ عنهُ أبداً [٢] ، وقام للحال من بين الأموات ، ثم صعد الى السماء بمجد عظيم . هكذا الآن أيضاً عند خروجنا من عالمِ الخطيئة ودخولنا على شبه آلام المسيح في **قبرِ التواضع والتوبة** ، ينحدرُ هو بالذات من السماء ويدخلُ في جسدنا كما في قبرٍ ، ولدى اتحاده بنفوسِنا يُنهضها كونَها مائتةً بالحقيقة ، ويؤهلنا نحن القائمين هكذا معهُ الى رؤية مجد قيامتهِ السريّة .

قيامةُ المسيح هي قيامتنا نحن الواقعين في الخطيئة . ولكن كيف يمكن أن يقوم ويتمجّد ذاك الذي لم يسقط أبداً في خطيئةٍ ، كما كُتِبَ عنهُ ، ولم ينفصل البتَّة عن مجده ، الذي هو ممجّد على الدوامِ بصورةٍ فائقةٍ ، الكائن في الوقت نفسه فوقَ كل رئاسة وسلطة . قيامة المسيح ومجده هي قيامتنا بالذات كما ذكرنا ، هي التي تحصلُ لدى قيامة المسيح فينا ، تكشفُ لنا ونراها . فهو ما أن يسكن مرّةً في طبيعتنا حتى يفعل فيها كلَّ ما تمّ في طبيعتهِ الخاصةِ أوّلاً . **قيامة النفس هي اتحادُها بالحياة** . كما ان الجسد المائتَ ان لم يتقبّل النفس الحيّة

---

(٢) «ولئن قُتلتَ لكنك لم تنفصل عن الجسد الذي ساهمته» (الاودية السادسة من قانون السبت العظيم).

ويتحد بها بدون امتِزاج لا يُقالُ عنهُ إنهُ حيٌّ ولا يمكنُ له أن يحيا ، هكذا فان النفسَ لا تستطيعُ ان تحيا وحدَها إن لم تتحدْ بالله ، الحياة الأبدية الحقّة ، اتحاداً فائقاً لا اختلاط فيه . فقبل الاتحاد تكونُ النفسُ مائتةً بالمعرفة ، بالرؤيا وبالحسّ ، مع انها روحيةٌ وازليةٌ بالطبيعة ، **لأن المعرفة لا تكون بدونِ رؤيا ولا الرؤيا بدون تحسّس** . واليكم ما اقصدُ بالضبط : **الرؤيا تأتي أوّلاً ، وبالرؤيا المعرفة والحسّ** (أقول ذلك بالنسبة للأمور الروحية لأن الجسد يتحسّس حتى بدون رؤيا) . الأعمى عندما تصدِمُ رجلهُ حجراً يتحسّس للصدمة ، أمّا المائت فلا . بالنسبة للأمور الروحية ان لم يرتفع العقل الى مستوى الرؤيا ، رؤية الأمور التي تتخطى المعاني ، لا يتحسس فعلَ النعمةِ السِرّي .

إذاً في الحقل الروحي ، كل من يتحسّس الأمور الفائقة على العقلِ ، على الكلام والمعنى ، قبل ان يأتي الى الرؤيا ، يشبه الأعمى الذي من جهةٍ يشعرُ بما يحصلُ من خيرٍ أو شرٍ لكنهُ يجهلُ ما يجري أمامهُ(أي لا يميّز) ، وما يكونُ لهُ سبباً للحياة أو للموت . ذلك أن كل مل يتبعُ من حسناتٍ أو سيئات لا يُدركها أبداً لأنه فقد القُدرة على الرؤيا والمعرفة . لذلك ، وفي كثيرٍ من الأحيان ، يرفعُ عصاه أمامَ العدوِّ فيُصيب بالأحرى صديقاً له بينما يكونُ العدوُّ جاثياً أمامهُ ومستهزئاً بهِ .

* * *

● عمل الروح القدس

كثيرون هم الذين يؤمنون بقيامةِ المسيح ، لكن قليلون هم الذين يرونها بوضوحٍ . طبعاً الذين لم يَروها بالروح لا يستطيعون ان يسجدوا ليسوعِ المسيح قدوساً وربّاً . لقد قيل : « لا يستطيعُ أحدٌ ان يقولَ أن يسوعَ هو الربُّ إلّا بالروحِ القدس » ، وقيلَ أيضاً : « اللهُ روحٌ والذين يسجدون له ينبغي لهم ان يسجدوا

بالروح والحقّ » (يو ٤ : ٢٣) . ان النصّ الشريف الذي نتلوه دائماً [٣] لا يقول : « اذ قد آمنا بقيامةِ المسيح » ، بل « اذ قد **رأينا قيامة المسيح** ، فلنسجد للربِ القدوس البريء من الخطأ وحده . . .» .

كيف يُمكن **للروح القدس** ان يحُثّنا – وكأننا رأينا ما لم نُشاهد فعلاً – على القول : « اذ قد رأينا قيامةَ المسيح » ، رغم أن المسيح قام مرّةً واحدةً قبل ألف سنةٍ [٤] ، وحتى في لحظة القيامة لم يرَهُ أحدٌ [٥] ؟ أيأتي الكتابُ باقوال كاذبةٍ ؟ حاشا ! على العكسِ هو يدعونا الى ان نقول الحقيقة **لأن قيامةَ المسيح تحصلُ فعلاً في نفسِ كل مؤمنٍ** على حِدَةٍ ، وذلك ليس مرّةً واحدةً ، بل في كل ساعةٍ يقومُ المسيحُ السيّدُ فينا حاملاً الضياءَ ومشعاً بأشعة الألوهية ، وعدم الفساد . ذلك أن **حضور الروحِ القدس المنيرِ** يكشفُ لنا قيامة السيدِ كما في نورٍ صباحي ، أو بالأحرى يؤهّلنا لرؤية المسيحِ نَفسِهِ قائماً . لذلك نقول : « الله الربُّ ظهر لنا » ، ونتابعُ مؤكدين على مجيئه الثاني « مباركٌ الآتي باسم الربّ » .

ان الذين يظهرُ لهُم المسيح قائماً **يرونهُ روحياً** وبأعينهم الروحية ، أي عندما يَدخلُ المسيحُ فينا **بنعمة الروح القدس** يُقيمنا من بينِ الأموات ، يُحيينا ويؤهلنا لأن نراهُ في ذواتنا حيًّا كلهُ ، وهو العديمُ الموت والفناء . ليس هذا فحسب بل يُعطينا أيضاً موهبة إدراكِ حضورِهِ البَهِجِ مقيماً وممجّداً ايانا كما يَشهَدُ على ذلك الكتابُ المقدّسُ بأسرهِ .

هذه هي أسرارُ المسيحيينَ الإلهية ، هذه هي قوّةُ إيماننا الخفية ، القوةُ التي لا يعرفها المُلحِدون والمُشكِكون وقليلو الإيمان ، ولا يُمكنهم ان يرَوها .

* * *

---

(٣) في الآحاد وفي الفصح.

(٤) القديس سمعان اللاهوتي الحديث يتكلّم ويكتب في النصف الاوّل من القرن الحادي عشر.

(٥) «إذ كان القبر مختوماً أشرقتَ منه أيها الحياة...» (طروبرية أحد توما).

• الإيمان والأعمال

المُلحدون والمُشكِكون وقليلو الإيمان هُم الذين لا يُترجمون الأيمان بالأعمال ، فإنه ، بدونِ أعمال ، الشياطين أيضاً تؤمن وتعترفُ بأن المسيحَ السيّد هو الله اذ تقول : « قد عَلِمنا انك ابنُ الله » ، وفي مكانٍ آخر « هؤلاء الرجال هم عبيدُ الله العليّ » . ولكن هذا الاعترافُ لا يفيدُ الشياطين ولا قليلي الإيمان . لا فائدة لمثلِ هذا الإيمان كونَهُ ميتاً حسبَ قولِ الرسولِ الإلهي : « الإيمانُ بدون أعمال ميتٌ » (يعقوب ٢ : ٢٠) . كذلك هي الحال مع الأعمال بدون إيمانٍ . ولماذا هو ميتٌ ؟ لأنهُ لا يتضمّنُ في داخلهِ الله المحيي والقائل : « الذي يُحبّني يَحفظ وصاياي وإليه نأتي أنا وأبي وعندهُ نصنعُ مَسكَناً » (يو ١٤ : ٢٣) . هذا حتى لا يبقى مُغلقاً على الإيمان فان الله بحضورهِ يُقيمُ المؤمنَ من بين الأموات ، يُحييهِ ويؤهِلهُ لرؤيته بوضوح كليٍّ قائماً في داخلهِ .

هذا الإيمانُ اذاً بدون الأعمال ميتٌ للاسباب التي ذكرنا . والذين يمتلكونهُ هم أيضاً أمواتٌ ، لأن الله بالإيمان حيّ على الدوامِ ويُحيي الذينَ يأتونَ اليه بنشاطٍ حسنٍ ويتقبلونهُ . لقد قاد الكثيرينَ مِنَ الموتِ الى الحياة حتى قبل ان يتمّموا وصايا الله ، وكشَفَ لهم عن المسيح الإله . ولو بقوا أمينين على الوصايا ، مطبّقين اياها حتى الموت ، لحفظوا أنفسهم بواسطتها ، وذلك بسبب إيمانهم الحيّ وحدهُ . لكنهم تراجعوا الى الوراء كمثل قوسٍ مشدودٍ عالقين في شبكة أعمالهم السالفة ، فأضاعوا للحالِ إيمانهم وجرّدوا أنفسهم من المسيح الاله الجوهرة الحقيقية(٦) .

لنحفظ اذاً وصايا الله على قدرِ استطاعتنا حتى لا يحصلَ لنا مثلَ ذلك ولكي نتمتّع بالخيرات الحاضرةِ والمستقبلة ، وأخصّ بالذكرِ رؤية المسيح التي نشتهيها كُلّنا بنعمةِ ربّنا يسوع المسيح الذي يليق له كلُّ مجدٍ الى أبد الدهور ، آمين .

---

(٦) وصف رائع واقعي معاصر لحالة المسيحيين اليوم بصورة عامة.

انجيل الفصح

الله الكلمة المتجسّد

(يوحنا ١: ١-١٧)

للأستاذ ساكوس

في يوم الفصح يتلى في الليتورجيا الإلهية المقطع الانجيلي التالي : المقدّمة (يو ١:١-٥) والمقطع الأوّل (يو ١:٥-١٧) من انجيل يوحنا . يكتمل هذا المقطع بالآية يو ١:١٨ لذلك نورد تفسير هذه الآية أيضاً . المعروف أننا نتلو انجيل يوحنا ابتداءً من يوم الفصح خلال فترة البندكستاري الفترة الخمسينية .

■ **المقدّمة : (يو ١:١-٥)**

« في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله . هذا كان في البدء عند الله . كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيءٌ مما كان . فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس . والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه .»

● « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمةُ الله هذا كان في البدء عند الله » **(يو ١:١-٢)**

السموّ الروحي لإنجيل يوحنا كامن في بساطة الأسلوب وركاكته وليس في التعبير الشعري الفلسفي . لقد قيل الكثير في تفسير هذه الآية . . . ليست الآية هذه شعراً . ولا يُظهر يوحنا عن طريقها انه يَهوى الفلسفة .

لقد قال مرّة عن الكلمة ابن الله **رؤيا ١٩:١٣**[١] وهنا أيضاً يذكر الله الكلمة . هذا الاسم ليس إسماً رئيسياً لابن الله ولا علاقة له « بالكلمة » الوارد في الفلسفة اليونانية وعند فيلون حيث « الكلمة » Lógos هو « الاله الثاني » للعالم ، الوجود الثاني الذي يسمو على الخلائق العاقلة والذي بواسطته الله غير المدرك والفائق العالم يتّصل بالعالم .

ان استخدام مثل هذا الاسم في الانجيل له المعنى البسيط التالي : اليوم عندما نناقش انساناً يؤمن بشبه آله له « قدرة فائقة » نقول له : « هذه القدرة الفائقة هي المسيح » . او عندما نناقش واحداً من « شهود يهوه » الذي لا يؤمن بالوهة المسيح لا نشك بأن يهوه هو الهنا بل نقول : « يهوه هذا هو المسيح » هذا ما فعله يوحنا .

* * *

سَمِعَ يوحنا الانجيلي في أيامه ، خاصة في منطقة آسيا الصغرى ، ان « الكلمة » Lógos، حسب تعبير الفلاسفة ، يسمو على كل شيء . لم يبالِ بأي شيء من هذا القبيل بل تجاهل الفلسفات كلّها فقال : « إن الكلمة هذا الذي تتكلّمون عنه هو ابن الله يسوع المسيح ربّنا » لكنه كان يعلم جيّداً ان أولئك الناس كانوا يضعون الكلمة في مرتبة أدنى من الله العليّ . كانوا يريدونه مخلوقاً له عمرٌ معيّن بل ممتزج بالمخلوقات . لذلك هرب من كل تفسير وأضاف : « في البدء كان الكلمة » أي انه بلا ابتداء كما هو الله وان « الكلمة كان الله » كما هو الله نفسه ، الله العليّ وليس له علاقة مع ذلك الكائن الوهمي المختص بالفلاسفة المدعو «Lógos» « كلمة » الذي عمله كان ان يتعامل ويمتزج

---

(١) «ثم رأيتُ السماءَ مفتوحةً واذا فرسٌ أبيض والجالسُ عليه... يُدعى اسمه كلمةَ الله» (رؤيا يوحنا١٩:١١-١٣).

بالخلائق . هذا « الكلمة » الحاضر « فكان عند الله » غير مُعتلن للخلائق ، قبل مجيء المسيح ، مجهولاً كلّياً من الأرواح ومن الناس الذين كانوا يعرفون الله العليّ وليس الكلمة .

بعبارة أخرى يُظهر يوحنا أوّلاً ان « **الكلمة الذي تطلبونه هو الرب يسوع المسيح** » وثانياً يساويه بالله ويوحّده به . « في البدء كان الكلمة » . الكلمة هو بلا بداءة ليس مخلوقاً في زمن . « والكلمة كان عند الله » أي كان بقرب الله ، متساوياً معه ، مساوياً له في عدم البداءة . لم يكن رئيس ملائكة أو حلقةً تربط بين الله والخلائق . « وكان الكلمة الله » ليس مخلوقاً . هو الله مُساوٍ لله العليّ . علينا ان لا نفتّش عن « معنى أعمق » للعبارة « عند الله » .

هذه العبارة تعني ما تعنيه عادةً كما في العبارات التالية : « عندك أصنع الفصح » (متى ٢٦ : ١٨) أي « معك » « في بيتك » « عندك » او في العبارة الاخرى « واذ كنتُ حاضراً عندكم » (٢ كور ١١ : ٨) .

أي « عندما كنتُ معكم في كورنتس » أو في العبارة التالية « كنت أريدُ ان اكون حاضراً عندكم » (غلا ٤ : ٢٠) أي كنتُ أودُ ان اكون هناك .

كان الكلمة دائماً عند الله بقربه ، معه . الله والكلمة كانا دائماً معاً . ان غياب « الـ » التعريف «ó» في العبارة وكان الكلمة الله لا يعني أبداً كما يدّعي الكثيرون ان هناك فرقاً بين الله ó théos وآله Théos.

كون الله يأتي في محلّ مفعول به لا يأخذ « الـ » التعريف كما في القول « كان اللهُ روحاً » Pnevma o Théos. هكذا نقول هنا كان الكلمة الله Théos ò Lógos. لو قال كان الله الكلمة لأعطى معنى ان الله العلي الذي لدى الفلاسفة هو « الكلمة » . بينما يريد هنا ان يقول : « إن الكلمة الذي لدى الفلاسفة هو بالنسبة لنا الله العليّ ، ليس مخلوقاً بل هو الله . لا يوجد آله ثان ولا يوجد نوعان من الألوهة . هذا الله الكلمة هو واحد مع الله العليّ ، هو اللهِ العلي نفسه .

هذه العبارات الثلاث لا تحمل معنًى أعمق من ذلك. اسلوبها ركيك فقط. كما يحصل لأي إنسان غير مثقّف: عندما يكتب رسالةً يكرّر الأشياء نفسها وبدل ان يستخدم مفعولاً واحداً لكل فعل يكرّر المفعول نفسه ثلاث مرّات... هكذا يفعل يوحنا.

مثلاً في مخطوطة على البردي من سنة ١٠٠ بعد المسيح يكتب انسان غير مثقف رسالة خاصة هذا نصّها: «ان اردتَ ان تُرسل لايصاتوس من اجل الحصول على الزيت، ان شئتَ واردتَ ذلك» كذلك يقول يوحنا في احدى رسائله:

«الذي كان في البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة - فان الحياة أُظهِرَت وقد رأينا ونشهد ونُخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهِرَت لنا...» (**١ يو ١:١-٣**).

هنا أيضاً في الإنجيل يكرّر المفعول ثلاث مرّات «**الكلمة**» وبعد ثلاث عبارات يكرّر العبارة الثانية: «هذا كان في البدء عند الله».

انجيل يوحنا ركيك في أسلوبه وفقير في مفرداته. ويحتمل ان يكون فيه اخطاء إملائية. ومع ذلك **هو من أسمى ما كتب** ومن الناحية الروحيَّة خاصة. هذه الأوصاف لا تقلّل أبداً من كونه ملهماً من الله لا يُخطئ Théopnevstos. لأن الالهام الالهي كامنٌ في المعاني لا في المفردات، في الأسلوب والقواعد. لا علاقة أبداً بين الأخطاء اللغوية والحقيقة الخلاصية غير المخطئة.

- «كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان» (**يو ١:٣**)

هي عادة عبرانية محض ان نردّد المعنى ذاته في جملتين الواحدة إيجابية والثانية سلبية. مثلاً: «اللّهم أنصت الى صلاتي ولا تتغافل عن طلبتي» (مزمور ٥٤:٢). وأيضاً «فاعترف ولم ينكر» (يو ١:٢٠). ان الله الكلمة المساوي

للآب في الجوهر وعدم الابتداء هو خالق مع أبيه في ابتداع العالم الروحي والمادي. كل ما يوجد أبدعه هو. لا يوجد شيء مخلوق لم يخلقه هو. **أي هو غير مخلوق**. لا يفوقه الآب كخالق وحده.

● «فيه كانت الحياة والحياة كانت **نورَ الناس**» **(يو ١:٤)**

عندما أقول ان شيئاً هو «نوري» أعني أنه بالنسبة لي «كل شيء». كل شيء بالنسبة للناس هو الحياة. وهذه الحياة، هذا الشيء كلّه، هو في الله الكلمة، في يد الله الكلمة، تحت سلطانه، تحت سيادته. «الحياة» بالنسبة ليوحنا الانجيلي هي الحياة الأبدية، الفرح، الغبطة، الخلود، كل شيء.

● «والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه» **(يو ١:٥)**.

المثل الطبيعي هذا مميّز للغاية. عندما يهبط النور على الظلام ينقشع الظلام. لا يمكن للنور ان ينطفئ عندما يهبط على الظلام. أي عندما يتواجد النور والظلام لا يظهر إلّا النور ولا يمكن ان يكون ظلام أو يتواجد الاثنان معاً أو يختلطا. مثل هذه القدرة من الحياة يمنحها الله الكلمة.

معنى الآيتين ٤-٥ كامن في انه: بدون الله الكلمة لا معنى ليس فقط **لخلق العالم** بل وأيضاً لأستمراره في الوجود.

بعبارة أخرى مختصرة في المقدّمة يكشف لنا الانجيلي عن الابن، الله الكلمة من هو قبل التجسّد: هو الله العليّ، الذي لا بدء له، المساوي للآب في الجوهر وفي عدم البداءة، الخالق معه، المدبّر للكون المخلوق كلّه، المساوي للآب بحسب الجوهر والاعمال.

لا يُظهر الانجيلي أي فرق بين الاثنين. ان كنا نريد أن نقسم الأنجيل الى قسمين بغض النظر عن كل منهما نقول: القسم الاوّل يضمّ الآيات الخمس الأولى حيث يتكلم عن طبيعة الابن الإلهيّة والأزليّة. والقسم الثاني ما تبقى من

الانجيل، حيث الحديث عن التجسّد. المقدّمة لها اذاً المعنى التالي: « هكذا هو أزلي هذا الذي سوف أتحدّث في باقي الانجيل عن تجسّده».

* * *

■ القسم الثاني يو ١:٦-١٨

هذا المقطع هو مقدّمة الحديث عن **تجسّد الكلمة**. **محوره شهادة يوحنا** عن مجيئه الى العالم. لا يتكلم عن شهادة محدّدة بل عن فحوى شهادات يوحنا عن المسيح. بعدها يعرض لنا الانجيلي ثلاث شهادات محدّدة.

● « كان انسان مرسل من الله اسمه يوحنا هذا جاء للشهادة ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطته. لم يكن هو النور بل ليشهد للنور». وكان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً الى العالم». **(يو ١:٦-٩)**

العبارة كان انسان تعني « ظهر» انسان « حضر». هذا كان « مرسلاً» من الله، ملاكاً رسولاً، نبياً. كان يُدعى يوحنا. كانت رسالته المحدّدة من الله « ان يشهد للنور» ان يقول من هو النور وان يُظهر ان النور قد أتى ليمنح الحياة الأبدية للبشر، كما ان النور الطبيعي يمنح الحياة الطبيعية، وانه عن طريقه يؤمن الكل بالنور.

ويشرح الانجيلي ان يوحنا هذا لم يكن النور بل الشاهد للنور والمظهر له. وأيُّ نور يشهد له يوحنا؟ هو « **النور الحقيقي**» الذي ينير كل انسان يولد في هذا العالم. الصفة « الحقيقي» لا تأتي معاكسة « للكاذب» بل معاكسة « للعابر» « للصوري». ليس هو مثل نور الشمس الطبيعي المادي، العابر الصوري بل هو النور الأبدي، النور المحض الذي بدونه لا يمكن للخلائق لا الجسمية ولا الروحية ان تعيش ولا حتى الملائكة ونفوس الراقدين.

● « كان في العالم وكُوّن العالم به ولم يعرفه العالم» **(يو ١:١٠)**

بعد ما قال هذا كلّه ، شعر الانجيلي انه تكلّم بشكل متناقض . لأن النور هو الأمر الوحيد الذي لا يحتاج الى برهان ، الى علامة لكي نراه ، أو إلى شهادة لكي نؤمن به . هو شيء يبرهن عن ذاته بذاته . فكيف إذاً أرسل الله النبي يوحنا ليُظهر لنا النور ؟

لذلك بعد ان وضّح الانجيلي « كان النور الحقيقي » يضيف « كان في العالم . . . ولم يعرفه العالم » . ان النور الطبيعي بعد ان يملأ الكون يراه كل واحد ، . امّا « النور الحقيقي » الذي جاء الى العالم « لم يعرفه العالم » . لذلك يحتاج الى شاهد ، إلى دليل . **لقد أرسل الله يوحنا شاهداً** . وكلّما تقدّم الانجيلي في كلامه كلّما تخلى عن التعبير الرمزي مجذوباً بالمعنى الجوهري . لذلك بدل ان يقول « والعالم لم يعرف ذلك avtó النور (النور كشيء) ، قال « ولم يعرفه avtón العالم » (النور كشخص) اي لم يعرف العالم الله الكلمة .

اذاً لم يعترف العالم بالرب يسوع انه « نور العالم » . هذا لا ينطبق على العالم بصورة عامة بل وأيضاً على محيط الرب الخاص الذي لم يعترف به .

● « الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله » **(يو ١ : ١١)**

من هم خاصته ؟ هم اخوته الذين ازدروا به من البداية واعتبروه مختلّاً أو هم « شعب اسرائيل » . والأرجح انه يقصد الشعب الاسرائيلي . الاسرائيليون هم « خاصته » الذين يخصّون الكلمة المتجسّد ، ليس فقط لانه بحسب الجسد هو من قبيلتهم ومن أمّتهم بل وأيضاً لأنهم كانوا يعرفون الله أباه وهم الذين تقبّلوا الوعود بمجيئه وكان يجب ان ينتظروه . كانوا يعرفون يوحنا ورسالته وكانت وظيفتهم ان يستقبلوا الرب المتجسّد .

● « وامّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً ان يصيروا أبناءَ الله أي المؤمنون باسمه » **(يو ١ : ١٢)**

خاصته هؤلاء لم يقبلوه . لكن ليس جميعهم . الذين قبلوه أخذوا منه امتيازاً

كبيراً سامياً ان يصيروا « أبناءَ الله » . من هم هؤلاء ؟ هم « المؤمنون به » . لقد تكلّم سابقاً عن هذا الامتياز في رسالته الأولى :

« أيها الاحباء الآن نحن أولاد الله ولم يُظهَر بعد ماذا سنكون » (١ يو ٣ : ٢) . الطريقة التي بواسطتها « يصبح المؤمنون أولاد الله » هي بالولادة ، طالما انه بالولادة فقط يصبح الواحد ابناً .

● « الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسدٍ ولا من مشيئة رجلٍ بل من الله » (**يو ١ : ١٣**) .

الذين أصبحوا أولاد الله » لم يولدوا بموجب الطريق الطبيعي الاعتيادي . « ليس من دم » : الدم علامة الطبيعة البشرية الساقطة ، الانسان الطبيعي . « ولا من مشيئة رجل » : هي الشهوة الجنسية منطلق ولادتنا الطبيعية . هذا ما يثقّل على الانسان . ممّا يتّضح من خلال المقارنة بين الولادتين . في اماكن أخرى من الكتاب المقدّس ولد أناس عظماء في التاريخ الالهي على مثال اسحق ، يعقوب ، شمشون ، صموئيل ، يوحنا المعمدان . ولدوا بطريقة لم تلغِ كليّاً « الولادة من مشيئة رجلٍ » بل أضعفتها كثيراً . لأن والديهم كانا عاقرين ، متقدّمين في السنّ . فقد حصلا على الاخصاب في سن الشيخوخة وفي غياب كل شهوة جسدية لكي يحصلا على الولد الموعود به والذي برز رجلاً عظيماً في مخطط الله . طبعاً هناك لم تغب مشيئة الرجل بالكليّة بل جزئياً . حصل الغياب الكلّي في **ولادة يسوع بالجسد** الذي بموجبها أصبح « ابن الانسان » وفي ولادة المؤمنين به بالروح الذين بموجبها أصبحوا « أبناء الله » . هذا يعني أنهم « وُلدوا من الله » وليس من « مشيئة رجل » . منطلق الحياة الجديدة كأبناء الله هو مشيئة الله وليس مشيئة رجل . بقدر ما تختلف المشيئتان بقدر ما تختلف خصائص الولادتين .

● « والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجده كما لوحيد من الآب مملوأً نعمةً وحقًّا » (**يو ١ : ١٤**)

صار الكلمة جسداً. جسداً يعني أحياناً خطيئة الجسد (المعنى الأول) وأحياناً فساد الجسد (المعنى الثاني) وأحياناً أخرى مجرد الطبيعة الانسانية (المعنى الثالث). مثلاً مُبغضين حتى الثوب المدنّس من الجسد» (يهوذا ٢٣) بالمعنى الأوّل. «لحماً ودماً لا يقدران ان يرثا ملكوت الله» (١ كور ١٥: ٥٠) بالمعنى الثاني. «ولو لم تُقصّر تلك الأيام لم يخلص جسدٌ» بالمعنى الثالث. هنا عندنا هذا المعنى الأخير. أي الكلمة «**صار جسداً**».

«وحلّ بيننا» سكن عاش فيما بيننا. «ورأينا مجده»: أعطانا القدرة ان نرى مجد الله غير المقترب اليه، بعد أن أصبح انساناً وعاش بيننا. «مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً» بدل أن ينقل صورةً فلسفية أو شعرية عن **المجد الالهي** الذي يحيط بالله المتجسّد **يستخدم نموذجاً بسيطاً**: المجد الذي يتمتع به الابن الوحيد من قبل أبيه. له يعود غنى الآب كلّه. عنده السلطان المطلق على كل ما هو لأبيه. ماذا يلبس، كيف يعيش، كيف يسلك تحت نظر أبيه الحنون الذي يفتخر به: كل ذلك مجد واحد، خاصة عندما يكون أبوه غنياً، قوياً، ملكاً. هكذا يكون مجد الابن والى أبعد درجة مجد الابن الوحيد الذي لله الآب.

«مملوءاً نعمةً وحقاً» افترضوا ان الابن الوحيد الممجّد من أبيه ومن الناس لا يستحقّ مجده. لأنه غير قادر على عمل الفضيلة، سيّء، مستكبرٌ بينما يمجّده أبوه بداعي محبّته العاطفية.

هذه العاطفة لا بدّ ان تثير اعتراض الآخرين كلّهم. هي مجد واحد ولكن بدون «نعمة» لا تملك أية مسحة أو رونق. بينما عندما يكون الأب كريماً محباً للناس، حكيماً، حنوناً والابنُ مستحقاً لأبيه معتدلاً، شاكراً محباً للآخرين، عندها إحسان الأب لابنه يفرّح الآخرين، عندها يغبّط الناس الابن من أجل المجد الذي أحاطه به الأب. لأن ذلك المجد يكون مستحقاً ولا يستدعي ازدراء الآخرين. هذا هو المجد المملوء نعمة مجد ابن الله الوحيد من قبل أبيه.

« ومملوءاً حقاً » يكون مجداً عندما يعترف به الآخرون كذلك ، مجداً حقيقياً . لأنه لو كان احساناً الى ابن لا يستحقه ، عندها في ضمير الآخرين يزدرونه ولا يعتبرونه مجداً حقيقياً .

أصبح الله **الكلمة اذاً انساناً** . كان يعيش بيننا ورأينا مجده المجد الذي يمكن ان يحيط كل أب ، وخاصّة الله الآب وابنه الوحيد مملوأً نعمةً وأصالةً .

● « يوحنا شهد له ونادى قائلاً هذا الذي قلتُ عنه ان الذي يأتي بعدي صار قدّامي لأنه كان قبلي » **(يو ١:١٥)**

« نادى » يعني كان ذلك شهادته العلنية . والشهادة هذه « هذا هو الذي قلتُ عنه ان الذي يأتي بعدي صار قدّامي لأنه كان قبلي » تتردّد كثيراً وهي **خلاصة شهادة يوحنا المعمدان** ونبوءته وكرازته . كان الشعب معجباً بسموّ يوحنا الروحي . فيأخذ يوحنا هذا الاعجاب مقياساً ويقول : « ان الذي يأتي بعدي هو أسمى مني » . هكذا يقدّم يسوعَ الكلمة المتجسّد . ويضع السبب لذلك بقوله « لانه كان قبلي » . كان أقدم من يوحنا . هذا تعبير بسيط لازلية الله الكلمة . .. « لأنه كان قبلي » أي يتقدّمني .

● « ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة » **(يو ١:١٦)**

أخذنا من ملئه ، من مضمونه . كلّنا نحن المؤمنين قد أخذنا من مضمونه . هذا التعبير لا يحلّل علمياً لكنه للبسطاء مفهومٌ . لا يجدر بنا ان نفسّر كثيراً مثل هذه العبارات ولا ان نتعمّق بها لانها أوضح من كل تفسير آخر لها .

« أخذ نعمة فوق نعمة » . تركنا نعمةً واستبدلناها بنعمة أخرى . النعمة القديمة هي الناموس الموسوي والجديدة هي الناموس الروحي في المسيح أي العهد الجديد . كانت نعمة قديمة نسبية . لأن الله عندما اختار اسرائيل من بين الشعوب وجعل منه شعباً مختاراً **واستعلن أمامه ليعرف الحقيقة** حتى لا ينقاد الى الضلالة وأعطاه ناموساً بيديه الخاصتين وجعله مشتركاً بمواعيد سامية ، كل ذلك كان احساناً استثنائياً كان نعمةً . وتلك النعمة لم تكن شيئاً نسبة للنعمة المعطاة في

المسيح النعمة الخلاصية والأبدية . امام هذه النعمة الجديدة والروحية لم تكن تلك القديمة نعمةً بكل معنى الكلمة . لذلك يقول الانجيلي :

- « لان الناموس بموسى أُعطي . أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا » **(يو ١ : ١٧)**

هناك « أعطي » هنا « صارا » تحقّقا . هناك كان موسى وسيطاً هنا الرب يسوع المسيح سيّد موسى . **هناك الناموس ، هنا النعمة والحق** أي الواقع المتجسّد . لذلك أبعدنا النعمة القديمة النسبية وأخذنا الجديدة الحقيقية . الكلمة « الحق » تفصل بين النعمة الجديدة والقديمة . وتستدعي السؤال التالي : لماذا لم يعطِ موسى الحقيقة طالما رأى الله نفسه الذي منه أخذ الناموس ؟ يشرح الانجيلي ذلك بقوله :

- « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبرَّ » (**يو ١ : ١٨**) .

نحن ندعو موسى أو إيليا معايناً لله . Théoptis. ومع ذلك حتى هذه اللحظة لم يرَ أحد الله . المعاينات كانت نسبية ظليّة تنازلاتٍ . يؤمن يوحنا ويؤيد ما يكتبه لوقا وبولس في الأعمال وفي الرسالتين لغلاطية والعبرانيين ان الناموس أعطي بواسطة ملائكة كما ان الملائكة تكلّموا مع ابراهيم كونه « الرب الإله » **(أعمال ٧ :٥٣ ، غلا ٣ :١٩ ، عبرا ٢ : ٢)**

لم يرَ أحد الله لكي يكشفه لنا ويعطنا الحقيقة . فقط الابن الوحيد الذي هو في أحضان الآب ، في جوهره كونه مُساوٍ له في الجوهر Omoousios فقط هذا الأخير « أخبرنا » عنه . وصف لنا إياه ، كشف لنا كيف هو الله أي « الحق » . كل ما يختص بالله أي محتوى وجوده ، احشاءه ، جوهره .

بعد هذه « النظرية » (الاطروحة) حول تجسد الله الكلمة وحول شهادة يوحنا المعمدان يعرض الانجيلي ثلاث حوادث من خلالها يقدّم يوحنا شهادته .

أحد توما

(يو ٢٠ : ١٩ - ٣١)

تفسير لينكيفوروس ثيوطوكس

أيها الأخوة المحبوبون بالرب إن قيامةَ ربنا يسوع المسيح ، من بين الاموات هي برهان دامغ وحجة قاطعة أقوى من كل برهان آخر على انه ابن الله ومخلص العالم بأسره . ولا يخفى ان اليهود الذين هم أعداء المسيح الالداء يحرّفون النبوءات التي وردت عنه موفّقين مغزى بعضٍ منها بجهل وغواية على يشوع بن نون وبعض على سليمان وبعض آخر على اشخاص آخرين . وأمّا العجائب الباهرة التي اجترحت منذ حُبل بالمسيح الى ان مات ودُفن وقام فيزعمون أنها ليست الّا من أشباه العجائب التي اجترحها موسى وايليا واليشع . وأما قيامة المسيح من الأموات فاذ لم يجدوا حجة يدحضونها بها ولا مثالاً يشبهونها به التجأوا الى النكران زاعمين بغباوتهم الزائدة انهم يستطيعون ان يخفوها . وعليه فقد دفعوا كمية وافرة من النقود الى الجنود الذين كانوا يحرسون قبره لكي يُذيعوا كذباً وبهتاناً ان تلاميذه قد سرقوه . فلاجل هذا اذ شاء ربُ البرايا بأسرها وسيدها الجزيل الحكمة ان يحقق قيامته من الاموات قد اعطى عليها براهين كثيرة الهية وبشرية أشهرها يتضمنه النصل الانجيلي الشريف الذي تُلي اليوم . . .

● « في عشية ذلك اليوم في أحد السبوت والأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين خوفاً من اليهود جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم سلامٌ لكم » **(يو ٢٠ : ١٩)** .

إن اليهود قد اطلقوا لفظة سبت أو سبوت على الاسبوع كلّه تسميةً له بأقدس أيّامه وعليه فقد قال الفرّيسي « اصوم مرّتين في السبت » أي الاسبوع (لوقا ١٨ : ١٢) فبقول الانجيلي « **في أحد السبوت** » يعني في اليوم الاوّل من الاسبوع اي يوم الأحد . ففي ذلك اليوم الأحد يوم قيامة المسيح لما كانت العشية اي في اوائل الليل جاء الرب يسوع ودخل البيت الذي كان التلاميذ مجتمعين فيه وأبوابه مغلقة لسبب خوفهم من اليهود الذين كانوا يضطهدونهم .

انه لدى إمعان النظر في هذا القسم من الفصل الانجيلي يتولّد امامنا أربعةُ سؤالات لا بدّ من الاجابة عليها :

١- لماذا جاء الرب يسوع في اوائل الليل ؟

٢- لماذا دخل والابوابُ مغلقة ؟

٣- لماذا وقف في الوسط ؟

٤- لماذا قال سلامٌ لكم ؟

١- فقد جاء في اوائل الليل لأن الرسل خوفاً من اليهود كانوا خصوصاً يجتمعون في منزلهم عند المساء . ومن ثم فقد جاء السيّد اليهم مساءً لكي يجدهم جميعاً مجتمعين . وقد دبّر الرب مجيئه على هذا المنوال لسبب آخر سريّ . وبيانه ان الطبيعة البشرية كلها كانت قبل قيامة المخلّص ثاوية في ظلام الخطيئة وجالسة في ظلال الموت . وقد تنبأ داود من اجل انارتها قائلاً : « اشرق في الظلمة نورٌ للمستقيمين » (مز ١١٢ : ٤) . وكذلك أشعيا النبي حيث يقول : « الشعب السالك في الظلمة أبصَرَ نوراً عظيما » (أشعيا ٩ : ٢) وأيضاً « حينئذ يُشرق في الظلمة نورُك » (اشعيا ٥٨ : ١٠) . امّا زخريا والد يوحنا السابق فقال التي بها افتقدنا المشرق من العلاء ليُضيء للجالسين في الظلمة وظلال الموت » (لوقا ١ : ٧٨) . وعليه فقد قام المسيح ليلاً وجاء الى تلاميذه في اوائل الليلة التالية

ليلة قيامته لكي يتم هذه النبؤات التي وردت من أجله مبيّناً انه انما ظهر للذين كانوا في ظلمة الخطيئة وأنار الذين كانوا راقدين في ليلة الجهالة .

٢- وامّا عن السؤال الثاني فنجيب انه قد دخل والابواب مغلقة اوّلاً لئلا يطرق الابواب فيزعج التلاميذ ويذعرهم . ثانياً لكي عندما يشاهد تلاميذه تلك الاعجوبة يؤمنوا بقيامته من الاموات . ثالثاً ليعلّمنا انه انما أتى الى اولئك الناس الذين يُغلقون بحفظ ابوابَ بيت نفوسهم اي مشاعرَ أجسادهم لئلا تدخلها الخطيئة . وان قيل كيف قد جاز السيد بتلك الابواب المغلقة وهو لابساً جسداً بشرياً ؟ فالجواب على ذلك انه قد فعل هذا كما جاز بمستودع والدته العذراء الكلية القداسة بدون ان يحلّ عذريتها . وكما مشى على البحر ولم يغرق في العمق . وكما اجترح من العجائب الباهرة ما لا يحصره عدّ . أعني **بقوّة لاهوته**[1] القادرة على كل شيء.

٣- وقد وقف في الوسط ليراه جميعُ الحاضرين بلا مانع ويعاينوا يديه وجنبه . ولكي يبيّن انه يحبّ الجميع على السواء ويعتني بالجميع كذلك ويريد خلاص الجميع . وقد قال لهم « سلامٌ لكم » لأنه انما جاء الى العالم ليتمم عمل السلام . فقد نقض حائط السياج المتوسّط **وجمع المتفرّقات** وصالح الانسان مع الله كما صرّح بذلك بولس الرسول قائلاً : « لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً . ونقض حائط السياج المتوسّط » **(افسس ٢ : ١٤)** . وعليه فكما انه عندما وُلد في العالم كانت الملائكة ترتل هاتفةً : « المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وفي الناس المسرّة » (لوقا ٢ : ١٥) . هكذا وعندما كان مزمعاً ان يبارح العالم كان يقول « سلاماً أترك لكم » (يو ١٤ : ٢٧) كذلك ولما قام من الاموات قال لتلاميذه : « **سلام لكم** ».[2]

---

(١) بشفافيته البالغة المطلقة .

(٢) المؤمن يكون دائماً في فرح وسلام .

● «ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه. ففرح التلاميذ اذ رأوا الربّ» **(يو ٢٠:٢٠)**

انه عزّ وجلّ قد أراهم يديه لكي يعاينوا آثار المسامير. واراهم جنبه ليعرفوا طعنة الحربة وبذلك يتحققوا ان هذا الواقف في وسطهم والمُشاهد منهم هو نفسه الذي تألم وبُجّن على الصليب وطعن بحربة. ولذلك سبب آخر روحي هو انه قد اراهم يديه لأنهما آلة الإبداع واراهم جنبه لأنه ينبوع الخلاص. فكأنه قال لهم بلسان الحال: أنظروا ايها التلاميذ هاتين اليدين مبجّنتين بالمسامير فهتان هما اللتان جبلتا الانسان. انظروا هذا الجنب المجروح فانه هو الذي سال منه الدم والماء. العلاجان الخلاصيان للجبلة البشرية. ان يدي آدم مُدّتا للاكل من الثمر الذي نُهي عنه. وهتان اليدان قد بُسطتا على عود الصليب. المرأة التي خُلقت من جنب آدم قد خُدعت من الحيّة فانجرحت بنبل الخطيئة وهذا الجنب الذي طعن بحربة قد ابرأها من جراح الخطيئة.

هذا وان التلاميذ عندما رأوا الرب وعرفوا طفحت قلوبهم فرحاً كما كان قد سبق يسوع فقال لهم في وقت آلامه الخلاصية «ولكنني سأراكم أيضاًفتفرح قلوبكم ولا ينزع أحدٌ فرحكم منكم» (يو ١٦:٢٢).

● «فقال لهم يسوع أيضاً **سلام لكم** كما أرسلني الآب كذلك أنا أرسلكم» **(يو ٢٠:٢١)**.

ان الرب يسوع قد اعطى سلامه لتلاميذه مرّتين قبل الآلام بقوله «سلاماً اترك لكم. سلامي أعطيكم» (يو ١٤:٢٧) ومرّتين ايضاً بعد القيامة بقوله«سلامٌ لكم وأيضاً سلام لكم» ذلك لان الانسان ذو طبيعتين أعني إنه مركّب من نفس وجسد. ولامراءَ ان الانزعاج والاضطرابات كما تنتاب الجسم تُلمّ النفسَ أيضاً. فرئيس السلام قد أعطى السلام للنفس والجسد معاً. وان لذلك سبباً آخر أيضاً وهو أننا كثيراً ما نكون عائشين بالسلام مع الناس الآخرين. لكننا نكون في حرب مع أنفسنا وتتولّد هذه الحرب من اهوائنا وشهواتنا. فربّنا له المجد قد كرّر إعطاءَ السلام لكي كل من يؤمن به يكون بسلام مع سائر الناس ومع نفسه ايضاً وجسده وضميره.

ثم انه عزّ وجلّ بعد ان قلّد تلاميذَه بسلاح السلام القويّ ضدّ كل مقاومة أرسلهم الى الكرازة في كل العالم قائلاً: « كما أرسلني الآب كذلك انا أرسلكم »

ولعمري الحق ان **الوظيفة الرسولية** هي جليلة ومجيدة والهية وسماوية. لأنه كما ان الآب الكائن قبل كل الدهور قد أرسل ابنه الوحيد الى العالم هكذا وابنه الوحيد الآله القدوس قد أرسل تلاميذه الى المسكونة بأسرها. قد أرسل الآب ابنه بكل سلطان وقوّة كما شهد بذلك الابن نفسه قائلاً: « كل شيء قد دفع لي من ابي » (متى ١١: ٢٧) وكذلك الرسل المتوشحون بالله قد أُرسلوا بقوة وسلطان فكانوا يشفون المرضى ويطردون الشياطين ويقيمون الموتى ويجترحون معجزات باهرة. وبتعاليمهم قد اخضعوا العالم بأسره. قال السيد له المجد« كما أرسلني الآب كذلك انا أرسلكم ». ما أعظم هذه الموهبة وما اكرَم هذه الوظيفة وأشرفها. فان ربنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد قد أُرسل من الله والرسل القديسون أيضاً أرسلوا من الله وقد بيّن لنا اشعيا النبي المقاصدَ التي لأجلها قد أرسل الآب ابنه. فقال « لأبشر المساكين أرسلني لاشفي منكسري القلب لانادي للمسبيين بالعتق وللعميان باعادة البصر وأُطلقَ المهشّمين الى الخلاص لأدعوَ بسنة للرب مقبولة وبيوم مكافاة لاعزّي كل النائحين » (**اشعيا ٦١: ١– ٢**). وقال يوحنا البشير أيضاً « لأنه لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليُخلص به العالم » (يو ٣: ١٧). وواضح انه لهذه الغاية نفسها قد أُرسل الرسل والآيات والعجائب التي كانوا يجترحونها كانت تؤيّد كونهم مُرسَلين لذلك اي ليكرزوا ببشائر الخلاص ويردّوا العالم من الضلالة ويخوّلوا البشر مغفرة الخطايا. وبما ان قوّة الروح الكلي قدسه وحدها لها ان تحلّ رباطات الخطايا لذلك أردف البشير ما سبق ايراده باقوال المخلّص الآتية.

● « ولمّا قال هذا نفخ وقال لهم خذوا الروح القدس. من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم ومن امسكتموها عليهم أُمسكت » **(يو ٢٠: ٢٢– ٢٣)**.

انه بقوله « **الروح القدس** » يعني نعمة وقوّة الروح الكلي قدسه . ويؤيّد ذلك قول الانجيلي نفسه في موضع آخر « الكلام الذي اكلمكم به هو روح » (يو ٦ : ٦٣) . وقد اراد بذلك ان لكلامه المذكور نعمةً وقوة روحية . وان قيل أيةَ نعمة اخذ الرسل قلتُ إنهم أخذوا سلطانَ حلّ وربط الخطايا . وقد وعد المخلّص بطرس اوّلاً بهذه النعمة قائلاً له : « وسأعطيك مفاتيحَ ملكوت السماوات وكل ما تربطه على الارض يكون مربوطاً في السماوات وكل ما تحلّه على الارض يكون محلولاً في السماوات » (**متى ١٦ : ١٩**) ثم وعد بها سائر التلاميذ ايضاً بقوله « كل ما تربطونه على الارض يكون مربوطاً في السماء وكل ما تحلّونه على الارض يكون محلولاً في السماء » (**متى ١٨ : ١٨**) . فهذه النعمة الموعود بها قد أعطاها الرب بعد قيامته لجميع التلاميذ على السواء بقوله لهم : « خذوا الروح القدس . . .» وبواسطة الرسل قد أُعطيت لكل من خلفائهم الحقيقيين رؤساء الكهنة الارثوذكسيين وقد اشار الى هذا السلطان المضاعف بولس المتفوه بالآلهيات في رسالته الى اهل كورنثس قائلاً : «حكمة باسم ربنا يسوع المسيح اذ انتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح ان يُسلِّم مثلُ هذا للشيطان لهلاك الجسد » فمن هذه الآية يظهر سلطان الربط . ثم يقول بعد ذلك « لكي تخلَص الروح في يوم الرب يسوع » مبيّناً قوةَ حلّ الخطايا (**اكور ٥ : ٤ – ٥**) .

فيا لها من نعمة عظيمة واكرم بها من موهبة سماوية وخلاصية حصل عليها الجنس البشري وقد نفخ السيد اوّلاً ثم بعد ذلك أعطى النعمة . لأنه بالنفخة الالهية أخذ الانسانُ النفسَ كما قال الكتاب « نفخ في وجهه نسمة حياة فصار الانسانُ نفساً حيّةً » (تكوين ٢ : ٧) . ولمّا كانت نفس الانسان قد ماتت لاجل الخطيئة بحسب احكام العدل الإلهي . لأنّ الله قد قال لجدّينا الاولين في اي يوم تأكلان منها اي من شجرة معرفة الخير والشر موتاً تموتان (تكوين ٢ : ١٧) . **فقد نفخ واهبُ الحياة** في وجوه تلاميذه ليجدّد حياة نفس الانسان المائتة ويجعلها قابلة لنعمة الروح الكلي قدسه ولكي يبيّن انه **هو نفسه الخالق** الذي نفخ في وجه

الانسان وأعطاه نسمةَ حياة . ويوضح ان الذي خلق الانسان قبلاً هو نفسه يعيد الآن ابداع النفس البشرية .

● « فأمّا توما أحد الاثني عشر الذي يقال له التوأم فلم يكن معهم حين جاء يسوع » **(يو ٢٠ : ٢٤)** .

ان الرب يسوع المسيح قد أقام اثني عشر رسولاً (مر ٣ : ١٤) غير أن أحدهم يهوذا الأسخريوطي بعد تسليمه معلّمه سقط من الرتبة الرسولية ولذا فلما قام المسيح من بين الأموات كان عدد الرسل أحد عشر فقط على ان البشير قال واحد من الاثني عشر ولم يقل من الاحد عشر . لانه اراد ان يذكر عدد الرسل الاصلي الذي أرجعه الرسل الى اصله بانتخابهم متياس عوضاً عن يهوذا . وقد قال « الذي يُقال له » بدلاً من « الذي يُفسر » لأن توما اسم كلداني مشتق من ثيوم بالعبراني الذي تفسيره التوأم . وحقاً ان يوحنا البشير المعلم الملهم من الله أصاب بتفسيره هذه اللفظة لأنه اراد ان يعلّمنا ان ذات اسم الرسول اي توما يدلّ على انه كان كثير الشك وعسرٌ اقناعه . وان قيل لماذا لم يكن توما مع التلاميذ حين جاء يسوع قلتُ إن ذلك قد كان بتدبير آلهي لاجل زيادة تأكيد قيامة المسيح . ولا يخفى ان البشير لم يذكر المكان الذي كان توما فيه قبلاً ولكن بما انه في وقت الآلام الخلاصية قد هرب جميع التلاميذ وتبدّدوا فمن المرجّح عندما انفصل حينئذعن التلاميذ قد بقي الى وقت اجتماعه ماكثاً في المكان الذي اختفى فيه على ان غياب توما يولّد أمامنا مشكلاً آخر. وهو كيف قد اشترك هذا التلميذ **بنعمة الروح القدس** على حين لم يكن مع التلاميذ الآخرين لمّا نفخ فيهم الرب قائلاً : «خذوا الروح القدس » . فهذا المشكل يزول بمراجعة الامور المذكورة في الكتاب المقدس والتي كانت رمزاً ورسماً لهذا الحادث .

فإن الكتاب يقول ان موسى قد انتخب بأمر الله سبعين شيخاً وكتب أسماءهم لكي يأخذوا نعمة من الله وكان جميع هؤلاء الشيوخ ينتظرون النعمة واقفين حول الخيمة ما عدا اثنين منهم وهما الداد ومُداد الذان لم يأتيا الى الخيمة

بل بقيا في المحلّة فنزل الله في سحابة الى الخيمة وأعطى النعمة ليس فقط لـ ٦٨ شيخاً الحاضرين في الخيمة بل وللاثنين الغائبين ألداد ومداد وعلى هذا المنوال أخذ النعمة ذاتها الحاضرون والغائبان على السواء وقد استقرّ الروح على الـ ٦٨ الذين كانوا في الخيمة وعلى ٢ الذين كانا في المحلّة وكل من الفريقين طفق يتنبأ . اما الفريق الاوّل فلانه كان حاضراً وامّا الآخر فلأنه كان منتخباً ومكتوباً قال الكتاب الآلهي : « وبقي رجلان في المحلّة اسم الواحد الداد واسم الثاني مداد فحلّ عليهما الروح وهذان كانا من المكتوبين ولم يأتيا الى الخيمة فتنبآ في المحلّة » **(عدد ١١ : ٢٦)** . ومن المعلوم ان **أمور العهد القديم هي رسم لامور العهد الجديد فنقول** ان النعمة التي أُعطيت حينئذ للسبعين شيخاً كانت تدلّ على الموهبة الروحية التي أخذها فيما بعد الرسل القديسون كما شهد بذلك موسى العظيم نفسه بقوله « يا ليت كل شعب الرب أنبياء متى جعل الرب روحه عليهم » (عدد ١١ : ٢٩) . فكما انه هناك قد استحق ألداد ومداد الموهبة النبوية على حين كانا غائبين هكذا وهنا أيضاً قد أخذ توما سلطان الحلّ والربط مع انه كان غائباً فالداد ومداد قد اخذا الموهبة لأن موسى قد أحصاهما في عداد السبعين شيخاً وكذلك توما أُعطيت له نعمةُ الروح القدس لأن المسيح قد أحصاه في عداد الاثني عشر رسولاً . بما ان توما لم يكن حاضراً عندما جاء يسوع .

● « فقال له التلاميذ الاخرون قد رأينا الرب فقال لهم ان لم أرَ في يديه أثر المسامير وأضع اصبعي في أثر المسامير وأضع يديّ في جنبه لست اومن » **(يو ٢٠ : ٢٥)** .

الظاهر ان التلاميذ قد اخبروا توما بما جرى اي بانهم قد رأوا الرب ويديه وجنبه وآثار المسامير فلِمَ قلة التصديق هذه . لا غرابة في ذلك فان **قيامة الاموات** هي بالواقع امر عظيم وعسر تصديقه . على ان توما قد عاين ابنة يايروس وابن الارملة ولعازر ذا الاربعة ايام قائمين بقوة المسيح من الاموات فما الموجب لقلة تصديقه بهذا المقدار فلعلّ فرط الحزن الذي شمله لعدم استحقاقه ان يرى الرب

قد ازعج عقله جداً حتى بلغ به الى هذا الحد من عدم التصديق . فيكون عدمُ تصديقه قد تولد عن عزة نفسه . اعني انه اراد ان يرى هو أيضاً ما قد رآه التلاميذ الاخرون لئلّا يُظن به انه أدنى من اخوته في النعمة الرسولية والشأن . او لعلّ غيرته في الكرازة الانجيلية قد سبّبت عدم تصديقه اذ كان يريد ان يرى ويجسّ لكي تكون كرازته حائزة على تمام الثقة . فيشهد ويكرز للعالم انه فضلاً عن كونه قد سمع المسيح قد عاينه وجسّه ايضاً بعد قيامته . وعلى هذا المنوال يؤكّد ما كان مزمعاً ان يعلمه للعالم بشأن المخلّص . كانسان سمع وعاين وشهد . فهذا بلا شك كان مقصد رسول المسيح . ولا يخفى ان عدم الايمان هو امر غير حميد غير انه في مسألة توما هذه كانت غايته حميدة . وعليه فمخلصنا المحبّ البشر الفاحص القلوب والكلى اذ عرف نيّة توما الكلية القداسة قد تنازل لأن يهتم به اهتماماً خاصاً ليقنعه بقيامته ، ومعه يقنع المسكونة جمعاء . وعليه فقد قال البشير :

● « وبعد ثمانية أيام كان تلاميذه أيضاً داخلاً وتوما معهم فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف في الوسط وقال سلام لكم » **(يو ٢٠ : ٢٦)** .

لماذا لم يظهر المسيح ثانية على الفور بل بعد ثمانية أيام ؟ لكي تكون الرؤية الصائرة امام توما موافقة تماماً للرؤية الاولى التي لم يحضرها توما . فان الابواب كانت مغلقة والتلاميذ كانوا مجتمعين والوقفة نفسها في الوسط والتحية بعينها « سلام لكم » هذه كلها قد صارت بتمامها في الرؤيتين . وبما ان الرؤية الاولى قد صارت يوم الاحد قد صارت الثانية ايضاً يوم الاحد فشابهت احدهما الاخرى. وهكذا لما شاهد توما تمام مشابهة الرؤيتين لم يبق له سبب لقلة الايمان فيما بعد . هذا وان لهذه الرؤية الصائرة بعد ثمانية ايام معنى آخر ايضاً سرياً **فان عدد الثمانية يدل على الدهر الثامن** آخر جميع الدهور . وتوما يمثل فريق البشر الذين لم يخضعوا للمسيح بالايمان . والى ذلك أشار الرسول الآلهي بقوله : « لأننا الآن لسنا نرى الكل بعد مخضعاً له » (عب ٢ : ٨) . ولكن الى ذلك

الحين سيؤمن الجميع « وتكون رعية واحدة وراع واحد »(يو ١٠ : ١٦) . وعليه فقد ظهر مخلص العالم ثانية بعد ثمانية أيام وقال سلام لكم .

● « ثم قال لتوما هات اصبعك الى هنا وانظر يديّ . وهات يدك وضعها في جنبي . ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنا » **(يو ٢٠ : ٢٧)** .

يا لمحبة المسيح للبشر التي لا تحدّ . فانه اجاب توما على ما كان قاله للتلاميذ مبيّناً بذلك انه كآله عارف القلوب وعلّام الغيوب يعلم بكل ما جرى . ثم دعا توما لأن يجسّه مظهراً بذلك انه مستعدّ لأن يحتمل كل شيء حتى لاجل خلاص نفس واحدة فقط . وان قيل لماذا لم يسمح الرب لمريم المجدلية ان تلمسه . وفي ظهوره هذا قد دعا توما لأن يجسّه . فالجواب في ذلك جملة اقوال وهي . امّا لان المجدلية قد حداها الى ذلك التطفّل فقط . أو لأنها قد هجمت عليه بجرأة وبدون تروّ . او لانها لم تكن مستحقة لان تلمسه لانها لم تكن بعد مطهّرة بنعمة الروح القدس التي حصل عليها المؤمنون بعد صعود المخلّص الى أبيه . ولذا فقد قال لها « لا تلمسيني لاني لم أصعد بعد الى أبي » (يو ٢٠ : ١٧) . واما توما فبما انه كان يطلب ان يتحقق أمر قيامته من الاموات وقد استحق قبلاً نعمة الروح القدس بالصوت السيدي القائل « خذوا الروح القدس » فقد دعاه وحثه على ان يجسه اذ قال له « هات اصبعك الى هنا وانظر يديّ وهات يدك وضعها في جنبي » . فالاله المحب البشر اولاً اقنع توما بالبرهان الذي طلبه ثم نصحه قائلاً : « لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً » .

● « أجاب توما وقال له ربّي والهي » **(يو ٢٠ : ٢٨)** .

ان توما البطيء في الايمان قد أسرع في الاعتراف . ولكن أنظر دقة هذا الاعتراف وكماله العظيمين ومشابهته مشابهة كلية لاعتراف بطرس . فان بطرس قال للمسيح « أنت هو المسيح ابن الله الحيّ » (متى ١٦ : ١٦) وتوما قال له « ربي والهي » . فكلاهما اذاعا كارزين بناسوت المسيح ولاهوته . كلاهما إعترفا

بطبيعتيهِ وبوحدانية اقنومه. اما الطبيعة الأنسانية فأعترف بها بطرس بقوله: « أنت هو المسيح » وتوما بقوله « ربي ». وامّا طبيعة اللاهوت فكرز بها بطرس بقوله « ابن الله الحيّ » وتوما بقوله « الهي ». وأما وحدانية الاقنوم فقد اعترفا بها كلاهما بجمعهما الطبيعتين معاً. أمّا بطرس فبقوله « انت هو المسيح ابن الله الحيّ ». واما توما فبقوّله « ربي وآلهي » معترفين وكارزين باتفاق ان المسيح نفسه هو آله وانسان معاً. وبما ان المسيح قد أظهر عناية عظمى في اقناع توما تعطّف بان يوصّل احسان عنايته الآلهية الى جميع الذين لم يروا ولاجسّوا ومع ذلك آمنوا بقيامته من الاموات. وعليه فقد قال البشير.

● « قال له يسوع لأنك رأيتني آمنت طوبى للذين لم يروا وآمنوا » **(يو ٢٠: ٢٩)**.

كانه يقول له انت يا توما آمنتَ لانك رأيتني فأني قد حضرت بذاتي قدّامك وأريتك يديّ وجنبي. وهكذا قد رأيتَ وجسستَ فآمنت ولا بدع فان الذين ينظرون ويجسّون تلزمهم حواسهم ان يؤمنوا. واما اولئك الذين لا يرون ولا يجسّون بل بمجرّد سماعهم للكرازة الانجيلية يؤمنون مقتبلين الايمان عن غير الزام فهم مطوّبون بل مثلثو الطوبى. ولكن الا يستحق هذه الطوبى توما وسائر الرسل الآلهيين الذين رأوا وآمنوا. فانهم قد رأوا الرب داخلاً البيت الذي كانوا مجتمعين فيه وابوابه مغلقة. ومن خوفهم لم يؤمنوا بانهم انما يرون الرب القائم من الاموات. بل ظنوا انهم يرون روحاً كما قال البشير « فجزعوا وخافوا وظنوا انهم ينظرون روحاً » (لوقا ٢٤: ٣٦). وهم أيضاً قد استدعاهم الرب لكي ينظروا يديه ورجليه اذ قال لهم « انظروا يديّ ورجليّ فان الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي » (لو ٢٤: ٣٩- ٤٠) « ولما قال هذا أراهم يديه ورجليه » أفلاجل ذلك هم غير مطوّبين؟ حاشا. لأن السيد بقوله « طوبى للذين لم يروني وآمنوا » لم يُخرج من دائرة هذا التطويب اولئك الذين رأوه وآمنوا حتى ولا قال ان اولئك هم اكثر غبطة من هؤلاء. وبما انه قبل قيامته من الأموات قد جعل

الرسل ممّن لهم الطوبى لانهم راوه وشاهدوا عجائبه فقال « طوبى لعيونكم لانها تبصر ولاذانكم لانها تسمع لاني الحق اقول لكم ان انبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا ان يروا ما انتم ترون ولم يروا . وان يسمعوا ما انتم تسمعون ولم يسمعوا » (متى ١٣:١٦-١٧) فلئلا نظن ان اولئك فقط الذين رأواه وآمنوا هم المطوّبون . ولكي يحقق لجميع البشر الذين فيما بعد لا يرونه ويؤمنون انهم اهلٌ للطوبى ذاتها قال « طوبى للذين لم يروا وآمنوا » .

وإن قيل كيف ظهرت آثار المسامير والحربة في جسد الرب العديم الفساد . وكيف جس توما الجسد المنزّه عن البلى . فنجيب ان ذلك قد كان بتنازل الهي وقوة الهية . اذ اراد المخلّص بذلك ان يؤكّد قيامته من الاموات . وكما ان الملائكة عندما صعد الرب من الارض رأوا ثيابه مصبوغة بالدم فصرخوا قائلين : « لماذا ثيابك حمراء وملابسك كدائس معصرة » (أش ٦٣ : ٢) . هكذا والرسل قد رأوا آثار المسامير والحربة وتوما جس الجنب الطاهر ولعل ما تنبأ به داود النبي والملك يقصد به هذا الجسّ وذلك عندما قال « التمست الله ويديَّ بالليل قدامه بسطت ولم أضلّ » (مز ٧٦ : ٢) وبما ان هذه الامور جميعَها قد صارت بفعل قوّة الله القادرة على كل شيئ . لاجل هذا يحصيها البشير بالهام الهي في عداد الآيات والعجائب الأخر قائلاً :

● « وآيات أخَر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب » (يو ٢٠ : ٣٠) .

ان البشير يعني بالآيات الاعمال المستغربة وغير الطبيعية اي المعجزات والعجائب . ولكن عن اية آياتٍ يتكلم البشير هنا . أ عن الآيات التي صارت قبل قيامة ربنا يسوع المسيح او عن تلك التي صارت بعدها ؟ يرجّح انه يعني هنا الآيات التي صارت بعد القيامة . لأن العجائب التي قبل القيامة قد اجترحها المسيح ليس فقط امام تلاميذه بل وقدام اناس غيرهم كثيرين . وما هي الآيات التي لم تكتب في هذا الكتاب اي في انجيله ؟ ربما عنى بذلك تلك التي ضرب

هو عنها صفحاً لأن الانجيليين الاخرين قد ذكروها قبله . فانه اما متّى فقد ذكر الزلزلة العظيمة والملاك اللامع كالبرق الذي دحرج الحجر عن باب القبر . واما لوقا فقد ذكر مرافقة السيد للتلميذين المنطلقين الى عمواص ومحادثته معهما . وأبان انه أمسك أعينهما عن معرفته ثم فيما بعد غاب عنهما . وانه أيضاً قد فتح عقول الرسل لفهم وادراك الكتب الآلهية . وانه صعد الى السماء أمام أعينهم . فهذه جميعها قد سكت عنها يوحنا البشير أو انه أراد بالآيات الأخر الكثيرة تلك التي لم يكتب عنها ولا واحد من البشيرين . لأن عجائب المسيح المخلّص لا تُعدّ ولا تُحصى كما أوضح ذلك يوحنا البشير نفسه في موضع آخر بهذه الاقوال « واشياء اخرى كثيرة صنعها يسوع لو كتبت واحدة فواحدة فلست أظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة » . ثم انه لكي يبيّن لماذا كتب هذه الايات قال :

● « واما هذه فقد كُتبت لكي تؤمنوا ان يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم اذا آمنتم حياة باسمه » **(يو ٢٠ : ٣١)** .

يقول إن هذه الآيات قد كتبت لكي نؤمن ان يسوع هو المسيح ابن الله . فانظروا صلاح الله الذي لا يُحدّ . فانه يطلب ان نؤمن لا لاجل منفعة خاصة به او لربح يجتنيه من ذلك . اذ انه غير محتاج البتة الى خيراتنا (مز ١٥ : ٢) بل لكيّ نحن متى آمنا نكسب الحياة الابدية المثلثة الغبطة . وماذا يعني البشير بقوله « باسمه » . **ان اسم المسيح هو يسوع** ومعناه في اللغة العبرانية مخلص . فيكون معنى « باسمه » اننا مخلّصون به .

أحد حاملات الطيب

مرقس : ١٥: ٤٢-٤٧
١٦: ١-٨

عظة للقديس غريغوريوس بالاماس

حيث يقال إن والدة الآله
هي أوّل من رأى الرب
بعد قيامته من الأموات .

قيامة الرب تفوق الطبيعة البشرية . هي حياة جديدة ، جبلة جديدة وعودةٌ الى الحياة الخالدة التي كانت لآدم الاوّل الذي استدرجه الموت بسبب الخطيئة وعن طريق الموت أسرع الى الأرض التي منها أُخذ .

في البداية لم يرَ أحدٌ آدم يُجبل ويأخذ حياةً طالما لم يوجد انسان في تلك الساعة . ولكن بعد أن أخذ نسمة حياة بالنفخة الالهية رأته امرأة قبل غيرها لأنه بعد الانسان الأوّل جاءت حواء .

هكذا فان آدم الثاني أي الرب عندما قام من بين الأموات ، لم يره إنسان لأنه لم يكن أحد من ذويه حاضراً والحرّاس الذين كانوا يحرسون القبر ارتعدوا من الخوف وصاروا كالأموات . بعد القيامة رأته امرأة قبل غيرها كما يروي لنا اليوم مرقس الانجيلي لأنه يقول :

« وبعدما قام **باكراً** في أول الأسبوع ظهر أوّلاًلمريم المجدلية » **(مرقس ١٦ : ٩)**

يبدو لأوّل وهلة ان الانجيلي يقول عن الساعة التي قام فيها الرب أي « **باكراً** » ويقول إنه تراءى أوّلاً لمريم المجدلية وذلك في ساعة القيامة .

لكن إن فحصنا الأمور بدقة أكبر لا نتحقّق من ذلك الكلام لأن الانجيلي يقول سابقاً وفقاً لما جاء عند الانجيليين الآخرين إن مريم قد أتت قبلاً مع حاملات الطيب الى القبر وبعدما رأته فارغاً انصرفت . هكذا فان الرب قد قام قبل السحر حين شاهدته النسوة وقد ذكر الانجيلي تلك الساعة بقوله « **باكراً جداً** » **(مر ١٦ : ٢)** لذلك بقوله « اذ طلعت الشمس » (مر ١٦ : ٢) يقصد النور الضعيف الذي يطلع في الأفق .

هذا ما ذكره يوحنا الإنجيلي بقوله : « جاءت مريم المجدلية الى القبر **باكراً والظلام باق** فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر » **(يو ٢٠ : ١)**

لم تأت مريم المجدلية الى القبر في تلك الساعة المبكّرة فحسب بل وتركت القبر دون ان ترى الرب . « ركضت وجاءت الى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر » (يو ٢٠ : ٢) . وأخبرت لا ان الرب قد قام بل أنهم أخذوه من القبر ، فهي لم تتعرف بعد الى القيامة . لذلك نقول ان الرب لم يظهر لمريم المجدلية من البداية بل في وضح النهار . هناك اذاً نقطة غامضة لم يفصح عنها الانجيليون وسأحاول ان اكشفها لمحبتكم .

في الواقع ان انجيل قيامة الرب هو أوّل ما كُتب للناس . وكما يجدر ان نقول بعدل ان **والدة الاله قد قبلته أولاً ورأت قبل غيرها القائمَ وتمتعت بكلامه الإلهي**[1] ، **ولم تره فقط بأعينها وسمعته باذنيها بل أيضاً هي أوّل من لمست**

---

(١) يذكر التقليد ان «مريم الاخرى» (متى ٦١:٢٧ ومتى ١:٢٨) ومريم «أم يعقوب الصغير ويوسي» (مرقس ٤٠:١٥) هي والدة الآله مريم وقد ظهر لها الرب القائم اوّلاً. هذا ما يذكره الآباء القدّيسون غريغوريوس النيصصي، يوحنا الذهبي الفم، افسافيوس الاسكندري ، انسطاسيوس السينائي، سمعان المترجم، غريغوريوس بالاماس، نيقودمس الأثسي وكذلك ترانيم الكنيسة:

قدميه الطاهرتين . (متى ٢٨ : ٩) . حتى وان لم يقل ذلك الانجيليون بوضوح لأنهم لم يريدوا ان يظهروا الامّ شاهدة للقيامة حتى لا يعطوا فرصة للشك من قبل الملحدين . واليوم نحن بنعمة القائم نتكلم الى المؤمنين ومناسبة العيد تضطرنا ان نوضح ما يتعلّق بحاملات الطيب وبإذن منه الذي قال : « لانه ليس خفيّ لا يظهر ولا مكتوم لا يعلم ويُعلَن » (لوقا ٨ : ١٧) .

هذا ما سوف نظهره لاحقاً :

حاملات الطيب هُنَّ نساءٌ تبعن الرب برفقة أمّه وبقين معها في ساعة آلامه الخلاصية واهتممن بدهن جسد يسوع بالطيب . عندما طلب يوسف ونيقودمس جسد يسوع من بيلاطس ، أنزلاه عن الصليب ولفّاه بسبان معطّرة ووضعاه في قبر منحوت ووضعا حجراً كبيراً على باب القبر .

بعبارته « **ومريم الأخرى** » **(متى ٢٨ : ١) يقصد الانجيلي بدون شك والدة الآله** . وهذه كانت تسمى أيضاً ام يعقوب ويوسي (لوقا ٢٤ : ١٠ مرقس ١٦ : ١ ، متى ٢٧ : ٥٦) الذين كانا من يوسف الخطيب[٢] . ولم يكونا وحدهما عند دفن الرب بل ومع نساء اخريات كما يقول لوقا : « وتبعنه نساءٌ كن قد اتين معه من الجليل ونظرن القبر وكيف وُضع جسده . .. كانت مريم المجدلية ويونّا ومريم أم يعقوب والباقيات معهنّ » **(لوقا ٢٣ : ٥٥ و ٢٤ : ١٠)**

ويقول الانجيلي بعد ذلك : عندما عادت النسوة اشترت طيوباً وحنوطاً (مر ١٦ : ١) لأنهنّ تأكّدن ان الربّ هو بالحقيقة عطرُ الحياة لكل الذين يقتربون منه

- طروبرية القيامة للّحن السادس «... وصادفتَ البتولَ مانحاً الحياة»
- طروبرية الفصح «ان الملاك تفوه نحو المنعم عليها أيتها العذراء النقية افرحي...»
- قانون أحد حاملات الطيب الاودية الاولى «افرحي مع الرسل اذ قد عاينتِ ابنك وإلهك ناهضاً ايتها النقية المنعم عليها من الله»
- سنكسار أحد الفصح «وأمرُ القيامة أوّلاً صار معروفاً عند والدة الآله...»

(٢) الحاشية رقم (١) نفسها .

بايمان كما هو عطر الموت لكل الذين يشكّون به حتى النهاية . ورائحة لباسه أي جسده هي أسمى من العطور كلّها . واسمه هو الطيب المهراق الذي بواسطته ملأ المسكونة عطراً زكياً إلهياً . لقد هيّأن اذاً طيوباً وحنوطاً من جهة **لاكرام الميت** ومن جهة ثانية **تعزية لرائحة الجسد** لكل الذين يودّون ان يزوروا القبر .

بعدما هيأن الطيوب استرحن حسب وصية السبت لانهنّ لم يتعرّفن بعد على السبوت الحقيقية . لم يعرفن ذلك السبت المبارك الذي ينقل طبيعتهن من هول الجحيم الى الارتفاع السماوي الالهي المنوّر .

« في أوّل الاسبوع أوّل الفجر » هكذا يقول **(لوقا ٢٤ : ١)** « أتين الى القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه » . بينما يقول متى : « وبعد السبت عند فجر اوّل الاسبوع » **(متى ٢٨ : ١)** أتى اثنتان . امّا يوحنا فيقول : « في اوّل الاسبوع باكراً والظلام باقٍ » **(يو ٢٠ : ١)** جاءت واحدة وهي مريم المجدلية ويقول مرقس : « باكراً جداً في أوّل الأسبوع » **(مرقس ١٦ : ٢)** جاءت ثلاث نسوة .

اذاً يقول الانجيليون كلّهم ان حاملات الطيب جئن في أوّل الاسبوع أي يوم الأحد بعد السبت ، عند الفجر العميق باكراً جداً والظلام باق . الزمن المذكور هو اوان السحر الذي فيه يمتزج النور والظلام . هذا الوقت يبتدئ فيه الضوء ينقشع صوب الشرق وينبئ بقدوم النهار . ابتداءً من الساعة التاسعة من الليل حتى الثانية عشرة .

يبدو ان الانجيليين يفترقون فيما بينهم بالنسبة للساعة كما وبالنسبة لعدد النسوة . وقلت سابقاً انهن كثيرات وجئن الى القبر أكثر من مرّة سويّة وليس نفسهنّ ، في السحر ولكن ليس في الوقت نفسه . امّا مريم المجدلية فقد جاءت بعد ذلك بمفردها وبقيت اكثر من غيرها . كل انجيلي يذكر مجيء البعض ويغفل عن ذكر الأخريات . وعلى ما اعتقد بعد تفحّص ما جاء عند الانجيليين الأربعة ووفقاً لما ذكرتُ سابقاً **جاءت أوّلاً الى قبر ابن الله والدةُ الاله** ومعها مريم المجدلية .

هذا ما استنتجته من متى الانجيلي لأنه يقول « جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى » التي كانت بدون شك والدة الآله « لتنظرا القبر . وحدثت زلزلة عظيمة لأن ملاك الرب نزل من السماء ودحرج الحجر من باب القبر وجلس عليه . وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج . فمن خوفه ارتعد الحرّاس وصاروا كالأموات » **(متى ٢٨ :١–٤)**

اذاً عندما جاءت النساء الأخريات بعد الزلزلة ، هرب الحرّاس ووجدن القبر مفتوحاً والحجر مدحرجاً . وصلت والدة الاله في الوقت الذي فيه دحرج الحجر وفتح القبر وكان الحرّاس حاضرين ، مرتعدين من الخوف . لذلك قد استعدّ هؤلاء للحال للهرب بينما كانت والدة الاله تتمتع بالرؤيا . **وانا أعتقد ان القبر المعطي الحياة قد فُتح لها أوّلاً** (لانه لها أوّلاً وعن طريقها فتح كل شيء لنا ، ما في السماء وما على الأرض) . ولها لمع الملاك بينما كانت الساعة بعد مظلمة . وهي مع لمعان الملاك استطاعت ان ترى القبر فارغاً وكذلك الاكفان موضوعة تشهد لقيامة الدفين .

الملاك المبشّر كان على الارجح رئيس الملائكة جبرائيل لانه ما إن رآها تسرع الى القبر ، هذا الذي قال لها قديماً : « لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمةً عند الله » (لوقا ١ : ٢٠) . يُسرع الآن أيضاً وينزل ليقول للدائمة البتولية الشيء نفسه ويبشرها بقيامة ذاك الذي ولد من أحشائها بلا زرع ويرفع الحجر ويظهر القبر الفارغ والاكفان وهكذا يؤكد على البشارة السارة لأنه يقول :

« فاجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أنتما . فاني أعلم انكما تطلبان يسوع المصلوب . ليس هو ههنا لأنه قام كما قال » (متى ٢٨ :٥– ٦) لانه لم تضبطه أقفال وامخال الجحيم والموت ولا ختوم القبر بل هو سيّد ملائكتنا السماويين الازليين وسيّد الكون « هلمّا انظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعاً فيه واذهبا سريعاً قولا لتلاميذه انه قد قام من الأموات » (متى ٢٨ :٦– ٧) .

- **سلسلة الحوادث**

« فخرجتا سريعاً من القبر بخوف وفرح عظيم » **(متى ٢٨ : ٨)**

أنا أعتقد أن مريم المجدلية والنسوة الأخريات كنّ خائفات (لانهن لم يفهمن معنى كلمات الملاك، لم يُدركن تماماً النور (حتى يَرون ويفهمن بالضبط ما يقصده). بينما حصلت والدة الاله على الفرح العظيم لانها فهمت كلمات الملاك، واستسلمت كلياً للنور لأنه قد أنعم عليها بالنعمة الالهية اذ كانت طاهرة بالكليَّة. كانت تعرف الحقيقة وتؤمن برئيس الملائكة (جبرائيل) الذي كان قد صَدَق معها من خلال أعماله السابقة وقت الحبل.

كيف يمكن لها ان لا تفهم طالما كانت، وهي العذراء الحكيمة الالهية، حاضرة خلال تلك الحوادث كلّها، طالما رأت الزلزلة الكبيرة، الملاك النازل من السماء كالبرق والحراسَ كالأموات والحجَر مدحرجاً والقبرَ فارغاً واللفائف العجيبة التي كانت غيرَ محلولة وموضوعة وحدها (لوقا ٢٤ : ١٢) مع الحنوط دون الجسد. كما واقتبلت رؤية الملاك وبشارته السارة؟

بعد تلك البشارة خرجت مريم المجدلية من جهة وكانها لم تسمع الملاك مع العلم انه في انجيل يوحنا لا يقول إن الملاك كلّمها. إنها قد تأكدت من القبر الفارغ دون ان تشير الى الاكفان « ركضت وجاءت الى سمعان بطرس والى التلميذ الآخر » **(يوحنا ٢٠ : ١–٢)**

أمّا العذراء والدة الاله فقد ذهبت برفقة النسوة لتخبر التلاميذ : « فلاقاهما يسوع وقال سلام لكما » **(متى ٢٨ : ٩)**

أرأيتم كيف ان والدة الاله قبل مريم المجدلية رأت يسوع الذي تألم من أجل خلاصنا ودُفن وقام ثم يضيف الانجيلي متى : « فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له » **(متى ٢٨ : ٩)**

لقد سمعت العذراء مع مريم المجدلية الاعلانَ من الملاك بالقيامة لكنها **وحدها فهمت** معنى كلماته . هكذا عندما لاقته مع النسوة الاخريات كانت أوّل من رآه ومن عرفه وخرّت على قدميه وأصبحت مبشّرة للرسل .

يفيدنا الانجيلي يوحنا ان مريم المجدلية لم تكن مع والدة الآله عندما عادت من القبر ولاقت الرب وتكلّمت معه . يقول الانجيلي يوحنا « فركضت وجاءت الى سمعان بطرس والى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبّه وقالت لهما أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه » (**يوحنا ٢٠ : ٢**) . كيف يمكن لها إن رأته ولمسته بيديها ان تتكلّم بهذه الطريقة وتقول مثل هذه الأشياء الغريبة ؟ وحتى بعد مجيء بطرس ويوحنا الى القبر يركضان معاً وينظران الاكفان موضوعة ، « كانت مريم واقفة عند القبر خارجاً تبكي » (**يو ٢٠ : ١١**)

ارأيتم كيف إنها لم تره بعد ولم تفهم عنه شيئاً ؟ وعندما سألها الملاكان « يا امرأة لماذا تبكين » أجابتهما وكأنه بعد مائت . وبينما رجعت ورأت يسوع نفسه حتى عندئذ أيضاً لم تفهم « لم تعلم انه يسوع » (**يو ٢٠ : ١٤**) . فسألها « لماذا تبكين ؟ » فأجابت كما فعلت سابقاً الى ان سمّاها باسمها وأظهر لها نفسه حيًّا . عندها سجدت له هي أيضاً وطلبت ان تلمسه وتقبّل قدميه فقال لها « لا تلمسيني » . من كل هذا نتعلّم انه عندما ظهر سابقاً لوالدة الاله وللنسوة اللواتي كنّ معها سمح فقط لوالدة الاله ان تمسك بقدميه بالرغم من ان متى ينسب هذا العمل الى المرأتين لأنه لم يرد للسبب الذي ذكرناه سابقاً ، ان يُظهر بشكل واضح والدته شاهدة لقيامته .

بعد ان جاءت مريم الدائمة البتولية أوّلاً الى القبر وتقبّلت أوّلاً خبر القيامة ، بعدها جاءت كثيرات غيرها ورأين الحجر مدحرجاً وسمعن الملائكة ، ثم رجعن بعد ذلك وانفصلن عن بعضهنّ بعضاً . البعض كما يقول مرقس : « خرجن سريعاً وهربن من القبر لأن الرعدة والحيرة أخذتهنّ ولم يقلن لأحد شيئاً لانهن كنّ خائفات » (**مرقس ١٦ : ٨**)

البعض الآخر تبع والدة الاله وهي التي حظيت برؤية السيّد والحديث معه (متى ٢٨: ٩) . أمّا مريم المجدلية فقد ذهبت الى بطرس ويوحنا وعادت معهما الى القبر . وبعد رحيلهما بقيت عند القبر (يو ٢٠: ١١) واستحقت ان ترى السيّد وأُرسلت بدورها الى الرسل . « فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وانه قال لها هذا » **(يو ٢٠: ١٨)** . هذه الرؤيا يقول مرقس قد حصلت « باكراً » كما يذكر في (مرقس ١٦: ٩) دون ان يؤكد ان ذلك الظهور قد حصل أوّلاً .

لقد استوضحنا ما يختص بالنسوة حاملات الطيب وما يتوافق منذ البدء عند الانجيليين الأربعة . أمّا التلاميذ فقد سمعوا في نهار القيامة ما قالته النسوة وما قاله بطرس ولوقا وكلوبا ان الرب حيٌّ وانه ظهر لهنّ ولكنهم شكّوا . لذلك وبّخهم لقلّة إيمانهم بينما كانوا مجتمعين معاً لكن عندما أظهر لهم نفسه حيًّا بكثير من الاشكال ومرّات كثيرة ، لم يؤمنوا فحسب بل أخذوا يبشرون في كل مكان « الى كل الأرض خرج صوتهم والى أقاصي المسكونة كلامهم » (مز ١٨: ٤) . « والرب يعمل معهم ويثبّت الكلام بالآيات التابعة » « مرقس ١٦: ٢٠) . لأن العجائب كانت ضرورية الى ان كرز بالكلمة في المسكونة كلّها . لقد وجب توفّر آيات وعجائب من أجل دعم وتأكيد حقيقة الكرازة . لكن لم تكن الآيات الهائلة ضرورية لدعم اولئك الذين تقبّلوا الكلمة إن آمنوا فعلاً . وأية آيات أعني ؟ تلك التي من الأعمال الصالحة . .. آمين .

أحد المخلع

شفاء مخلّع بيت حسدا

(يو ٥: ١-١٥)

«أنهض يا رب بعنايتك الالهية نفسي
المخلّعة جداً بانواع الخطايا والأعمال
القبيحة، كما أقمتَ المخلّع قديماً...»
(قنداف العيد).

للأستاذ ساكوس

● « وبعد هذا كان عيدٌ لليهود فصعد يسوع الى أورشليم وفي أورشليم عند باب الضان بركة يقال لها بالعبرانية بيت حسدا لها خمسة أروقة. في هذه كان مضطجعاً جمهور كثير من مرضى وعمي وعرج وعسم يتوقعون تحريك الماء» **(يو ٥:١-٢-٣)**.

● مقدّمة

في الفترة الخمسينية بعد الفصح يتلى انجيل يوحنا في الكنيسة. وهذا المقطع المختصّ بشفاء المخلّع يُتلى في الاحد الرابع من الفصح.

لا يذكر الانجيلي يوحنا كلمة «مخلّع» لكن المفسّرين القدماء والحديثين متّفقون ان المَريض الذي شفي كان مخلّعاً وهذا يتّضح من الرواية كلّها.

وتضيف بعض المخطوطات على الآية ٣ بعد الكلمات « عميان ، عرج ويابسي الأعضاء » كلمة « مخلّعين » لكن من المؤكد ان الكلمة الاخيرة جاءت تردادا لكلمة « يابسي الاعضاء » وزيادة لاحقة .

الكلمة بيت حسدا تعني « بيت الرحمة » وهي الكلمة المفضّلة في المخطوطات وتشير الى الأروقة الخمسة التي تشكل مستشفى شبه مؤسّسة خيرية خاصة أو عامة . .. وتأتي العبارة « لها خمسة أروقة » لتشرح ذلك بحيث تأتي الآية ٢ بالمعنى التالي : بركة يقال لها بالعبرانية بيت الرحمة أي مستوصف له خمسة أجنحة .

« وبعد هذا كان عيدٌ لليهود » أي عيد هذا ؟ هو عيد الخمسين على ما أظنّ . وفي الأعياد كان يسوع يبقى في المدينة لكي من جهة يظهر وكأنه يعيّد معهم ومن جهة ثانية لكي يجذب الى الإيمان الشعب البسيط الذي يأتي في المناسبات الى العيد .

● **صورة للمعمودية**

ما هو سبيل الشفاء هذا ؟ ما هو السرّ الذي يُشار اليه هنا ؟ لأن كل هذا لم يُكتب بدون سبب وعن طريق الصدفة . يصف المستقبلات **بطريقة صوريّة رمزية** حتى لا تشكل الأحداث عثرة للمزمعين ان يتقبّلوا قوّة الإيمان .

ينبغي أن تُعطى المعمودية التي هي ممتلئة قوّة ونعمة ، المعمودية التي تطهّر الخطايا كلّها وتجعل من المائتين أحياء . **تُعطى اذاً هنا صورة عن المعمودية عن طريق البركة وغيرها .**

الماء أوّلاً الذي يطهّر من أدناس الجسد وغيرها كما يظهر في العهد القديم حيث تظهر عجائب كثيرة (تطهّر من البرَص مثلا) عن طريق الماء .

يريد الله ان يقرّبنا من **نعمة المعموديّة** . لذلك يطهّر ويشفي لا من الأدناس فقط بل وأيضاً من الأمراض المختلفة . ..

● «لأن ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركة ويحرّك والماء فمن نزل أوّلاً بعد تحريك الماء كان يبرأ من أي مرض اعتراه»[1] **(يو ٥: ٤)**.

ينزل الملاك ويحرّك الماء ويعطيه قوة الشفاء حتى يعلم اليهود ان الربّ سيّد الملائكة يستطيع اكثر من الملاك ان يشفي أمراض النفس. ولكن كما ان هنا مجرّد الماء لا يشفي بل قوّة الملاك هكذا أيضاً عندنا أي في المعمودية لا يفعل الماء فقط بل **نعمة الروح القدس** هي التي تغفر الخطايا كلّها.

قبلاً كان مرض المخلّع يشكّل مانعاً للشفاء أمّا الآن فيستطيع كل واحد ان ينال الشفاء لأنه ليس عندنا ملاك يأتي ويحرّك الماء بل سيّد الملائكة هو الذي يعمل كل شيء.

● «وكان هناك انسان به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة هذا رآه يسوع مضطجعاً وعلم ان له زماناً كثيراً فقال له أتريد أن تبرأ أجابه المريض يا سيّدُ ليس لي إنسان يلقيني في البركة متى تحرّك الماء بل بينما أنا آتٍ ينزل قدّامي آخر». **(يو ٥:٥-٧)**.

قبلاً كان الأمر كذلك لكن الآن في المعمودية، لو جاءت المسكونة كلّها لن تُستنفد القوّة بل تبقى كما هي في السابق. كما ان شعاعات الشمس تنير كل يوم ولا تُستنفد ولا يقلّ نورها من كثرة العطاء، كذلك لا تقلّ **قوّة الروح القدس** بسبب كثرة الجمع الذي يستفيد منها. هذا حصل اذاً حتى يعلم المؤمنون ان الذي شفى المخلّع بعد مرض مزمن هو قادرٌ ان يشفي أيضاً أمراض النفس كلّها.

* * *

---

(١) المقطع (يو ٥: ١-٤) يُتلى في خدمة تقديس الماء الصغير.

● « قال له يسوع قم . احمل سريرك وامشِ . فحالاً برِئ الانسان وحمل سريره ومشى . وكان في ذلك اليوم سبت . فقال اليهود للذي شُفي انه سبت . لا يحلّ لك ان تحمل سريرك .» **(يو ٥: ٨–٩–١٠)** .

يقع هذا المقطع في مقدّمة خطاب يسوع الأوّل لليهود . تظهر في بدايته نيّة اليهود المخبأة لقتل يسوع . والسبب الأوّل هو استباحة السبت . ان تمسّك الربّانيين اليهود بعطلة السبت وصل الى حدود مضحكة : لم يُسمح لأحد في نهار السبت ان يحمل حِملاً ، ولا ان يحتذي بأحذية فيها مسامير لأن المسامير ثقيلة الوزن . كل انسان يمكن له ان يحمل خبزة واحدة ولا يسمح لإنسانين ان يحملا خبزة واحدة لأن ذلك يعتبر مشاركة في العمل . وهناك قوانين تفصيلية أخرى . وقد سمّى اليهود يسوع « خاطئاً » لأنه جبل طيناً بيديه نهار السبت .

● **صبر المخلّع وإيمانه**

تجاوز يسوع هذه الأوامر اليهودية اللامنطقية واقترب من المخلّع وسأله : « أتريد أن تبرأ » ؟ كان الانسان مريضاً منذ ٣٨ سنة ... صبره الطويل ورجاؤه بالشفاء يظهران انه يتوق الى الشفاء . ويلاحظ هنا القديس يوحنا الذهبي الفم ان سؤال يسوع كان من المنتظر ان يسبّب غضباً عند المريض . ومع ذلك أجاب المريض بتواضع « **يا سيّد ليس لي انسانٌ** ...» **(يو ٥: ٧)** لم يقل « نعم أريد » بل عرض ألمه ولم يتّهم أحداً بقوله . ممّا يدلّ على تواضعه وعدم شرّه .

ثم أظهر ليسوع إيمانه اذ استجاب فوراً لأمره الغريب . فزجره اليهود لأنه حمل سريره في السبت .

صبر المخلّع مدهشٌ . كان منتظراً منذ ٣٨ سنة ولم يفقد صبره . ولماذا ترك يسوع المرضى الآخرين واقترب من المخلّع؟ سأله لا لكي يتعلّم بل لكي يبرز صبره ...

ان الفائدة من الكتب المقدّسة كبيرة جداً . لذلك يقول بولس « لأن كل ما

سبق فكتب كُتب لاجل تعليمنا حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاءٌ » (رو ١٥ : ٤) . هذا المخلّع بقي ٣٨ سنة مشلولاً وكان في كل سنة يرى آخرين يشفون ومع ذلك لم يفقد شجاعته ولم ييأس . . .

● مقارنة بين المخلّع عند متى وعند يوحنا

يعتقد البعض ان هذا المخلّع هو نفسه المخلّع الوارد عند متى (أنظر متى ٩ : ١-٨ الأحد السادس بعد العنصرة أو ما يشابه مرقس ٢ : ١-١٢ الاحد الثاني من الصوم) ليس هو نفسه لأنهُ أوّلاً لا يوجد هنا أناس يعينونه بينما في رواية متى كان كثيرون يهتمّون به . ولذلك يقول هنا « ليس لي إنسان » . وكذلك هنا يروي المريض حالته بوضوح وأيضاً يحصل هنا الشفاء في يوم عيد وفي يوم سبت بينما هناك في يوم آخر . وأخيراً يحصل الشفاء هنا قرب البركة بينما هناك في بيت .

وطريقة الشفاء مختلفة . عند متى يقول : « يا بني مغفورة لك خطاياك » **(متى ٩ : ٢)** . بينما هنا يشفي أوّلاً الجسد ثم يهتم بالنفس . . . ويقول له في الأخير « ها أنت قد برئت فلا تخطئ أيضاً لئلا يكون لك أشرّ » **(يو ٥ : ١٤)**

وكذلك اتهامات اليهود مختلفة في كلتا الحالتين . في رواية يوحنا يتّهمونه لأنه يعمل في السبت أمّا عند متى فيتّهمونه بالتجديف . وانظروا هنا الى حكمة الله الفائقة : لم يُنهض المخلّع للحال بل يجتذبه أوّلاً اليه عن طريق السؤال لكي يفتح امام طريق الإيمان اللاحق . ثم لم يأمره بالنهوض فقط بل بحمل سريره أيضاً حتى يتأكد الكل من حقيقة العجيبة ، لأن حمل السرير يتطلّب أعضاء جسد قويّة سالمة . . .

* * *

● «أجابهم إن الذي أبرأني هو قال لي إحمل سريرك وامش» (**يو ٥:١١**).

● **شجاعة المخلّع**

هنا تظهر رجولة المخلّع وشجاعته لأنه عندما قال له اليهود: «لا يحلّ لك أن تحمل سريرك» لم يزدرِ فقط بتصرّفهم بل تجرأ وكرز بالمحسن اليه وسدّ أفواههم الغاشة، وفي ذلك شهادة كبيرة وشجاعة عظيمة. وكأنه يقول لهم: أنتم جهلاء في تفكيركم كيف تطلبون مني ان لا أطيع هذا الذي شفاني من مرض مزمن. كيف تطلبون مني ان لا أطيع أوامره؟

كان يمكن له ان يجيب بطريقة مختلفة قائلاً مثلاً: انا لم أعمل ارادتي بل فعلت ما طلب مني. ان كان هذا خطيئة أدع سريري جانباً. وكان يمكن له أيضاً ان يخفي شفاءه لأنه كان يعلم جيّداً ان اليهود معترضون لا من أجل السبت بل من أجل الشفاء. لكن المخلّع لم يخفِ شفاءه ولم يطلب من اليهود المغفرة بل اعترف بصوت جهير وبشّر بالشفاء. ماذا فعل اليهود؟ لم يتجرأوا على القول «من الذي شفاك» بل سألوا:

● «من هو الإنسان الذي قال لك احمل سريرك وامشِ أما الذي شفي فلم يكن يعلم من هو لأن يسوع اعتزل اذ كان في الموضع جمعٌ» (**يو ٥:١٢-١٣**).

لماذا اختبأ المسيح؟ أوّلاً ليبقى المخلّع المعافى شاهداً حقيقياً لاحساناته. ثم لكي لا يزيد من كره اليهود عن طريق حضوره وبقائه.

* * *

● «بعد ذلك وجده يسوع في الهيكل وقال له **ها أنت قد برئت فلا تخطئ أيضاً لئلا يكون لك أشرّ**» (**يو ٥:١٤**).

الخطيئة أمرٌ رهيب وهلاك للنفس . في كثير من الأحيان الشرّ الفائض يؤذي الاجساد . عندما تمرض النفس ولا يتألم الجسد لا نفعل شيئاً . لكن عندما يُصيب الجسد ولو أذى صغير نبذل كل محاولة لكي نتخلص من الوجع لذلك وفي كثير من الأحيان يسمح الله بمعاقبة الجسد من أجل خطايا النفس حتى انه بتأديب الأصغر يشفي الاكبر . بهذه الطريقة شفى بولس الزاني في كورنثس بربط مرض النفس بهلاك الجسد . هكذا يُطرد الشرّ بجراحة في الجسد . كما يتصرّف الطبيب الماهر عندما لا يشفى مرض بالأدوية الداخلية يلجأ الى الكيّ الخارجي .

هكذا فعل المسيح مع المخلّع وقال له « قد برئتَ فلا تُخطئ أيضاً لئلا يكون لك أشرّ » نستنتج ان مرضه ناتج عن خطاياه . وان أمر الجحيم صحيحٌ وأخيراً أن العقاب طويل ومتواصل . . . .

● **سؤال**

ماذا إذاً ؟ هل **الأمراض كلّها ناتجة عن خطايا** ؟ ليس كلّها طبعاً بل غالبيتها . لأن الشراهة ، السكر والبطالة تولّد هذه الأمراض أو الآلام . ولا بدّ من وجود المرض لكي يتقوّم الأنسان ويتحمّل كل صعوبة بشكر . المرض في كثير من الأحيان يزيد من تقوانا كما يقول الله لأيّوب : « إني لم أتصرف معك هكذا إلّا لكي يظهر برّك » (أيوب ٤٠) . . .

« بعد ذلك وجده يسوع في الهيكل » . كان هذا دليلاً على تقوى المخلّع المعافى لأنه بعد شفائه لم يذهب الى الأسواق ولا الى الملاهي بل كان يمضي اوقاته في الهيكل . وبالرغم من خطر طرده من الهيكل لم يخف ولم يبتعد عنه . عندما لقيه الرب في الهيكل لم يوبّخه على شيء بل وجّه اليه تنبيهاً من أجل المستقبل .

ان الرب قد شفى أمراضاً كثيرة بعضها تأتي من خطايا وبعضها من ضعف

جسدي. وهو يتوقف هنا عند المخلع لأن مرضه كان ثقيلاً فيحاول عن طريق شفاء الامراض المستعصية ان يعالج أيضاً الأمراض الصغيرة وإضافةً لذلك لا بدّ أن نذكر انه رأى في نفس هذا المخلّع صبراً كبيراً وتقبّلاً للوصيَّة لذلك أعطاه الوصية واجتذبه باحسانه وبتنبيهه من أجل المستقبل.

وانظر الى اللهجة المتواضعة لم يقل له: أنظر كيف جعلتك صحيحاً. بل « قد برئت فلا تخطئ أيضاً » وبعدها لم يقل له حتى لا أعاقبك بل قال « لئلا يكون لك أشرّ » مبرهناً هكذا على ان الصحة ما هي إلّا عمل النعمة لا نتيجة استحقاق. لأنه لم يقل ان المخلّع تحرّر من مرضه بسبب فضيلته بل بسبب محبّة الله للبشر بسبب احسان الله اليه. وإلّا لكان قد قال له: أرأيت كيف قد عوقبت كفاية بسبب خطاياك. انتبه من أجل المستقبل بل قال له: « قد برئتَ فلا تخطئ أيضاً ».

لنستفد نحن من هذه الأقوال واذا حدث ان تحرّرنا بعد تأديب لنقل لأنفسنا: « قد برئت فلا تخطئ ايضاً » وإن لم نؤدب لنقل مع الرسول بولس: « إن لطف الله انما يقتادك الى التوبة. ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخّر لنفسك غضباً » (**رومية ٢: ٤-٥**) هنا لم يعطِ للمخلّع برهاناً على الوهته فقط عن طريق شفاء جسده بل وأيضاً قال له « لا تخطئ أيضاً » أي عرف خطاياه السابقة لذلك كان جديراً بالثقة من اجل المستقبل.

● « فمضى الانسان وأخبر اليهود ان يسوع هو الذي أبرأه » (**يو ٥: ١٥**) أنظر كيف انه هنا أيضاً يحاول ان يظهر احسانات الرب... لقد كان يستخدم كل الطرق متكلماً بشجاعة وبشكرٍ ممجّداً المحسن اليه ليس أقلّ من الأعمى.

أحد السامريّة (١)

(يوحنا ٤: ٥-٤٢)

« يا من له كأس العطايا التي لا تفرغ ،
امنحني ان أستقي ماءً لغفران الخطايا ،
لأني مضنوكٌ عطشاً ،
أيـهـا المتـحـنن الـشـفـوق وحـدك »
(اكسابستلاري)

عظة للقديس يوحنا الذهبي الفم

اليوم يكرز لنا المسيح بأعمال الامرأة السامرية . والجدير بي في ما يلي أن أجول في محيط انجازاتها . إنني أشاهد إيمانها وأودّ أن أمدحها كما يليق . أن أمدح معكم هذه الفقيرة والغنية ، الزانية والرسولة ، الجاهلة والمؤمنة ، هذه الإمرأة التي دنّست الكثيرين وخدمت كلمة الله الوحيد ، التي تدنّست بالخطايا الكثيرة وتطهّرت منها ، التي عطشت ورغبت أن تشرب ماء الحياة الأبدية ، التي ورثت في النهاية نعمة عطايا السماء .

لنرَ ماذا يقول عنها الانجيلي يوحنا الذي كابن للرعد كشف لنا الأسرارَ الخفية :

● « فأتى الى مدينة من السامرة يقال لها سوخار بقرب الضيعة التي وهبها

(١) أو القديسة «فوتين» أي المستنيرة.

يعقوب ليوسف ابنه . وكانت هناك بئر يعقوب . فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر وكان نحو الساعة السادسة . فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماءً . فقال لها يسوع أعطيني لأشرب . لأن التلاميذ كانوا قد مضوا الى المدينة ليبتاعوا طعاماً . فقالت له المرأة السامرية كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وانا امرأة سامرية . لأن اليهودَ لا يعاملون السامريين .» (**يو ٤: ٥ – ٩**) .

جاء يسوع الى مدينة من السامرة اسمها سوخار[٢] التي هي بقرب الموضع الذي أعطاه يعقوب لابنه يوسف . وكانت هناك بئر كان يعقوب قد فتحها قديماً . أمّا يسوع فكان تعباً من السفر فجلس جانباً على البئر . وكانت الساعة السادسة أي ظهراً . فجاءت امرأة سامرية لكي تستقي من البئر . فقال لها يسوع أعطيني لأشرب . قال لها هذا لأن تلاميذه كانوا قد ذهبوا الى المدينة لكي يبتاعوا طعاماً فبقي وحده .

* * *

« فإذ كان يسوع **قد تعب** »

كيف يقول النبي أشعيا : « أما علمتَ أوما سمعت ان الرب آله سرمديّ خالق أقاصي الأرض لا يتعب ولا يعيا ولا فحصَ عن فهمه » (أشعيا ٤٠ : ٢٨) . أمّا متى الانجيلي فهو يكتب عن يسوع : « فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة **جاع** أخيراً » (متى ٤ : ٢) . وكذلك الانجيلي يوحنا كما ذُكر سابقاً يقول : « فاذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر » . متى يقول ان يسوع جاع ويوحنا انه تعب . وأمّا أشعيا فيقول باستنارة الروح القدس وبصورة واضحة « إن الله لا يجوع ، لا يعطش ولا يتعب أبداً ولا يستطيع أحد

(٢) أو سكر أو شكيم القديمة قرب مدينة نابلُس اليوم وقرب جبل جرّيزيم.

أن يُدرك فكره » كيف يمكن ان تتفق أقوال الانجيليين مع قول النبي ؟ لا نحسب أقوالَ النبي كذباً حاشا لله ! ولا الانجيليون كتبوا ما يناقض ما كشفه الروح القدس للنبي .

إن التدبير الذي بحسب الجسد لمخلّصنا والهنا العظيم يسوع المسيح كان يتّصف **بالاتحاد العجيب بين طبيعتيهِ الإلهية والانسانية** كما شاء هو وكما ارتضى. لذلك يكرز النبي من جهة بقوّة الالوهة وعظمتها ويُظهر الرسل موضوعياً من جهة ثانية طبيعة الرب الانسانية .

علينا هنا ، أيها الأحبّاء ، ان نبحثَ لماذا يحدّد الربّ المكان ، الساعة كما يفضّل غياب التلاميذ . المكان كما يلي : « جلس هكذا على البئر » . الساعة « وكان نحو الساعة السادسة » وغياب التلاميذ : « لأن التلاميذ كانوا قد مضوا الى المدينة ليبتاعوا طعاماً » . وانا أقول **أراد ان يقتنص صيداً روحياً** ولذلك ذهب الى ذلك المكان حيث كان بامكانه أن يجذب الطريدة . الا تشاهد كيف يتصرّف الصيّادون ؟ انهم لا يدورون البحر كلّه لكنّهم يذهبون الى مكان محدّد يعرفون انه يحتوي على السمك . .. هكذا فان ربنا يسوع المسيح الاله العظيم بحسب النبوّة كان يعرف انه يستطيع ان يصطادَ في ذلك المكان الامرأة السامرية . اذاً كما ان الصيّادين يرمون شباكهم حيث يأملون الحصول على السمك هكذا جاء المسيح الى المكان الذي فيه يستطيع ان يلتقط في شبكته السامريةَ وبواسطتها جمعاً كبيراً من الناس . هذا هو سبب اختيار ذلك المكان .

امّا بالنسبة للساعة فأقول ما يلي : كانت السامرية امرأةً فقيرة تعيش من عمل يديها . كانت فقيرة بحسب الجسد ومن جهة المال لكنها لم تكن فقيرةً بحسب تقوى نفسها . لأنها ما إن تستيقظ من نومها في الصباح حتى تبدأ بالعمل من أجل تأمين عيشها . وفي وقت الظهيرة بينما يستريح الآخرون كانت تأخذ الجرّة وتذهب الى البئر لكي تستقي ماءً. الربّ كان يعرف ذلك . لذلك جاء ظهراً حين كان باستطاعته ان يصطاد فريسته الروحيَّة .

ولماذا أرسل الربّ تلاميذه الى المدينة ؟ كانت السامرية امرأة فقيرة لا شأن لها ولم يكن بمقدورها أن تقتني خدماً يرافقونها . لو حدث لها ورأت انساناً معلماً محاطاً بتلاميذه لكانت قد تجنّبت الاقتراب منه وهكذا تكون الفريسة قد فرّت من وجهه . لأنه لم يعد لها الجرأة للاقتراب فتفلتُ هكذا السمكة من الشبكة . .. لذلك أرسل التلاميذ ليبتاعوا طعاماً . قال لهم اذهبوا وابتاعوا طعاماً **أما أنا فلي طعامٌ آخر** « طعامي ان أعملَ مشيئةَ الذي أرسلني واتمم عمله » (يوحنا ٤ : ٣٤) . اهتموا أنتم بالجسديّات وأنا أهتم بالروحيَّات . انتم اشتروا طعاماً امّا أنا فقد افتديتُ . .. « المسيح افتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة لأجلنا » (غلا ٣ : ١٣) كما يقول بولس الرسول الاناء المختار . أريد أن ألتقط هذه الطريدة الروحية بالماء . . .

* * *

« فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماءً »

جاءت السامرية لكي تستقي ماءً في الساعة السادسة من النهار أي في نصف النهار . بعد أن انتهت من عملها الصباحي . جاءت في الوقت الذي يستريح فيه الآخرون . ظهراً لأن حوّاء في الفردوس عصيت وصيّة الله حوالي الساعة السادسة أيضاً . لذلك وجدت خلاصاً عند البئر في وسط النهار . جاءت لتأخذ ماءً وهي تنظر الى يسوع كانسان غريب ، كأحد عابري السبيل يريد أن يشرب ويستريح من حرّ النهار . لذلك جلس على البئر . رأت انساناً بمظهر فقير ولم تهتم به لكنّه ، كونه الله ، الذي يعرف كل شيء قبل حدوثه . عندما رأى أمامه كنزَ الإيمان هذا قال : « أعطيني لأشرب » ينبوع الحياة يجلس على البئر ويطلب أن يشرب . لا لأنهُ كان يريد الشرب بل لكي يعطيها أن تشرب هي . أعطيني لأشرب لكي أعطيك شرابَ عدم الفساد . أنا أعطش الى خلاص الناس . لا اطلب منك لكي اشرب انا بل لكي أروي الآخرين . لقد تشبّهتُ بأبي الذي قال لابراهيم « أعطيني ابنك وحيدك الذي تحبّه اسحق كمحرقة على أحد الجبال

الذي أريك » (تكوين ٢٢ : ٢) . لم يقل الله هذا لأنه كان يريد ابنَ ابراهيم بل لأنه كان يريد أن يَهبَ المسكونة ابنه الخاص .

يقول ابنُ الرعد يوحنا الانجيلي : « لأنه هكذا أحبّ الله العالمَ حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يوحنا ٣ : ١٦) . .. اذاً قال الله الآب لابراهيم أعطيني ابنك الوحيد لكي أهب للعالم ابني الوحيد . ضحِّ بابنك لا لكي تذبحه بل لكي أضحّي انا بابني الوحيد من أجل خلاص العالم ضحية حيّة ، مرضيّة ، مقدّسة . هكذا يحصل هنا مع السامرية : أعطيني لأشرب » لا لكي أشرب انا بل لكي أروي . فتقول له المرأة : كيف وأنت يهودي تطلب مني أن تشرب ماء وأنا امرأة سامرية لأنه لا علاقة لليهود مع السامريين ؟

لقد ظهرت المرأة في هذا الكلام شديدةَ اللهجة . الزانية تلاحظ جيّداً الأمور هذه . وتبدو فيها محافظة على الناموس . هكذا هو جنس السامريين . يتدنّسون في داخلهم بالخطيئة ويعتقدون أن الماء كاف لتطهيرهم . يملأون نفسهم بالخطايا ويجهدون في تنظيف الجسد . هكذا هو الحال مع السامرية . تتمرّغ نفسها بالخطيئة وتتردّد في اعطاء ماء خشية أن تخطأ . ماذا فعل يسوع عند ذلك ؟ لم يصدمها طبعاً . لم يقل لها انا هو الله المولود من الله . أنا وطّدتُ السماء وأسّست الارض وأنتِ تفحصين هل يجوز اعطائي ماء لئلا تخطئين أنتِ المتدنّسة بخطايا كثيرة ؟

● « أجاب يسوع وقال لها :

لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاكِ ماءً حيّاً [٣] . فقالت له المرأة : يا سيّد لا دلوَ لك والبئر عميقة

---

(٣) في العهد القديم يشير **الماء الحيّ** الى الحياة التي يعطيها الله (ار٢:١٣) ويشير الى

فمن أين لك الماء الحي ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه ومواشيه » ... (**يو ٤: ١٠–١٢**).

لقد كان للمرأة السامرية تقدير كبير **لأب الآباء يعقوب** لأنه كان بطريركاً، كان صدّيقاً، كان اباً لقبائل اسرائيل الاثني عشر. لا لهذا فقط بل وأيضاً لأنه صارع مع الله وظهر قوياً في الحرب حتى ان الله نفسه قال له: « أطلقني لأنه قد طلع الفجر » (تكوين ٣٢: ٢٦). الله المصارع مع انسان يقول دعني لأنك أنت حبيب الله وقد طلع الفجر. فقال له يعقوب: « لن أدعك حتى تباركني ». ماذا يقصد بذلك وما هو معنى هذا الصراع بين الله والانسان سوى انه كان مزمعاً من أجل خلاصنا أن يلبس بشرتنا الخاصة؟ وبعدها ماذا قال ليعقوب: لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل اسرائيل (أي مقوّى من الله) لأنك ظهرت قوياً أمام الله، فسوف تظهر قويًّا أيضاً أمام الناس » (تكوين ٣٢: ٢٨).

لقد كان إذاً للمرأة تقدير كبير ليعقوب. فماذا أجابها المسيح؟ انتبه هنا الى حكمة السيّد، الى تنازله. لم يقل لها: حقاً إني أعظمُ من يعقوب اب الآباء. ولم يقل لها كما أجاب اليهود مرّة: « قبل ان يكون ابراهيم انا كائن » (يوحنا ٨: ٥٨) او «ان انبياء وملوكاً أرادوا ان ينظروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا » (لوقا ١٠: ٢٤). لم يقل شيئاً من هذا للمرأة. أهمل ظاهرياً النقاش حول يعقوب ولكنّه في الواقع زاده حدّةً. لو قال لها: نعم أنا أعظم من يعقوب لأن هذا الأخير أخذ منّي البركة وأنا أعطيته أيّاها، لكانت قد

الحكمة او الناموس معطي الحياة (امثال ١٣: ١٤) كما ان البئر يأتي ذكرها في العهد القديم في قصة زواج اسحق من رفقة (تك٢٤).

ورد في **يوحنا ٧: ٣٧–٣٩** «في اليوم الاخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً ان عطش أحد فليقبل اليّ ويشرب من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حيّ. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه لأن الروح لم يكن قد اعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجّد بعد»

الماء الحيّ اذاً يشير الى الروح القدس.

دهشت من مثل هذه المكاشفات وهربت للحال. لذلك حاول ان يبدو وكأنه يوضِّح كلامه السابق.

● «أجاب يسوع وقال لها: كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً ولكن من يشرب من الماء الذي أنا أعطيه انا فلن يعطش الى الأبد بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوعَ ماء ينبع الى حياة أبديَّة» **(يو ٤:١٣-١٤)**.

كان النقاش يدور حول شخص يعقوب وشخص المسيح. لقد أهمل موضوع المقارنة بين الشخصين وتحوّل الى النقاش حول المياه الطبيعية **ومواهب الروح غير المنظورة**. لو قال كما ذكرنا انا أعظم من يعقوب... لكانت المرأة قد قطعت الحوار وأسرعت الى المدينة مخبرة: هذا لا يعرف ماذا يقول وأعتقد ان به شيطاناً أو انه جاهل وبلا عقل. انسان غريب لا قيمة له يدّعي انه أعظم من أبينا يعقوب الذي كان رأساً لقبائل اسرائيل الاثني عشر، يدّعي انه أرفع من الذي حصل على بَرَكة الله نفسه، أرفع من الذي كان فقيراً وأصبح بتدبير الله غنياً في الأرض الغريبة التي حلّ فيها والتي أعطيت له من قبل الله.

لقد أظهر المسيح أمام المرأة **تنازلاً كاملاً**. نزل الى مستوى ضعفها من أجل أن يرفعها شيئاً فشيئاً الى أعالي المعاني العظيمة. كما أن الصيّادين يرمون الصنّارة في البحر وعندما يشعرون بأن سمكة علقت بها لا يسحبونها للحال خارج البحر بل يرخون الخيط قليلاً لكي تأكل السمكة الطعم بكامله وعندما يُدركون أن الصنّارة وصلت الى أعماق أحشائها حينئذ يسحبون السمكة بقوّة خارج البحر... هكذا يفعل المسيح هنا مع المرأة. لم يُظهر لها في البداية جمال ألوهته، لم يعطها وعوداً بخيرات عظيمة ولم يكشف لها على انه هو الذي جعل يعقوب اشدّ قوّة. بل عوضاً عن ذلك أثار عندها رغبةً وشوقاً اكبر في النفس قائلاً: كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش الى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى

حياة أبدية » . ترك الربّ المقارنة بين الأشخاص وجاء الى فيض النعم دالاً بالأحرى على سموّ الهبات الالهيّة على الأمور السابقة.[٤]

ماذا حدث بعدها ؟

● « قالت له المرأة : يا سيّد أعطني هذا الماء لكي لا أعطش ولا آتي الى هنا لأستقي ● قال لها يسوع اذهبي وادعي زوجك وتعالي الى ههنا . ● أجابت المرأة وقالت ليس لي زوج ● قال لها يسوع حسناً قلتِ ليس لي زوج لأنه كان لك خمسة أزواج والذي لكِ الآن ليس هو زوجك هذا قلتِ بالصدق » . **(يو ٤:١٥-١٨)**.

أرأيت كيف آمنت ان الذي يشرب من ذلك الماء لا يعود يعطش . لقد أبدع المسيح فيها شيئاً فشيئاً **شوقاً الى العطايا الروحية** . آمنت أنه يوجد مثل هذا الماء الذي يمحي الخطايا . فقال لها يسوع « اذهبي وادعي زوجك وتعالي الى ههنا » . إن كان عندك زوج فليأتِ هو أيضاً لكي يشترك بإيمانك . أنتِ لا تريدين التفرّد بعطايا الروح . لقد جئتُ بالضبط الى العالم لا لكي أخلّص حوّاء فقط بواسطة الدائمة البتولية والدة الاله مريم بل لكي أعيد الرجل أيضاً بواسطتي الى الفردوس . حسناً فعل بولس الرسول معلّم المسكونة عندما قال : « كيف تعلمين أيتها المرأة هل تخلّصين الرجل ؟ » (١ كور ٧: ١٦) أتعلمين أيتها المرأة المسيحية هلى تقدرين أن تجذبي رجلك الى الإيمان وتخلّصيه ؟

فقالت له المرأة « ليس لي زوج » وهكذا بدأت السامرية تعترف بذنوبها . . . إنني غرقت في أعماق الزنى والدعارة وزوجاً لا أملك . فقال لها يسوع « حسناً قلتِ ليس لي زوج لأنه كان لك خمسة أزواج والذي لك الآن ليس هو زوجك هذا قلتِ بالصدق » ماذا يقصد بذلك ؟ لقد اتخذت المرأة خمسة أزواج شرعيين وماتوا . وبعد وفاة الأخير أصبحت المرأة زانية . ولذلك لم يعد أحد يريد أن

---

(٤) اي العطايا المادية.

يتخذّها امرأة شرعية . امّا هي فلم تستطعْ ان تضبط شهوات جسدها فاقترنت خفية برجل يزني معها . لم تكن زانية علنية ولا زوجة شرعية . كان لها رجل ولكن بالخفية . لقد ظنت انه يمكن لها أن تخدع المسيح كانسان ولذلك قالت له ليس لي زوج . لكن المسيح العالم بكل شيء كان يعرف خفايا قلبها . كان يعلم كل شيء حتى قبل حدوثه ولذلك قال لها : « حسناً قلتِ ليس لي زوج . . . »

● «قالت له المرأة : يا سيّد أرى أنك نبيّ . آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون ان في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجد فيه .

● قال لها يسوع يا امرأة صدّقيني انه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب أنتم تسجدون لما لستم تعلمون أما نحن فنسجد لما نعلم . لأن الخلاص هو من اليهود . ولكن تأتي ساعة وهي الآن[٥] حين الساجدون الحقيقيّون يسجدون للآب **بالروح والحق** . لان الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له . الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا .» **(يو ٤:١٩-٢٤)** .

أيَّ نبيّ تقصدين أيتها المرأة ؟ ذاك الذي كتب موسى عنه قائلاً : « يُقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من أخوتك » **(تث ١٨:١٥)** . هل تقصدين ذاك الذي يكشف أسرار قلبك ؟ . .. كما كان يقول داود النبي : « ومن خطاياي الخفية طهّرني » (مز ١٨:١٣) .

جلس الله نفسه مع امرأة يتحادث . يا لها من محبّة للبشر ! الجالس على الشاروبيم يكالم امرأة زانية . وهي الآن تناقشه في مواضيع عقائدية . عرفت انه نبي ولذلك لم تعد تطلب منه أيّة حسنة مادية . اعترفت به سيّداً ولم تطلب منه لا مالاً ولا خيرات أرضية أخرى . طلبت ان يُفسّر لها العقائد الآبائية : آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي ان يُسجد

(٥) هي الآن حاضرة بسبب وجود يسوع نفسه.

فيه » هذا لأن ابراهيم قدّم ابنه اسحق ضحيّة لله على الجبل المدعوّ صومر وفي أورشليم عندما كان يعقوب ذاهباً الى لابان السوري ، رأى في حلمه سلّماً تصل من الأرض الى السماء وصارع الله ولذلك كان يقول : « إن الله القدير تجلّى لي في لوز » (تكوين ٤٨ : ٣) .

ماذا قال لها بعد ذلك ؟ **لقد أجابها بالحكمة** التي يستطيع الله وحده ان يمتلكها ، **لم يُجِبها مباشرة على سؤالها كونه يهودياً وهي سامرية حتى لا يكذّبها** ولا يجعلها أكثر قساوة . هدفه الوحيد ان يجذب الخاطئة الى طريق الخلاص . لذلك لم يوجّه لها كلاماً قاسياً ولم يخجلها . لو قال لها مثلاً : نعم ينبغي السجود لله في أورشليم كما يوصي موسى لابناء اسرائيل، لكان جعلها أكثر قساوة . . . ولو تنازل وقال حقاً تسجدون لله في هذا الجبل لكان كلامه غير صادق . ولذلك تجنّب السبيلين وحاول أن يرشد المرأة الى سبيل أكثر روحانية في السجود لله . قال لها يا امرأة صدقيني انه تأتي ساعة وهي الآن حاضرة حين لا في هذا الجبل ولا في أورشليم يعبد الناس الله . لكن الساجدين الحقيقيين سوف يعبدونه بالروح والحق لأن الآب يطلب من مثل هؤلاء السجود والعبادة . الله روح والذين يعبدونه ينبغي ان يسجدوا له بالروح والحق . أرأيتَ ما هو السبيل التعليمي الأفضل ؟ أرأيت حكمة هذا المعلّم النابغة ؟ « **يا امرأة صدّقيني** » . انتبه هنا كيف يهيّء المرأة الى الإيمان . انتبه كيف يرفعها شيئاً فشيئاً الى السماء . لم يخجل من اللباس الذي ترتديه الزانية **لأنه كان ينظر الى خلاص نفسها** لماذا هذا ؟ لأنه لم يأتِ ليدعو صدّيقين الى التوبة بل الخطأة . لأنه بدون أن ينفصل عن أحضان الآب ومن أجل الخروف الضال انحدر الينا وأحنى السماوات وصار انساناً كاملاً وهو لم يزل الله كما كان من قبلُ .

* * *

لا يمكن حصر السجود والعبادة لله في مكان محدّد . لأن معرفة النعمة

الالهيّة منتشرة في كل مكان ... لقد بطلت عبادة الله عن طريق الذبائح الحيوانية . لم تعد عبادة الله مرتبطة بالختانة الجسدية ولا بحفظ السبت . لم تعد محصورة بالهيكل وبقدس الاقداس . إن ظلّ العبادة والسبوت ليست عبادة حقيقية لله : « رأس الشهر والسبت ونداء المحفل لا أطيقها . الصوم والبطالة ورؤوس شهوركم وأعيادكم كرهتها نفسي » (أشعيا ١:١٣-١٤) . لأنني لم أعد أطيق تقدمات أوّل الشهور مع حفظ السبت . لأن الساجدين لي بالروح والحقّ ينبغي الآن أن يسجدوا[٦] .

لقد عبرت تلك الأشياء وكأنها ظلال . لقد ضعفت وطأة الأوامر التي في الناموس لأن كل شيء أصبح جديداً . تبدّل اذاً وجه الأمور ولا نقبل بعد الآن من الذين يعبدون الله بالروح أن يجتمعوا فقط في مكان واحد معيّن كما يقضي الناموس القديم . إن عطية الخلاص ينبغي الآن ان تنتشر في كل المسكونة لأن « الى كل الأرض خرج صوتهم والى أقاصي الأرض انبثّ كلامهم » (مز ١٨: ٤) .

● « قالت له المرأة أنا أعلم أن مسيّا الذي يقال له المسيح يأتي فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء ● قال لها يسوع انا الذي أكلّمك هو » **(يو ٤: ٢٥-٢٦)** .

عجب كيف ان الزانية تظهر حكيمة في المسائل الروحية وتشترك في نقاش حول الكتب المقدّسة . لقد كانت غارقة بالكليّة في دنس الزنى هذا من جهة الجسد ولكن نفسها كانت مطهّرة بمطالعة الكتب المقدّسة ودراستها : « أنا أعلم أن مسيّا يأتي » . كلمة مسيّا تعني ممسوح (المسيح) . لذلك قالت المرأة أنا أنتظر مجيء ذلك الذي **جسده متوشّح بالالوهة** . « ومتى جاء ذاك يخبرنا عن كل

---

(٦) من هنا تطوّر العبادة من طقس خارجي الى طقس داخلي «الذبيحةُ لله روح منسحق» أصبحت العبادة روحيّة لا ترتبط لا بلغة ولا بمكان ولا بأمّة هذا لا يعني ان الانسان ليس بحاجة الى رموز وطقوس شرط أن يتعلّقوا بعمل الروح. والعبادة الحقيقية **عبادة روحية** لأن الله روح وحقّ.

شيء » آه ! ما أعجب روحانية تلك المرأة . انها على معرفة بكل شيء . أنظر كيف تصعد من أسفل دركات الخطيئة الى السماء وكأن معها أجنحة ! تدعو المُرسل من الله مسيّا ، المسيح المنتظر الآتي لخلاص العالم بأسره وتدعوه أيضاً نبيًّا وسيّداً . لم تعد تسمّيه يهودياً ، لم تعد تتكلّم عن نوعية الماء الذي سوف يُعطيه ، لم تعد تقول له : « كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية لأن اليهود لا يعاملون السامريين » . بل قالت له : « يا سيّد أرى أنك نبيّ » ، وبكلامها عن العبادة تتطرّق أيضاً الى المواهب الروحية ثم تتكلّم عن المسيح المنتظر؛ هذا هو الشخص الذي أطلبه ، الذي أنتظره ، الذي سوف يأتي . فقال لها يسوع « **أنا الذي أكلّمك هو** » . ما أعجبَ هذه الأمور الحاصلة على بئر يعقوب ! كل ما لم يقله الربّ للرسل هنا يكشفه جهاراً للزانية .

عندما كان سائراً مع الرسل على طريق عمواس لم يكشف لهم عن ذاته . وعندما انفتحت أعينهم غاب عن الأنظار حتى أنهم قالوا : « ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا اذ كان يكلّمنا في الطريق ويوضح لنا الكتب » (لوقا ٢٤ : ٣٢) . . . لم يكشف لهم عن نفسه بينما قال للمرأة « انا الذي أكلمك هو » . هذا ما فعله أيضاً مع بولس الرسول الذي صعد الى السماء الثالثة ، الذي خُطف الى الفردوس وسمع أقوالاً لا يُنطق بها ، الذي اصطاد المسكونة بأسرها في شبكته . لقد فعل معه ما فعله مسبقاً مع السامري : « شاول ، شاول لماذا تضطهدني صعب عليك ان ترفس مناخس . فأجابه بولس : من أنت يا سيّد . فقال أنا يسوع الذي أنت تضطهده » (أعمال ٢٦ : ١٤) . هكذا بالضبط ما يفعل الرب الآن مع السامرية : « **أنا الذي أكلمكِ هو** » .

● « وعند ذلك جاء تلاميذه وكانوا يتعجّبون انه يتكلّم مع امرأة ولكن لم يقل أحد ماذا تطلب أو لماذا تتكلّم معها . فتركت المرأة جرّتها ومضت الى المدينة وقالت للناس هلموا انظروا انساناً قال لي كلَ ما فعلت ألعل هذا هو المسيح . فخرجوا من المدينة وأتوا اليه . . . فآمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين

بسبب كلام المرأة التي كانت تشهد انه قال لي كل ما فعلت . فلما جاء اليه السامريّون سألوه ان يمكث عندهم . فمكث هناك يومَيْن . فآمن به اكثر جداً بسبب كلامه . وقالوا للمرأة اننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن . لاننا نحن قد سمعنا ونعلم ان هذا هو بالحقيقة المسيحُ مخلص العالم .» (**يو ٤:٢٧–٣٠ . . . ٣٩–٤٢**)

كانوا يتعجّبون انه يتكلّم مع امرأة . ذاك الذي تسجد له الملائكة يتحادث مع امرأة زانية . ذاك الذي لا نهاية لملكه مع أبيه يتكلّم على انفراد مع امرأة . أمّا هي فبعدما تركت جرّتها وملأتها من ماء الحياة مضت الى المدينة وقالت للناس بصوت قويّ « هلموا انظروا انساناً قال لي كل ما فعلت ألعلّ هذا هو المسيح » . لم تقل : هلموا انظروا الهاً فيما بين البشر حتى لا يظنّ الناس أنها جنّت ولا تعرف ما تقول . لأنه متى شاهد أحد الهاً يسير فيما بين البشر ؟ « هلموا انظروا انساناً قال لي كل ما فعلت » بهذا الكلام تولّد في نفوسهم الرغبة في الخروج فيسقطون هم بدورهم في شرك الصيّاد وكما علقت هي أوّلاً في الشبكة كذلك تلتقط بدورها الآخرين . لقد دعت المسيح في البداية « يهودياً » ثم دعته « سيّداً » هكذا فانها الآن ترشد الآخرين الى معرفته أوّلاً كانسان ومن ثم الاعتراف به كآله .

عجباً كيف أضحت الزانية رسولة ! لقد أضحت أشدّ عزماً من الرسل لأن هؤلاء بعد اتمام التدبير الالهي وحلول الروح القدس بدأوا كرازتهم الرسولية بينما الزانية قبل الآلام وقبل اتمام التدبير الالهي وقبل القيامة تكرز بالمسيح : « هلموا انظروا انساناً قال لي كل ما فعلت » . أدين جهاراً خطاياي لكي ارشدكم الى الخلاص . لكي تروا أنتم أيضاً الله الذي أتى عند البشر وهو يكلّمني عمّا فعلت من الشرور ، لكي تسجدوا للمسيح الذي لا يُبعد عنه الخطأة . أنظروا الى حكمة تلك الزانية[٧] . أنظروا الى اعترافها بالجميل . لقد أظهر لها المسيح خطيئة واحدة

---

(٧) انها جذبت أهل المدينة إليه بتوبتها العلنية.

فتركت جرّتها وأسرعت الى المدينة تقول : « هلموا انظروا انساناً قال لي كل ما فعلت » . تعترف علناً بالله العارف بكل شيء ، تُصبح أشدّ عزماً من الرسل . لم تره بعد القيامة من الأموات ، لم تره عندما صوّت بلعازر الرباعي الأيّام لكي يخرج من القبر . . . لم تشاهد البحر يسكن بكلمة واحدة منه ، لم تشاهده عندما جبل آدم ، لم تره عندما أعاد النظر الى الأعمى بعدما مسح عينيه بالطين . وهي الآن بكلامها تكرز علناً . بخزّاف الفردوس (الذي جبل آدم من التراب) فآمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب كلام المرأة التي كانت تشهد انه قال لي كل ما فعلت .

* * *

● الخلاصة :

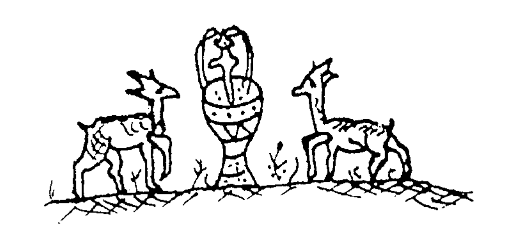
فلنقتد اذاً بهذه المرأة السامرية ولا نخجلنّ من الناس بل من خطايانا ولنخافنّ الله . أرى اليوم أننا نفعل عكس ذلك . لا نخاف من ذاك الذي سوف يديننا في ساعة المحاكمة الآتية . نرتعد بالأحرى امام الناس ونخجل منهم . ولذلك سوف ندان على ما نخاف منه امام الناس . لأن الذي يخاف من الناس من أجل خطاياه ولا يخجل أن يفعلها خفية في حضرة الله ولا يريد أن يعترف بها ويتوب من أجلها ، سوف تشهّر اعماله في تلك الساعة (ساعة الدينونة) لا امام واحد أو اثنين بل امام المسكونة بأسرها . فلنبادرنّ الى المسيح (بالتوبة) لأنه وفي هذه اللحظة حاضر فيما بيننا وهو يكلّمنا بواسطة الانبياء والرسل .

لنسمع إذاً كلماته ولنعمل بها . الى متى نعيش حياة باطلة . لأنه بعد مضي هذا الزمن الحاضر سوف نطالب عن أعمالنا . لقد جلبنا الله الى هذا العالم وأعطانا نفساً عاقلة لا لكي نمضي الوقت في عيش أرضي فقط بل وأيضاً لنجهد في اكتساب الحياة الآتية . عندنا نفس غير مائتة تحثنا على ان نفعل كل ما يلزم

من اجل ربح الحياة المستقبلة حيث نبتهج ونرقص مع الملائكة أمام الملك الذي لا يموت الى دهر الداهرين.

من أجل ذلك كُوِّنت النفس ازلية والجسد سوف يكون أيضاً أزلياً. عندما تظلّ ملتصقاً بالأمور الأرضية بينما تقدّم لك الكنوز السماوية أنظركم من الازدراء توجّه أمام ذاك الذي يعطي كل هذه الخيرات. لذلك نبّهنا الانجيل بالعقاب الأبدي وبجهنّم النار عند ازدرائنا به وبالخيرات الأبدية. نرجو ان لا نذوق مثل هذا الهلاك بل فلنجهد منذ الآن في أرضاء الله بأعمالنا الصالحة لكي نربَح الخيرات الأبدية بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح الذي يليق له المجد والقدرة مع الآب والروح المحيي الآن وكل أوان والى دهر الداهرين آمين.

كما يشتاق الايّل الى ينابيع المياه
هكذا تشتاق نفسي اليك يا الله



الأعمى

(يوحنا ٩: ١- ٣٨)

«اني أتيتُ اليك أيها المسيح بعيني نفسي
العمياء كالاعمى منذ ولادته وأصرخ اليك
بتوبة: انت هو النور الفائق الضياء للذين
في الظلام» (من خدمة الاحد)

نيكيفوروس ثيوطوكس

• مقدّمة

ان الفصل الانجيلي الذي يُتلى في مثل هذا اليوم يتضمّن أمرين مستغربين. اوّلهما فتح عيني المولود من بطن امّه أعمى. والثاني اعتساف الفريسيين الحسودين عن محجّة الصواب اعتسافاً عظيماً. أمّا الأوّل فهو أعجوبة عظيمة وباهرة تفوق جميع قوى الطبيعة. وأمّا الثاني فهو حكم عقلي يبعد بعداً قاصياً عن الصواب لأنه مخالف لقوى الانسان العقلية التي بها يحكم ويميّز. والأعجوبة اجترحتها قوّة المسيح الإله والانسان معاً. وامّا حكم الفريسيين الفاسد فكان مصدره داء الحسد. فالمخلّص قد أنار الأعمى والحسد قد أعمى الفرّيسيين ذوي العينين. **يسوع فتح عيني الأعمى والحسد أغلق عيني المبصرين**[1]. فافتحوا اذهانكم أيها المسيحيون المباركون لاستماع تفسير هذا الفصل الانجيلي الشريف لكي **تروا أن الأهواء النفسانية تُظلم بصيرةَ الانسان على قدر ما ينير**

(١) نور المسيح هو موضوع فصحي رئيسي.

الله **ذهنه** . ولتعلموا ان بعض الناس في هذا العالم يُصابون بالشدائد لكي يتمجّد بهم الله تعالى .

● « في ذلك الزمان بينما كان يسوع مجتازاً رأى انساناً أعمى منذ ولادته » **(يو ٩ : ١)** .

انه بينما كان يسوع هارباً من الهيكل لأن اليهود كانوا يطلبون ان يرجموه ومجتازاً في الطريق رأى انساناً مولوداً من بطن أمّه أعمى . لكن ما هي يا ترى كيفية عمى هذا الانسان . هل كان جفناه مفتوحين ومقلتا عينيه مضرورتين او كان جفناه مغلقين كلّياً ومقلتاه صحيحتين . او كان جفناه مغلقين ومقلتاه مضرورتين . أو لم يكن له لا جفنان ولا مقلتان ولا علامة عينين كما قال بذلك واحد من قدماء الشرّاح . ان الانجيلي يقول بعيد ذلك « وفتح عينيه » الأمر الذي منه يتضّح ان الأعمى كان له عينان لكنَّ جفنيه كانا مغلقين . ويؤيّد قوله بعيد ذلك أيضاً « كيف انفتحت عيناك » وقوله ايضاً «فتح عينيك» (يو ٩ : ١٠و١٧) . وقد أغفل البشير وصف العينين العمياوَين لأن مجرّد قوله « أعمى منذ ولادته » من شأنه ان يمثّل أهمية الأعجوبة . ولما نظر تلاميذ الرب هذا الأعمى للحال طرحوا عليه مسألة بشأنه :

● « فسأله تلاميذه قائلين يا معلّم من أخطأ هذا الأعمى أو أبواه حتى وُلد اعمى » **(يو ٩ : ٢)** .

ان التلاميذ قد سألوا المخلّص قائلين يا معلّم من أخطأ هذا الأعمى أم أبواه حتى وُلد أعمى . فلا يُخفى أن هذه المسألة هي عسرة الادراك لأنه اذا كان الاعمى قد وُلد من بطن أمّه أعمى فمتى أخطأ حتى يولد أعمى قصاصاً عن خطيئته . فانه قبل ان يولد لم يكن في عالم الوجود وبالتالي لم يكن ممكناً ان يُخطئ . غير ان قول البشير أيضاً « ام ابواه » يظهر غير موافق ان يصدر من أفواه الرسل . لأنهم كانوا متعلمين من الكتاب الآلهي انه تعالى **لا يعاقب أحداً**

بخطايا أبويه بل كلٌّ يُعاقب بخطاياه الذاتية كما قال الله بفم حزقيال النبي « النفس التي تخطئ هي تموت » (حز ١٨ : ٤) فلا ريب بان الرسل قد ألقوا هذا السؤال على المخلّص بحسب رأي الفريسيين واستناداً الى المثل الدارج بين اليهود . فان الفرّيسيين كانوا يعتقدون بالتناسخ . أعني انهم كانوا يؤمنون ان نفس الانسان بعد الموت تدخل في جسد آخر لتتطهرّ من خطاياها فاستناداً الى هذا الرأي البعيد عن الصواب ، كان قد خالج الرسل الظن ان هذا الأعمى كان صحيح العينين حينما وُلد اوّل مرّة . لكنه قد أخطأ في جسده الاوّل فلما ولد ثانية وُلد أعمى ليُعاقَب فيتطهر من خطاياه السابقة . أمّا المثل الدارج بين اليهود الذي أشرنا اليه آنفاً فهو هذا « الآباء أكلوا الحصرم واسنان الاولاد ضرست » (حز ١٨ : ٢) . وكان كثيرون من اليهود يعتقدون بصدق هذا المثل مع أنّه تعالى قد أكّد لهم بقسم بواسطة حزقيال النبي انه لا يمكن أبداً ان يروا تمامه بالفعل اذ قال : « حي انا يقول الرب لا يكون لكم من بعد ان تضربوا هذا المثل في اسرائيل » (حز ١٨ : ٣) . فمن هنا يتضح لنا أصل السبب الباعث لتلاميذ المخلّص على أن يسألوه قائلين : هذا أخطأ أو أبواه » .

فاسمعوا الآن ماذا أجاب على ذلك فادينا الآله المتأنس :

● « أجاب يسوع لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه » **(يو ٩ : ٣)** .

ان مخلّصنا الكليّ الحكمة بجوابه هذا الوجيز قد قوّض أركان الزعم الضلالي الذي كان عند اليونانيين والفرّيسيين ونبذ الرأي الزائغ عن الحق الذي كان يقول به اليهود . فانه قال لا هذا اخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه . وما هي أعمالُ الله التي ظهرت في الأعمى ؟لقد ظهر فيه اقتدار الله الذي حوّل ظلمته الى نور . وظهرت فيه القوّة الابداعية التي من طين وتَفْل عينين نيّرتين . وإن قلتَ أكلّ هذا الضرر قد حاق بالاعمى لتظهر أعمال الله فيه ؟ أجبتك وما هو هذا الضرر العظيم الذي يجسّمه لك الوهم . فانه من المعلوم ان الانسان الذي

يولد أعمى ولا يدرك فائدة النور يشعر بضَنْك أقلّ جداً ممّا يشعر به انسان كان صحيح العينين ثم فقد البصر . نعم إنه ولد أعمى غير انه فيما بعد حصل على مكافأة عظمى بالنسبة لما احتمله من الضنْك القليل الذي لم يكن يشعر به تقريباً . فانه قد حصل على عينين جسديتين بهما أبصر ما في العالم . وعلى عينين نفسانيتين بهما عرف مبدع الاكوان . **وعليه فعمى عينيه الجسديتين قد صار سبباً لانارة عينيه النفسانيتين** . واذا تأمّلتَ جيداً ترى أن اولئك الذين لهم عينان صحيحتان ولم يؤمنوا قد حاق بهم ضرر اكثر ممّا أصاب الأعمى الذي استنار وآمن . ثم ان المخلص بعد ان حل مسألة الرسل بجوابه هذا أردف ذلك بقوله :

● « ينبغي أن أعمل أعمالَ الذي أرسلني ما دام نهار . يأتي حين لا يستطيع أحد ان يعمل » **(يو ٩ : ٤)** .

لكي يمكنك ان تفهم أقوال المخلّص هذه يجب ان تعلم ان لفظة نهار تدلّ هنا على مدة أيام حياته في العالم . كما تدل لفظة « يومي » على ذلك أيضاً في قوله « ابراهيم أبوكم تهلل لكي يرى يومي » (يو ٨ : ٥٦) وأمّا لفظة ليل فقد عنى بها موته الجسدي وانفصاله كانسان عن هذا العالم . وهذا المعنى نفسه قد اكّده بالأقوال الآتية « النور معكم زماناً قليلاً بعد فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام »(يو ١٢ : ٣٥) . وما قاله عن نفسه يليق أن يُقال عن كل انسان . فإن نهار الانسان هو مدة أيام حياته وليله هو نهاية حياته وموته . فمعنى كلام المخلّص أنا في مدة ايام حياتي في العالم ينبغي ان أعمل أعمال الله أبي الذي أرسلني الى العالم . أعني الكرازة بالايمان والعجائب الخيرية . ويأتي ليل اي سيوافي الموت وحينئذ لا يستطيع احد ان يعمل أعمال الفضيلة . ولاحظ هنا انه لم يقلْ حين لا أستطيع انا أن أعمل بل قال حين لا يستطيع احد ان يعمل . لأنه عزّ وجلّ وبعد موته الجسداني وقيامته من الاموات والى الآن يعمل التوسّلات والشفاعات الى أبيه من أجلنا ويتحنن علينا ويبرّرنا ويؤكّد كرازة الايمان ويجترح العجائب . واما

تتعطل والاتعاب في سبيل الفضيلة تذهب سدى. وكيفما وُجدنا في ساعة الموت هكذا نبقى. ولما كان العمل الالهي الذي كان مخلصنا مزمعاً ان يجريه في ذلك الحين فوراً هو انارة الأعمى لأجل هذا جعل كلامه على النور فقال:

● «ما دمتُ في العالم فأنا نور العالم» (**يو ٩: ٥**).

ان مخلصنا بحسب كونه آلهاً ليس فقط هو نور العالم الدائم فيشرق الشمس والنجوم على العالم ويخلق نواظر البشر والحيوانات التي في العالم وينير بطريقةٍ غير منظورة كلَ انسان آتٍ الى العالم بل ولما كان كانسان سالكاً في العالم كان نور فضيلة ساطع الضياء نور عجائب باهراً نوراً منيراً لعيون العميان نور ايمان مقدّساً قد انار وقدّس كثيرين. ثم انه بعدما علّم بالقول انه هو نور العالم أوضح على الفور بالفعل أيضاً **انه هو صانع النور** وواهبه وهو الذي أنار جنس البشر.

● «قال هذا وتفل على الارض وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عيني الاعمى» (**يو ٩: ٦**).

اما كان مخلصنا قادراً ان يهب النور لهذا الأعمى أيضاً بكلمته فقط كما فعل مع بارتيماوس قائلاً له: «ايمانك خلّصك» (**مر ١٠: ٥٢**). نعم كان قادراً على ذلك لأنه كليّ الاقتدار وليس من المؤمنين من يشكك في ذلك. فلماذا والحالة هذه قد صنع طيناً من تفله ومن التراب وطلى به عيني الأعمى؟ لكي يرى **إنه جابل الانسان وخالقه**. وكما انه في حين التكوين أخذ تراباً من الأرض وجبل جسم الانسان هكذا وفي حين اعطاء النور أخذ طيناً وجبل عيني الاعمى. في حين التكوين نفخ في التراب (اي في جسم الانسان) فاعطى الانسان نفساً وحياة والآن تفل على التراب فأعطى الأعمى نعمة وقوة منيرة هناك تراب وهنا طين. هناك نفخة وهنا تفلة. هناك جبلة الانسان وهنا انارة الأعمى. والخلاصة أنه تفل وصنع طيناً لكي بمشابهة الاشياء يبيّن انه **هو نفسه مبدعُ الانسان والنور**

(**الخالق**) . ويُحتمل ان هذا الاعمى منذ ولادته لم يكن له مقلتان بالكلية فلكي لا يبدعها من لا شيء وضع الطين وبقوّة تفله حوّله الى مقلتين . وأيضاً قد تفل ليظهر ان بصاقه أيضاً كان فيه قوّة الشفاء كما كان ذلك في أكمام واذيال ملابسه أيضاً . فقد طلى عيني الأعمى .

● وقال له اذهب واغتسل في بركة سلوام[٢] (الذي تفسيره مُرسل) فمضى واغتسل واتى بصيراً » (**يو ٩ : ٧**) .

إن عين سلوام كانت تنبع من أسوار اورشليم الشرقية وتصب في بركة كبيرة جداً لينتفع السكان بمائها . وكانت هذه البركة تسمى بركة سلوام . فإلى هذه البركة قد أُرسل الأعمى من السيد ليغتسل فيها . لكن ما هي الضرورة الداعية لهذا الاغتسال ؟ ألعلّ ماء هذه البركة كان قادراً ان يفتح عينيْ الاعمى ؟ كلا فلماذا اذاً قد ارسله إليها ؟ لكي تشتهر الاعجوبة اكثر ويعرفها الجميع فتسلم من كل ريب وشبهة . لأن جميع الذين صادفوا الاعمى في الطريق قد رأوه مطلي العينين . وذاهباً الى البركة وشاهده كذلك الناس الذين كانوا في البركة ثم رأوه فيما بعد راجعاً ومَشفياً . وأيضاً قد أرسله الى البركة ليمتحن ايمانه وطاعته . ان نعمان السرياني لم يؤمن ولا أطاعَ كلام أليشع عندما أمره أن يغتسل في الأردن . ولم يقتنع الّا بعد أن بذل عبيده نحوه قصارى جهدهم . وامّا هذا الاعمى فامتثل حالاً أمر الرب وآمن بانه ينال النور بالاغتسال . ويوجد أيضاً لارسال الأعمى على هذا المنوال الى بركة سلوام سبب آخر روحي وسرّي . وتوضيحه ان بركة سلوام التي تفسيرها المُرسل تدلّ على يسوع المسيح المُرسل من الله الآب الذي قال « كما أرسلني الآب كذلك أنا أرسلكم » (يو ٢٠ : ٢١) وعلى هذا البناء

---

(٢) يشير الانجيل نفسه ان كلمة سلوام تعني «مرسل». تجري مياه سلوام كما يقول النبي أشعيا ٨:٦ بصورة هادئة عكس مياه أشور المضطربة. وكانت هذه المياه بصلة مع نفق تحت الارض مع ما يسمّى اليوم «بنبع العذراء» هذه الكلمات هي موضوع تأمل للرمزيين. نحن غير ملزمين بقبولها ولكن لا نستطيع ان نضحدها.

يُسمى أيضاً رسولاً كما قال بولس الرسول «لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته يسوع المسيح» (رو ٣: ١). وأمّا الاعمى فيمثل الطبيعة البشرية بأسرها التي بالخطيئة قد فقدت النور الروحي وفي حالة عماها هذا كانت تعبد الخليقة دون الخالق. ثم استنارت بنعمة المسيح. ولذلك كمن شخّص المسيح قال النبي: «لابشّر المساكين أرسلني لاشفي المنكسري القلب لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعميان بعود البصر» (اش ٦١: ١). **وأمّا مياه بركة سلوام فكانت رسماً سالفاً لماء المعمودية المقدّسة**. لأنه كما أن الأعمى لما اغتسل فيها فارقه العمى وحصل على البصر هكذا والمعمَّدون في ماء المعمودية يتجرّدون من الخطيئة ويلبسون استنارة النعمة الآلهية. ولهذا تدعى المعمودية المقدّسة استنارة. فالاعمى قد اغتسل في بركة سلوام وبعد ان كان أعمى رجع معافى وبصيراً.

● «فالجيران والذين كانوا يرونه قبلاً انه كان اعمى قالوا أليس هذا هو الذي كان يجلس ويستعطي. آخرون قالوا هذا هو. وآخرون انه يشبهه. واما هو فكان يقول إني أنا هو» **(يو ٩:٨-٩)**.

ان جيران الاعمى وجميع الذين كانوا يرونه ويعرفونه أعمى لما رأوا عينيه مفتوحتين. وشاهدوه بصيراً كانوا يتعجبون ويتساءلون قائلين: أهذا هوالاعمى الذي كان جالساً يستعطي. اما البعض فقالوا انه هو نفسه وآخرون قالوا انه شخص يشبهه. وأما هو فكان يشهد صارخاً: انا الذي كنت قبلاً أعمى. وهنا نلاحظ ان البشير عن قصد قال انه كان يجلس ويستعطي. مريداً ذلك ان يبيّن انه كان بائساً ومحتاجاً جداً حتى اضطر ان يجلس في الطريق ويطلب صدقة. وذلك لكي يُظهر حنو ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر التي لا يحدها وصف. فانه تمجّد اسمه لم يكن يهمل حتى ولا أحقر البشر بل كان يعتني بهم موجهاً اليهم مراحمه ومحسناً اليهم أبوياً، ليعلّمنا ان نُشفق نحن أيضاً على الفقراء ونرحم البائسين. فلمّا تحقق جيران الاعمى ومعارفه انه هو بالحقيقة ذاك الذي كان قبلاً أعمى سألوه كيف حصل على الشفاء فقالوا له:

● « كيف انفتحت لك عيناك » ؟ (**يو ٩ : ١٠**) .

الظاهر ان جفني عيني الاعمى كانا قبلاً مغلقين . ولأجل هذا كانوا يقولون له كيف انفتحت لك عيناك . ويُحتمل ان معنى ذلك كيف عاد اليك البصر . كيف شُفي داء عينيك . كيف تُبصر الآن وقد كنت قبلاً أعمى ؟

● « أجاب ذاك وقال انسان يُقال له يسوع صنع طيناً وطلى عينيَ وقال لي اذهب الى بركة سلوام واغتسل . فمضيتُ واغتسلتُ فأبصرتُ فقالوا له اين هو ذاك . فقال لا أعلم » (**يو ٩ : ١١–١٢**) .

إن الاعمى بصراحة كلّية وبكلام وجيز أظهرَ مَن هو طبيبه وطريقة شفائه . إن سؤالهم هذا كان على سبيل الازدراء . فانهم لم يقولوا اين هو ذاك الانسان الصانع العجائب او اين ذاك الذي فتح عينيك ؟ او على الاقل اين هو يسوع . بل قالوا فقط أين هو ذاك . ومن هنا يتضح أنهم ليس عن ورع بل عن خبث كانوا يسألون لكي متى عرفوا من هو الطبيب يسلموه الى الحكومة كمحتقر السبت . ومما يؤيد ذلك هو اتيانهم بالاعمى الى الفرّيسيين .

● « فأتوا الى الفريسيين بالذي كان قبلاً أعمى » (**يو ٩ : ١٣**) .

لقد أتوا بالشخص الذي كان قبلاً أعمى وأوقفوه أمام الفريسيين ليستنطقوه في الاعجوبة وفي مجترحها لأنها صارت يوم السبت .

● « وكان سبت حين صنع يسوع الطين وفتح عينيه » (**يو ٩ : ١٤**) .

إن البشير قد عيّن أيضاً اليوم الذي فيه صنع يسوع الطين لكي يوضح ان اليهود هاجوا وماجوا اذ أخذ منهم الغضب كل مأخذ لأن الرب في يوم سبت صنع طيناً وطلى عيني الأعمى منذ مولده بل والرجل الذي كانت يده يابسة (متى ١٢ : ١٠) والمرأة المنحنية (لوقا ١٣ : ١٤) والانسان المستسقي الذي أبراه في بيت الفرّيسي (لوقا ١٤ : ٤) والمخلع الذي كان في البركة الغنمية (يو ٥ : ٩) لكي

يصلح وساوس اليهود واوهامهم الترفّضية في ما يتعلّق بالسبت وليبيّن انه هو ربّ الشريعة والسبت وسيدها . وعليه فلما كان اليهود يتقمقمون عندما رأوا تلاميذه يقطفون السنابل يوم السبت وبّخهم قائلاً : « السبت انما جعل لأجل الانسان لا الانسان لأجل السبت » (مر ٢ : ٢٧) وقال أيضاً في موضع آخر « لأن ابن الانسان هو ربُ السبت أيضاً » (متى ١٢ : ٨) .

● « فسأله الفرّيسيون أيضاً كيف أبصر . فقال لهم وضع طيناً على عينيّ اغتسلتُ وانا أبصر » **(يو ٩ : ١٥)** .

اول من سأل الأعمى عن كيفية شفائه الجيران والذين كانوا حاضرين ثم بعد ذلك سأله ايضاً الفريسيون وامّا الاعمى فلم يخفْ ولم يجزع بل كرّر ما قاله قبلاً ولكن باختصار اكثر لأنه قد ضرب صفحاً عن ذكر اسم يسوع ولم يقل انه صنع طيناً وقال لي اذهب الى بركة سلوام واغتسل . وربما عمل هكذا لكي لا يخوّل الفرّيسيين سبباً أعظم للطعن في يسوع المسيح بانه صنع عملاً في يوم السبت . ويحتمل أيضاً ان الأعمى لما سمع اولئك الذين ساقوه الى الفريسيين قد سردوا عليهم ما كان قد شهد به قبلاً أجاب بايجاز أكبر . العل البشير قد كتب فقط ملخّص جواب الاعمى للفريسيين لانه كان قد دوّن بالتفصيل جواب الاعمى الى جيرانه .

● « فقال قوم من الفريسيين هذا الانسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت . آخرون قالوا كيف يقدر انسان خاطىء ان يعمل مثل هذه الآيات وكان بينهم انشقاق » **(يو ٩ : ١٦)** .

ان قوماً من الفريسيين الأردياء منهم والحسودين والمترفعين قالوا إن يسوع المسيح بما انه لا يحفظ السبت ليس هو انساناً مُرسلاً من الله . وآخرون كانوا أحسن أخلاقاً واكثر تعقلاً من اولئك فقالوا كيف يقدر انسان مخالف الشريعة وخاطئ ان يعمل مثل هذه العجائب الباهرة ومن ثم فقد صار بينهم انشقاق

وانقسام . وقد أوصلهم الوهم والحسد الى حالة رديئة جداً حتى انهم حال كونهم معلّمين والناموس بين أيديهم لم يخجلوا ان يسألوا الاعمى الجاهل المستعطي ماذا يقول هو في يسوع ومن يظن انه هو .

● « قالوا أيضاً للأعمى ماذا تقول أنت فيه لأنه فتح عينيك . فقال انه نبي » **(يو ٩ : ١٧)** .

ان الفرّيسيين قد سألوا الأعمى ليس عن رغبة في أن يعلموا من هو المسيح . بل من حيث انهم قالوا قبلاً ان هذا الانسان ليس هو من الله لأنه لا يحفظ السبت . وقد سمع الاعمى هذه الاقوال . فقد سألوه بجدّ لكي هو أيضاً يشجب المسيح كمخالف للشريعة . وهكذا تُخفىَ وتُحقّر تلك الأعجوبة . بل على ان الأعمى قد بقي ثابت العزم فلم يجزع البتة بل بكل جسارة قال أنا أقول أن ذاك الذي وهبني نور عيني هو نبي . ولا يبعد انه كان يعلم ان الانبياء هم حائزون على موهبة العجائب .

« فلم يصدق اليهود انه كان أعمى فأبصر **حتى** دعوا أبويّ الذي أبصر » **(يو ٩ : ١٨)** .

ان اليهود لم يصدقوا حتى دعوا أبوي الاعمى . وهل صدّقوا حينئذ . أي عندما دعوا أبوي الأعمى وتحققوا منهما ؟ كلّا . بل بعد ذلك كلّه أيضاً لبثوا غيرَ مصدّقين كما يظهر ذلك من الاقوال الانجيلية التالية . وهنا يليق بنا ان نذكّر القارئ ان لفظة « حتى » وما شاكلها من الحروف مثل « إلى » و « إلى ان » لا تدلّ دائماً بموجب إصطلاح الكتاب الآلهي على زمان محدود ومنتهٍ . بل على زمان غير محدود وغير منته . ويؤيد ذلك ما جاء فيه عن الغراب « فخرج ولم يرجع حتى نشف الماء عن الارض » (تك ٨ : ٧) وقول داود النبي . « اجلس عن يميني حتى أضع اعداءك موطئاً لقدميك » (مز ١٠٩ : ١٠) وقول الانجيلي « لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر » (مت ١ : ٢٥) وقوله أيضاً « ها انا معكم كل

الايام حتى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠). فان الغراب لم يرجع أبداً الى الفلك وابن الله يجلس دائماً عن يمين عرش الجلالة في الاعالي ووالدة الآله الكلية القداسة هي دائمة البتولية. وربنا يسوع المسيح ليس فقط حتى انقضاء الدهر هو مع الرسل والصدّيقين بل وبعد ذلك الى أبد الدهور غير المنتهية. اما الفرّيسيون فقد دعوا ابوي الاعمى على امل انهما سيخافان بأسهم وسطوتهم فيكتمان خبر الأعجوبة.

● «فسألوهما قائلين أهذا أبنكما الذي تقولان أنتما انه ولد أعمى. فكيف يبصر الآن» **(يو ٩: ١٩)**.

لقد سألوهما بمكر لكي يخيفوهما فينكرا الحقيقة. فانهما قد قالوا لهما «الذي تقولان انتما انه ولد أعمى» فكأنهم قالوا لهما بعبارة اخرى أنتما أبواه تقولان أنه ولد أعمى. ولكن لا نحن ولا غيرنا يقتنع بهذا. على أن الفريسيين المنكودي الحظ كانوا في ضلالة يعمهون. وقد فاتهم ان الحقيقة بنت البحث. وإن الحق يسطع ويظهر كلما بحثت فيه اكثر فاكثر. أما هم فكانوا يأملون أنهم بواسطة بحثهم هذا يجدون طريقة لاخفاء الأعجوبة. على أن سهمهم قد أخطأ الغرض. لانهم فيما كانوا يبحثون في هذه المسألة اكثر كانوا يؤيّدون الأدلّة والبراهين على وقوع الأعجوبة بكل تأكيد ويبينون أنها على جانب عظيم من الغرابة.

● «أجابهم أبواه وقالا: نعلم أن هذا ابننا وأنه ولد أعمى. وامّا كيف يبصر الآن فلا نعلم. او من فتح عينيه فلا نعلم. هو كامل السن اسألوه فهو يتكلم عن نفسه» **(يو ٩: ٢٠- ٢١)**.

ان أبوي الاعمى قد اعترفا بإنه هو ابنهما وبأنه ولد أعمى. غير انهما قالا انهما لا يعلمان كيف شفي ومن أبرأه. ثم قالا ان ابننا هذا هو كامل السن فاسألوه عن ذلك. ولكن هل كان أبوا الأعمى بالواقع يجهلان كيف ومن أبرأ

ابنهما . كلا بل كانا بلا محالة يعلمان ذلك . لكنهما ادعيا الجهلَ خوفاً من اليهود .

« قال أبواه هذا لانهما كانا يخافان من اليهود . لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا انه اذا اعترف احد بانه المسيح يُخرج من المجمع . لهذا قال أبواه انه كامل السن اسألوه » **(يو ٩:٢٢–٢٣)** .

أرأيت كيف يطرد الخوف الصدق من فم الانسان ويأتي بالكذب . وقد كان أبوا الاعمى يخافان من اليهود . لأن هؤلاء كانوا قد اتفقوا سابقاً ان كل من يعترف بأن يسوع هو المسيح ماسيا المنتظر يُطرد حالاً من مجمعهم . ولما رأى الفريسيون أنهم لا بواسطة الأعمى ولا بواسطة أبويه تمكنوا من الفوز بمرغوبهم . عادوا فدعوا الذي كان أعمى .

● « فدعوا ثانية الانسان الذي كان أعمى . وقالوا له أعطِ مجداً لله . نحن نعلم ان هذا الانسان خاطئ » **(يو ٩ : ٢٤)** .

لما رأى الفريسيون أنهم لم يقدروا ان يخفوا الاعجوبة استعملوا طريقة أخرى . هي طريقة الرياء والغش . فانهم لم يقولوا للاعمى صريحاً وبوقاحة أنكر ان المسيح قد أبرأك . بل بذلوا قصارى الجهد ليقنعوه بطريقة ريائية وتحت صورة التقوى ان يسوع المسيح كمخالف للشريعة هو انسان خاطئ . فقالوا له اعطِ مجداً لله لأنه هو الذي أعطاك نور عينيك . واما المسيح فلم يعلم شيئاً . وهو لم يبرئك لأننا نحن نعرف ان هذا الانسان خاطئ لأنه يحتقر السبت . ارأيت حماقتهم وغباوتهم . يأمرون الأعمى أن يمجّد الله لاجل الحادث العجيب ويشجب يسوع المسيح الذي اجترحه كمخالف للشريعة وخاطئ .

● « فأجاب ذاك وقال اخاطئ هو لست أعلم . انما اعلم شيئاً واحداً أنني كنت أعمى والآن أبصر » . **(يو ٩ : ٢٥)** .

هل شكك الاعمى أو خاف ولهذا قال اخاطئ هو لست أعلم . كلا . لان

هو نفسه اعترف امام الفرّيسيين أيضاً ان المسيح هو نبي . وامّا ليسوع المسيح فقال « اؤمن يا رب وسجد له » (يو ٩ : ٣٨) . ولكن من حيث أن الفريسيين كانوا معلمي الشريعة . وهو كان انساناً أمياً . قد اعترف بانه لا يعرف أخاطئ هو المسيح أو بار . فأبطل المشاجرة في ذلك بالكلام واكدّ بتصديقه على العجيبة الباهرة الصائرة فيه ان المسيح هو كلّي الاقتدار . لأنه قال أخاطئ هو المسيح ام بار لست أعلم بل أعلم انه هو وهبني النور . فجوابه هذا قد أخزى الفريسيين أعظم خزي حتى شرعوا ثانية في أن يسألوا ماذا صنع يسوع وكيف فتح عينيه .

● « فقالوا له أيضاً ماذا صنع بك . كيف فتح عينيك » ؟ **(يو ٩ : ٢٦)** .

ان البحث المدقّق والمكرر مراراً هو جيّد متى كان لغاية حميدة لأنه يحقق المسألة المبحوث عنها (والحقيقة بنت البحث) على ان الفرّيسيين كانوا بغش يكررون الأسئلة على الأعمى رجاء انه إما يسهى عن أحد ظروف المسألة التي سردها قبلاً فتسقط شهادته ، وإما يذكر أيضاً جبل الطين والطلي والاغتسال فيشهرون عدم حفظ السبت ويحكمون على يسوع بعدم حفظ الناموس . ولكن اسمعْ بكمْ من التعقّل قد جاوبهم الاعمى وأوّل سؤالهم الثاني على نوع خيري .

● « أجابهم قد قلتُ لكم ولم تسمعوا لماذا تريدون ان تسمعوا أيضاً . العلكم وانتم أيضاً تريدون ان تصيروا له تلاميذ . فشتموه وقالوا أنت تلميذ ذاك وأمّا نحن فاننا تلاميذ موسى » **(يو ٩:٢٧–٢٨)** .

معناه قد قلت لكم سابقاً كيف فتح عيني ولم تريدوا ان تسمعوا فلماذا تسألون أيضاً وتريدون ان تسألوا الأقوال ذاتها . العلكم تسألون ثانية لأنكم تريدون أنتم أيضاً كما انا ان تصيروا له تلاميذ . ولا بدع فان الذين يعجزون عن الجواب ولا يجدون استناداً يلتجئون الى الشتائم . فشتم الفرّيسيون الاعمى وقالوا له أنت تلميذ ذاك واما نحن فتلاميذ موسى . وهنا نلاحظ أمرين : الاوّل ان الفرّيسيين كانوا يبغضون المسيح بغضاً شديداً حتى انهم لم يريدوا قط ان يذكروا

اسمه بل قالوا أوّلاً « هذا الانسان » ثم بعده « انت ماذا تقول فيه » وبعد ذلك « أنت تلميذ ذاك » . والامر الثاني أنهم عبثاً كانوا يفتخرون بانهم تلاميذ موسى لأنهم لو سمعوا وفهموا تعاليم موسى لخضعوا للمسيح وصاروا تلاميذه. لأن موسى صريحاً وبأوضح عبارة قد تكلم عن المسيح قائلاً : « سيقيم لك الرب الهك نبياً من أخوتك مثلي له تسمعون. الأنسان الذي لا يسمع لما يتكلم به ذلك النبي باسمي انا أطالبه » (**تث ١٨:١٥ و١٩**) . وعليه فقد قال مخلّصنا لليهود « يوجد من يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم. لأنكم لو كنتم تصدّقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب من أجلي (يو ٥:٤٥-٤٦) . واسمع الآن كلام الفريسيين الذي يدلّ على الصلف والعجرفة .

● « نحن نعلم ان موسى كلّمه الله . واما هذا فما نعلم من اين هو » (**يو ٩: ٢٩**)

كيفما اعتبرت كلمة « من اين » يظهر لك ان اليهود قد كذبوا في قولهم ما نعلم من اين هو . لانهم إن ارادوا بها الدلالة على الابوين والانسباء فهم كانوا يعرفونهم لانهم كانوا يقولون « اليس هذا ابن النجار؟ اليست امّه تدعى مريم واخوته يوسى ويعقوب وسمعان ويهوذا . اوليست اخواته جميعهن عندنا » ؟ (متى ١٣:٥٥-٥٦) . وان ارادوا بذلك الدلالة على وطنهم فهم كانوا يعرفون ايضاً وطنه لأنهم قالوا « وأنت كنت مع يسوع الجليلي » (متى ٢٦: ٦٩) . وان ارادوا بذلك من اين أتى وممّن أرسل فقد كذبوا ايضاً . لأنهم من اين كانوا يعرفون أن الله كلّم موسى ؟ من الكتاب المقدّس . والكتاب نفسه يعلّم من اين يأتي المسيح . وزد على ذلك ان يوحنا المعمدان قد اعلن ويسوع المسيح نفسه قد كرز انه من السماء قد اتى . ومن الآله الآب قد أُرسِلَ الى العالم . وعجائبه الباهرة كانت تشهد بذلك واسمع الآن ماذا أجاب الاعمى على ترّهات الفرّيسيين واكاذيبهم .

● « اجاب الرجل وقال لهم : ان هذا عجباً . انكم لستم تعلمون من اين هو وقد فتح عيني » **(يو ٩: ٣٠)**.

أرأيت كيف يحكّم الله الجهال وكيف قد تم هنا بالفعل قول داود النبي « **الرب يحكّم العميان** » (مز ١٤٥: ٨) فان الاعمى الجاهل الاميّ قد وبّخ الفرّيسيين المظنونين حكماء وفي الوقت نفسه برهن قداسة يسوع المسيح وقوته لانه قال يا للعجب العجاب كيف تجهلون من اين أتى انسان كهذا صانع عجائب وانتم المعلمون المواظبون على درس ناموس الله المفتخرون بالقداسة . ومع ذلك هذا الانسان المجهول منكم قد فتح عيني وبعد أن قال هذا أردفه بالبراهين المثبتة لسلطان يسوع المسيح ونعمته فقال :

● « ونعلم ان الله لا يسمع للخطأة ولكن ان كان أحد يتقي الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع » **(يو ٩: ٣١)**.

ان الكتاب الالهي يعلّم ان الله لا يسمع للخطأة . قال داود النبي « لو رأيت في قلبي ظلماً لا يستمع لي الربّ » (مز ٦٥: ١٨) . وقال اشعيا النبي « حين تبسطون الايدي اصرف عيني عنكم . وان كثرتم الطلبة لا استمع لكم . لأن ايديكم ملآنة دماً » (اش ١: ١٥) . وآيات اخر كثيرة كهذه نجدها في الكتاب الالهي . ولكن يجب ان تعلم ان هذه الاقوال قد قالها الله في الخطأة العادمي التوبة . أعني اولئك الذين يصرّون على الخطيئة ولا يهتمّون ابداً بالتوبة واصلاح السيرة . وامّا اولئك الذين يلجأون الى التوبة فيستمع الله طلبتهم على الفور لأنه استمع واستجاب لصلاة الزانية ودموعها . وقد علّمنا ان نطلب مغفرة خطايانا قائلين : « اترك لنا ما علينا » (متى ٦: ١٢) على ان الامر المستغرب جداً هو انه تعالى كثيراً ما يعطي نعمة اجتراح العجائب للخطأة لاجل اصلاحهم ولنفع الآخرين . فقد قال في انجيله المقدس « كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب اليس باسمك تنبأنا وباسمك اخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات

كثيرة . وحينئذ أصرّح لهم اني لم أعرفكم قط اذهبوا عني يا فاعلي الاثم » (متى٧: ٢٢، ٢٣) . فلا يسوغ والحالة هذه ان نفهم قول الانجيل « ان الله لا يستمع للخطأة » بالمعنى العام المطلق اي في كل حالة وفي كل مسألة . وامّا قوله « ان كان أحد يتقي الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع » فهذا يجب ان يفهم بالمعنى العام وبغاية الاطلاق . **لأن الله يستمع صلوات كل من يتقيه** ويطلب الخلاص حافظاً وصاياه الإلهيّة. كما يعلّم الروح القدس بفم النبي قائلاً : « الرب قريب لجميع المستغيثين به بالحق . يصنع مشيئة خائفيه ويستمع طلبتهم »(مز ١٤٤: ١٨، ١٩) . نعم ان الاعمى بعد ذلك عظّم أهمية الاعجوبة قائلاً :

● « منذ الدهر لم يُسمع ان أحداً فتح عيني مولود أعمى لو لم يكن هذا من الله لم يقدر ان يفعل شيئاً » **(يو ٩: ٣٢-٣٣)** .

معنى كلامه انه منذ خلقه العالم لم يُسمع ان انسان فتح عيني انسان ولد من بطن امّه أعمى . وحقاً انه لم يوجد انسان لا من الصديقين الذين قبل الشريعة ولا من الانبياء الذين في الشريعة ولا من رسل المسيح وتلاميذه الذين بعد النعمة استطاع ان يجترح اعجوبة كهذه مستغربة وعليه فقد قال الاعمى لو لم يكن المسيح انساناً مرسلاً من الله لما استطاع ان يجري عملاً كهذا مستغرباً جداً . فلعمر الحق ان حجة الأعمى هي قوية . لكن اسمع ماذا اجاب الفريسيون على ذلك .

● « أجابوا وقالوا له في الخطايا انت ولدتَ كلُّك وأنت تعلمنا فأخرجوه خارجاً » **(يو ٩: ٣٤)** .

قال داود النبي « هأنذا بالأثام حبل وبالخطايا ولدتني أمي » (مز ٥٠: ٥) . وقد أراد بذلك خطيئة آدم الجد الاول التي بها نولد جميعنا . فحسب مفاد هذه الآية . .. أن الأعمى قد وُلد بجملته في الخطايا . على ان الفريسيين لم يقولوا له

هذا الكلام استناداً الى معنى هذه الآية . لأن هذا يصدق على عموم البشر وبموجبه كل انسان هو مولود بجملته في الخطايا . ولكنهم بقولهم للأعمى هكذا قد عنوا ذلك المعتَقَد الذي سأل عنه الرسل الالهيون قائلين : يا معلّم من أخطأ هذا أم أبواه حتى وُلد أعمى » (يو ٩ : ٢) مريدين بذلك ان نفس الأعمى قد اخطأت حال وجودها في جسد آخر سابق أعني قبل ان تنتقل الى جسدها الحالي . وان أبويه أيضاً كانا خاطئين على هذه الصفة وعليه فقد قال الفريّسيون للأعمى انت الخاطئ هكذا تعلمنا نحن الطاهرين والقديسين . وبعد ان قالوا له ذلك أخرجوه خارج الهيكل .

● « فسمع يسوع أنهم أخرجوه خارجاً فوجده وقال له أتؤمن بابن الله » ؟ **(يو ٩ : ٣٥)**

إن الاعمى قد أهين من البشر ولكنّه كرّم من الله . فقَد الهيكل ولكنه وجد . انفصل عن البشر فاتحد مع الله . وامّا أنت ايها المسيحي فانتبه الى قول الانجيلي « فسمع يسوع » لأنه يدلّ على معنى سام هو انه متى شُتمنا وطُردنا لاجل محبة المسيح فهو عز وجل يسمع ويرى احتقارنا واضطهادنا فيسارع الى تعزيتنا ومعونتنا . وامّا سؤال السيّد للأعمى هل يؤمن فليس لأنه كان يجهل ذلك بل ليعلّمه انه هو ابن الله ويسمع من فمه الأعتراف بايمانه .

● « أجاب ذاك وقال من هو يا سيد لأؤمن به » **(يو ٩ : ٣٦)** .

من هنا يظهر أن الأعمى كان يجهل ان يسوع المسيح هو ابن الله . ظاناً انه نبي فقط ورجل قديس . ولهذا السبب قد سأله من هو ابن الله ليؤمن به .

● « فقال له يسوع قد رأيته وهو الذي يتكلم معك » **(يو ٩ : ٣٧)** .

لماذا لم يقل له السيد صريحاً انا هو بل قال على سبيل التلميح قد رأيته وهو الذي يتكلم معك . لكي يذكّره بالعجيبة . فكأنه يقول له لقد رأيت قبلاً عندما

حصلت على نور عينيك قوته الالهية وأعماله العجيبة . ثم انه لكي يعلّمه ان ابن الله ليس هو كلمة غير جسمانية بل هو ذات المسيح المتجسد قال له ان هذا الانسان الذي تشاهده وتسمعه متكلماً معك هو ابن الله .

● « فقال اؤمن يا رب وسجد له » **(يو ٩ : ٣٨)** .

ليس فقط اعترف على الفور انه يؤمن بيسوع المسيح ابن الله بل قدّم له أيضاً العبادة السجودية .

الصعود الآلهي

وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعد الى
السماء ... فسجدوا له ورجعوا الى
اورشليم بفرح عظيم » .

(لوقا ٢٤ : ٥١)

عظة للقديس ذياذوخوس فوتيكيس

ليحضر الآن الكهنة اليهود لأن ساعة الظفر قد أقبلت . هلمّ أيها الكارز بالمسيح ، تكلّم وصف لنا الحادثة بقوّة الحقيقة . كيف يمكن لهم أن يعطوا مال جهالتهم للحراّس في سبيل إخفاء الحقيقة الساطعة عن طريق الكذب[1] ، بينما نحن الرسل نستقبل الذي قام من الأموات في اليوم الثالث وصعد الى السماوات ممجّدين على الدوام مخلّصنا الذي استقبلته السماوات كآية معجزة آلهيةٍ ؟ . الأرض التي حُملت بارادته ، لم تستطع أن تحمله لأن **سحابة منيرة** هي التي رفعته متمّمةً بوضوح رسمَ النبؤة . وواكبته الملائكةُ حتى عرش الآب صارخة بلا فتور : « ربّ القوات هذا هو ملك المجد » (مز ٢٣ : ١٠) هذا الذي شاهده كاتب المزمور صاعداً من الأرض الى السماء فهتف قائلاً : « **صعد الله بالتهليل الرب بصوت البوق** » **(مز ٤٦ : ٦)** . لأن هذا المُلهم من الله قد سبق وأنبأ بما ذكره الانجيل المقدّس .

(١) (متى٢٨ : ١٢)

لكن الذين يتباهون باتخاذ ابراهيم الأمين اباً لهم لا يريدون أن يعترفوا بقيامة المسيح من الأموات ظانين لتعاستهم أنهم سوف ينتزعون كل يوم، عن طريق الاشاعة الفارغة، جمالَ مثل هذا الحدث. «فشاع هذا القول عند اليهود الى هذا اليوم» (متى ٢٨: ١٥) غير أن الشياطين أنفسهم اقرّوا بذلك.

امّا هم مع ادّعائهم باتباع وصايا الله لا يحترمون هذه الوصايا حتى في كلامهم. هذا عندما يقول النبي: «ايها الربّ ربّنا ما أعجبَ اسمَك في الأرض كلّها لأن جلالك تسامى على السماوات» (**مز ٨: ١**). وأيضاً: «ارتفع الهمّ على السماوات وعلى كل الأرض مجدُك» (مز ٥٦: ٥). لن يستطيع ابداً مختلقو الشرّ أن يجدوا سبيلاً في نقض هذه الأقوال بالرغم من كل الحيل لتثبيت موقف أبيهم الكاذب. لأن الذي ارتفع وتمجّد ربٌّ بالحقيقة وهو الذي نزل أوّلاً على الارض ثم ارتفع من بعدها فوق السماوات. لذلك يقول النبي في موضع آخر: «يا ربّ طأطئ السماوات وانزل المس الجبال فتدخّن أرسل برقاً فتبدّدهم» (مز ١٤٣: ٥-٦) بهذا القول يبشّر مسبقاً الذين كانوا في ظلال الموت بهدم قوّات الجحيم. تدلّ على هذا الهدم براهين كثيرة وهو من فعل دفن السيّد وقيامته. لذلك يقول المزمور في موضع آخر: «صعد الى العلاء فسبى سبياً ومنح عطايا للناس» (مز ٦٧: ١٩). لأنه بقيامته أنقذ الانسان من عبودية الموت وبصعوده الى السماوات رتّب ابنُ الله الوحيد سلاحاً لأصدقاء العدل (كونه ملكَ المجد) مُحَصّنا اياهم بخوذات روحيّة، هؤلاء الذين دعاهم بختم التواضع. لأنه كان يليق به أن يصنع تسبيحاً من أفواه الرضّع والأطفال وأن يبعد عنه الى الأبد هؤلاء الذين يستغنون وسط ادعائهم وتعاليهم. ان ختم التقوى الحقيقي هو التواضع لذلك الذين يرفضون الايمان بقيامة المسيح التي تجعلنا ساكنين في نور الاحياء سوف يحصدون ثمارَ جهالتهم.

* * *

- **شهادة الانبياء والرسل :**

امّا نحن ، أيها الأخوة ، فلنستمع أكثر الى كلام المزمور لنرى من جديد بعين العقل السيّد الصاعد الى السماء على سحابة . ان العقل يحدو بي الى ان أسكتَ الى حين عن **شهادة الرسل** حتى لا أتخذ شاهداً يساندني أمام أعين الجهلة مع ان كل كلمة رسولية هي **شهادة للحقيقة النبويّة (٢بطرس ١ : ١٩)** . لأن كلام الرسل هو حصيلة اقوال الأنبياء . كل ما أشار اليه الأنبياء كسابق انذار بتجسّد السيّد يأتي الرسل بمعرفتهم ويعلنونه جهراً بايحاء من الروح القدس . لقد كُتب : « عند اقتراب السنين سوف تُعرف وفي حين الوقت تُستعلن » (حبقوق ٣ : ٢) . ولنقلْ مرّة أخرى : « ايها الربّ ربّنا ما أعجب اسمَك في الارض كلّها لأن جلالك تسامى على السماوات » **(مز ٨ : ١)** . لكي نعلم جيّداً أن تجسّد السيّد وصعوده من الارض الى السماء الذي نقيم تذكاره اليوم ، قد ملأ العالم بمعرفة الله . طالما كان على الارض كان للأكثرية فكرة ضئيلة عن عظمة مجده ولكن الآن وقد صعد جلياً الى السماوات متمماً كما يليق مشيئة أبيه ، فان أسئلة العَجَب والعلم كلّها تُستجاب عندما ترى سيّد الأشياء كلّها صاعداً أو مرفوعاً . لقد رُفع ومُمجّد فوق أعلى السماوات حسب النبؤة كأنسان لكنه صعد كآله « صعد الله بالتهليل ، الربّ بصوت البوق » **(مز ٤٦ : ٦)** .

لا يستعمل النبي هذه التعابير لو لم يكن قد عاين بسابق معرفته نزوله . كيف يمكن له أن يقول : « ارتفع الهمّ الى السماوات وعلى كل الأرض مجدك » او « صعد الله بالتهليل ، الربّ بصوت البوق » لو لم يكن قد عاين بمعرفة الروح نزوله وصعودَه على السواء ؟ ولذلك ، كما ذكرت ، يتكلّم تارة عن تمجيده وطوراً عن صعوده . لأننا نؤمن انه نفسه **انسان وإله في شخص واحد . صعد بالوهيته ومُجد بجسده** . هكذا علينا أن ننظر الى انه هو نفسه الذي نزل وصعد بعدها الى السماوات لكي يملأ الكلّ بصلاحه ولكي ، بعد إقصاء الرسل عن أهواء الخطيئة بنزول الروح القدس ، يمجّدهم الى الأبد .

لماذا يقول « **ارتفع ألهمّ الى السماوات وعلى كل الأرض مجدُك** . . . لكي يخلصَ محبّوك » (**مزمور ٦:٥٦ و ٧:٥٩**) ؟ لأنهم بالفعل أحبّاء السيد هؤلاء الذين شاركوا آلامه وعاينوا عظمته ومجده .

لقد أنذر الانبياء برب واحد هو هو نفسه . ولم يخلطوا في صورة التجسد طبيعتيه في طبيعة واحدة . كل ما يختص بالوهيته أعلنوه الهياً وكل ما يختصّ بجسده انسانياً . لكي يعلّموا بوضوح ان السيّد الذي صعد ومُجد في السماوات في جوهره يأتي من الآب وفي ولادته من عذراء هو انسان . اذاً هو واحدٌ في الهيئة وفي الشخص . الذي كان من غير جسد يأخذ هيئة بشرية ويصعد الى الآب بالهيئة الى المكان الذي نزل منه بدون هيئة في الجسد . لذلك « رُفع في المجد » (**١تيمو ١٦:٣**) ونحن نؤمن به بسبب قدرته ، ننتظره بمخافة ونتوقّع ان تحمله **السحابة** في نزوله من جديد . لقد أنذر الأنبياء بالفعل انه سوف يستخدمها كعنصر مادي خفيف يحمل السيّد اللابس جسداً . هو يحمل كل شيء ، كما ذكرت ، بارادته كاله ولكنه يُحمل على سحابة كانسان حتى إن هذا الصديق لنفوسنا لا يُنكرَ ، حتى آنذاك ، نواميسَ الطبيعة التي أبدعها .

* * *

هكذا فان بولس الالهي يعلّمنا أن القدّيسين أنفسهم سوف يُحملون على سحابات عندما يأتي السيّد المنتظر على سحابة هو أيضاً (١ تسا ١٧:٤) لأن ما يليق بالآله المتجسّد بسبب جسده يليق أيضاً بالذين سوف يؤلههم بغنى نعمته **لأن الله عازم على جعل الناس آلهة** . هكذا اذاً لا يحسبنّ احد أن كثافة الطبيعة الانسانية التي اشترك فيها كلمة الله القدوس قد تبدّلت بلمعان الطبيعة الآلهية المجيدة وذلك بسبب حقيقة وجود الطبيعتين غير الممترجتين فيه . لأن الله تجسّد لا ليغشّ خيال مخلوقه ولكن ليهدم الى الأبد ، باشتراكه طبيعتنا عادةَ الشر المزروعة فينا بواسطة الحيّة . ان تجسّد الكلمة قد غيّر اذاً العادة لا الطبيعة حتى نخلع عنّا

ذكر الشرّ ونلبس محبّة الله . لا لكي نتبدّل الى حيث لم نكن بل لنتجدّد بالمجد بالتحوّل الى ما كنّا . له اذاً يليق المجد والظفرُ لنزوله من السماوات غيرَ منظور وصعوده الى السماوات منظوراً الكائن قبل الدهور الآن وكل اوان والى الدهور . آمين

أحد الآباء قبل العنصرة

(يو ١٧: ١- ١٣)

الصلاة الكهنوتية

« كل ما هو لي هو لك وكل ما هو لك هو
لي . . .
ليكونوا واحداً كما نحن واحدٌ »
(يو ١٧: ١٠و٢٢)

عظة للقديس يوحنا الذهبي الفم

● « تكلّم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال أيها الآب قد أتت الساعة . مجّد ابنك ليمجّدَك ابنُك أيضاً » (**يوحنا ١٧ : ١**) .

« أمّا من عمل وعلّم فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات » . طبعاً لأن فلسفة الكلام أمرٌ سهل اما برهان الكلام بالأعمال فهذا من شأن انسان شجاع وعظيم . لذلك عندما تكلم المسيح عن طول الاناة حثّ تلاميذه ان يتخذوه قدوة . وبعد هذه الوصية **ابتدأ بالصلاة** معلّماً ايانا انه في وقت الشدّة علينا ان نتركَ كل شيء ونلتجئ الى الله . قال : « في العالم سيكون لكم ضيق » (يو ١٦ : ٣٣) وأدخل هكذا في نفوسهم قلقاً . كما انه من خلال الصلاة يسترعي انتباههم من جديد لأنه حتى الآن كانوا يصغون اليه كانسان . وكان يصنع كل هذه الاشياء من أجلهم كما في حادثة اقامة لعازر حيث ذكر سبب

عمله قائلاً : « لأجل هذا الجمع الواقف قلتُ ليؤمنوا انك ارسلتني » (يو ١١ : ٤٢) .

نعم لقد صنع هذه الاشياء كلّها من أجل اليهود ولكن لماذا يصنعها أيضاً من أجل التلاميذ ؟ والامر طبيعي اذ كانوا يقولون « الآن نعلم انك عالم بكل شيء » (يو ١٦ : ٣٠) . اذاً كانوا هم أيضاً بحاجة الى براهين عملية . لكن الانجيلي لم يدعُ العمل القائم صلاة بل ماذا قال « تكلّم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء » . دعا العمل بالاحرى حديثاً مع الآب . وفي ظرف آخر يسمّي عمله صلاة ويُظهر نفسه ساجداً ورافعاً عينيه الى السماء فلا تتعجبوا من ذلك . لأنه اراد من ذلك ان يعلّمنا استمرارية الصلاة حتى اذا وقفنا لنصلّي لا نتطّلع فقط بأعيننا الجسدية بل نرفع أيضاً أعينَ ذهننا ونركع من أجل أن نسحق قلبنا أيضاً . لأن المسيح لم يأتِ ليظهر لنا فقط نفسه بل وأيضاً ليعلّمنا الفضيلةَ . والذي يعلّم لا يكتفي بالكلام بل يعلّم ويعمل . لنسمع ماذا يقول :

● أيها الآب قد أتت الساعة مجّد ابنك ليمجدك ابنُك أيضاً (**يو ١٧ : ١**) .

■ I (١٧ : ١-٥) صلاة يسوع من أجل نفسه

يُظهر هنا أيضاً انه لا يأتي الى الصلب عن غير ارادته . لأنه كيف يمكن له ان يأتي عن غير ارادته هو الذي **يطلب الصلب ويدعوه مجداً** (أي ذكصا) ولا يتكلم فقط عن مجده بل أيضاً عن مجد الآب . وهذا ما حصل إذْ لم يتمجّد الابنُ فقط بل وأيضاً الآب مع الابن . ذلك لأنه قبل الصليب لم يكن اليهود يعرفونه فهو يقول : « لكن اسرائيل لم يعرفني » (اشعيا ١ : ٣) . لكن بعد الصليب أسرعت المسكونة بأسرها الى جانبه . ومن ثم يذكر أيضاً طريق المجد وكيف سوف يتمجّد . « كما بالسلطان الذي أعطيته على كل الناس حتى لا يهلك احد من الذين أعطيته » . إن كان أحد يحسن باستمرار فهذا مما يشكل مجداً لله .

● **يو ١٧ : ٢** ماذا يعني بـ « **إذ أعطيتَه سلطاناً على كل جسد** » يُظهر اولاً

ان كرازته لا تقتصر فقط على اليهود بل تشمل أيضاً المسكونة وتهيّء دعوةَ الأمم » لقد قال: «الى طريق امم لا تمضوا» (متى ١٠ : ٥) لكنه قال أيضاً بعد ذلك «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» (متى ٢٨ : ١٩) . ممّا يدلّ على ان الآب يريد ذلك . ممّا عثّر اليهود كثيراً وكذلك التلاميذ . لأنهم حتى بعد ذلك لم يطيقوا الاتصال بسهولة بالأمم الى ان أخذوا تعليم الروح . وهذا أيضاً يُشكل عثرة كبيرة لليهود . بعد برهان الروح القدس الكبير هذا ، جاء بطرس الى اورشليم واستطاع بصعوبة ان يتجنّب الاتهامات عندما ذكر ما حصل له مع السماط . (الشرشف) المدلّى من السماء (في الاصحاح ١١ من أعمال الرسل) .

ماذا يعني اذاً بقوله : « اذ اعطيتَه سلطاناً على كل جسد » ؟ متى أخذ مثل هذا السلطان ؟ هذا ما نستطيع ان نطرحه سؤالاً على الهراطقة . أقبل ان جبلهم أم بعدها ؟ لأن الرب يقول بعد الصلب والقيامة « دُفع اليّ كلُ سلطان في السماء وعلى الارض ، اذهبوا وتلمذوا كل الامم . . .» (متى ٢٨:١٨– ١٩) .

ماذا اذاً ؟ ألم يكن له سلطان عليهم ؟ جبل البشر وبعد ذلك لم يعد له سلطان عليهم ؟ (كان يتمتع بهذا السلطان في العهد القديم : يعاقب البعض حين كان يخطئ ويعيد آخرين من أجل تقويمهم لانه يقول : أأكتم عن ابني ابراهيم ما انا صانعه » ؟ ويكرّم أيضاً آخرين يتممون وصاياه) .

هل كان لديه سلطان وبعد ذلك أضاعه ثم عاد وامتلكه من جديد ؟ اي شيطان يمكن ان يتفوّه بهذا الكلام ؟ خاصة وان سلطانه هو من عنده في الماضي كان ذلك ام في الحاضر (لانه يقول : « كما ان الآب يقيم الاموات ويحيي كذلك الابن يحيي من يشأ » (يوحنا ٥ : ٢١) . ماذا يعني هذا الكلام كلّه ؟ كان عليه ان يرسل تلاميذه الى الامم وحتى لا يعتقدوا انه يُدخل تعليماً جديداً بعد ان سبق وقال لهم « لم أُرسل الّا الى الخراف الضالة من بيت اسرائيل » (متى ١٥ : ٢٤) ، يبرهن لهم الآن ان ذلك هو أيضاً من ارادة الآب . وان كان

يتكلم هكذا بتواضع فليس هذا من العجب . لأنه هكذا كان يرشد شعبه في القديم وبعدها استمرّ ان يرشده بتواضع فائق .

ماذا يعني بـ « على كل جسد » ؟ هذا لأنهم لم يؤمنوا كلّهم . ولكن من جهته يحسبهم مؤمنين كلهم . ان لم يصغوا لكلامه فلا يعود اللوم على المعلّم بل على الذين لم يتقبّلوا كلامه .

« ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيتَه » . ان كان **يتكلم هنا بصورة بشرية فلا** تعجب من ذلك لأنه يفعل ذلك للاسباب التي ذكرت سابقاً . ولأنه يتهرب دائماً من ان ينسبَ لنفسه شيئاً هاماً لأن ذلك سوف يصدم فكرَ سامعيه لأنهم في البداية لم يتصوروه بمرتبة رفيعة. عندما يتكلّم يوحنا من نفسه لا يتبع الطريقة نفسَها بل يتكلم بطريقة سامية قائلاً مثلاً : كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء ممّا كان » **(يو ١ : ٣)** « هو الحياة » (يو ١ : ٤) « هو النور » (يو ١ : ٩) « جاء الى خاصته » (يو ١ : ١١) ولم يقل : لن يكون له سلطان لو لم يأخذه بل قال أعطى للآخرين « سلطاناً لكي يكونوا أبناء الله (يو ١ : ١٢) يدعوه بولس « معادلاً لله » **(فيلبي ٢ : ٦)** . أمّا هو فيتوسّل الى الآب بطريقة بشرية جداً قائلاً ما يلي : « ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته .

● وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الآله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته » (يو ١٧ : ٣)

« الاله الحقيقي وحدك » . قال ذلك ليميّزه عن الآلهة الكاذبة طالما سوف يرسل تلاميذه الى الامم . ان لم يعتبروه الهاً حقيقياً سوف يتابعون تفكيرهم وينكرون بالتالي انه هو الله وهو الذي يقول : « المجد الذي من الاله الواحد لستم تطلبونه » (يو ٥ : ٤٤) .

ماذا اذاً ؟ اليس الابن هو الله ؟ ان كان الابن هو الله ويُدعى وحيداً للآب من الواضح انه حقيقي ويُدعى الحقيقي وحده . وماذا أيضاً ؟ عندما يقول بولس

« ام انا وحدي وبرنابا » ؟ (اكور ٩ : ٦) هل يُقصي برنابا بهذا خارجاً ؟ كلّا . **كلمة « وحدي » تستخدم للتمييز عن الآخرين**[١] ان لم يكن آلهاً حقيقياً فكيف يكون الحقيقة او الحق ؟ (يو ١٤ : ٦) لأن الحقيقة لا تختلف عن الحقيقي . وماذا يقول ان لم يكن حتى انساناً ؟ حسب الطريقة نفسها اي ان لم يكن الابن الهاً حقيقياً كيف يمكن له ان يكون الله ؟ كيف يمكن له ان يجعلنا آلهة وأبناء ان لم يكن هو حقيقياً ؟ قد تكلمنا عن الموضوع هذا بالتفصيل في مواعظ اخرى . لنعد الآن الى متابعة النص .

● **يو ١٧ : ٤**: « انا مجدتك على الارض » حسناً قال « على الارض » لأنه كان ممجداً في السماء طالما كان لديه المجد بحسب الطبيعة تسجد له الملائكة . هو لا يتكلّم هنا عن ذلك المجد الذي يتصل بجوهره (لأن ذلك المجد ، حتى وان لم يمجّده أحد ، يبقى معه بصورة كاملة . هنا يتكلم عن المجد الذي سوف يأتيه من عبادة البشر من هنا ان العبارة « مجدّني » (يو ١٧ : ٥) لها هنا هذا المعنى أيضاً .

ولكي تتأكد من ذلك استمع لما يلي : « العمل الذي أعطيتَني لأعمل قد أكملته » طالما ان عمله كان بعد في البداية او بالأحرى لم يأخذ بعد بدايته كيف يقول « قد اكملته » ؟ إمّا انه يعني لقد عملت ما كان يتوجّب عليّ ان أعمله أو انه يدعو ما قد أكمله هذا الذي سوف يكمله او اخيراً وخاصةً ان كلَ شيء كان قد تمّ طالما قد وضع جذرَ الصالحات الذي منه سوف تأتي حتماً الثمار وانه سوف يكون موجوداً ومتصلاً بكل ما سوف يجري في المستقبل . لذلك **يتكلم هنا ايضاً بطريقة متنازلة متواضعة** . « الذي أعطيتني » لأنه أن كان عليه أن ينتظر ليسمع[٢] ويعلم فهذا ما يبعدنا كثيراً عن مجده . لقد عمل كل شيء بارادته هذا

---

(١) الآلهة الكاذبة

(٢) ليسمع من الناس انهم قد مجدوه بعد الصلب والقيامة

ما يتضح من اماكن كثيرة . عندما يقول بولس الرسول : « كما أحبّنا المسيح أيضاً واسلم نفسه لأجلنا » (افسس ٥ : ٢) واخلى ذاته آخذاً صورة عبد » (فيلبي ٢ : ٧) وأيضاً « كما أحبني الآب كذلك أحببتكم انا » (يو ١٥ : ٩)

- « والآن مجدّني أنت أَيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم » **(يو ١٧ : ٥)**

واين هو ذلك المجد ؟ كونه قريباً من الناس لم يكن له مجد بسبب لباسه البشري ، فكيف يطلب ان يمجّد قريباً من الله ؟ ماذا يقصد بهذا الكلام ؟ هنا الكلام مرتبط بعمل التدبير الآلهي لأن الطبيعة البشرية لم تكن بعد قد مُجّدت[٣] ولم تكن بعد قد لبست لباس عدم الفساد كما لم تأخذ بعد مكانها على العرش الملكي الالهي[٤] . لذلك لم يقل على الارض بل قال الذي « كان لي عندك » .

- **خلاصة وإرشاد**

هذا المجد سوف نتمتّع به نحن أيضاً كلُّ حسب قامته ان كنّا منتبهين لذلك يقول بولس : « ان كنّا نتألم معه لكي نتمجّد ايضاً معه » (رومية ٨ : ١٧) لذلك يستحقّ الرثاء كل الذين يرون امامهم مثل هذا المجد وبسبب توانيهم وكسلهم يجلبون الشرّ لأنفسهم. بالنسبة لهؤلاء حتى إن لم يكن من جحيم الّا انهم أشقى من الكلّ . إذ وباستطاعتهم ان يملكوا وأن يمجّدوا مع ابن الله نراهم يحرمون أنفسهم من الخيرات الكثيرة . . .

* * *

---

(٣) هذا ما حصل على الصليب، في القيامة وخاصة عند الصعود الالهي.
(٤) الحاشية رقم (٣) نفسها .

■ II يو ١٧: ٦–١٩ صلاة يسوع من أجل التلاميذ

● « انا أظهرتُ اسمَك للناس الذين أعطيتني من العالم . كانوا لك واعطيتهم لي وقد حفظوا كلامك » **(يو ١٧ : ٦)** .

ابن الله يُقال له ملاك الرأي العظيم . وذلك بسبب كل ما علّمنا وقبل كل شيء لأنه **أظهر الآب للناس** . هذا ما يقوله هنا : « أظهرتُ اسمك للناس » . لانه بعد ان قال « قد أكملت العمل » (يو ١٧ : ٤) يوضح لنا هنا أيّ عمل . طبعاً كان اسمه ظاهراً في القديم (كما يقول اشعيا « أقسموا بالآله الحق » اشعيا ٦٥ : ١٦) . ولكن ما قلته مرّات كثيرة أردده الآن ايضاً : وإن كان اسمه ظاهراً الّا انه كُشف فقط لليهود وليس لجميع الناس . امّا الآن فهو يتكلّم عن الامم كافة . ولا يُظهر ذلك فقط بل وايضاً انهم عرفوا الآب نفسه . ولا يساوي ان تعلم انه خالق وان له ابناً.

لقد أظهر اسمه بالأقوال والأعمال « للذين أعطيتَني من العالم » كما قال سابقاً « لا يقدر احد ان يأتي اليّ ان لم يُعطى من أبي (يو ٦ : ٦٥) ولا « يقدر أحد ان يقبل اليّ ان لم يجتذبْه الآب » (يو ٦ : ٤٤) وهكذا هنا أيضاً « الذين اعطيتني » . لكنه يقول هو عن نفسه انه الطريق (يو ١٤ : ٦) ولذلك من الواضح انه يريد من خلال كلماته هذه ان يبرهن شيئين : اوّلاً انه لا يعاكس الآب وثانياً ان مشيئة الآب هي ان يؤمنوا بالابن .

« كانوا لك وأعطيتهم لي » هنا يريد ان يعلّمنا انه كان محبوباً جداً من قبل الآب . لأنه لم يكن بحاجة ليتسلمهم . يتضّح ذلك من انه هو الذي جعلهم خاصة له هو الذي اهتّم بهم باستمرار . اذاً كيف يقول انه اخذهم من الآب ؟ **هنا كما في السابق يُظهر اتفاقه مع الآب** . ان أراد أحد ان يبحث الأمر بشرياً يصل الى النتيجة التالية : لم يعد التلاميذ للآب (اذ أصبحوا للابن) لأنه عندما كانوا للآب لم يكونوا للابن وعندما أعطاهم الآب للابن تخلّى عن سلطانه

عليهم . اذ كانوا للآب كانوا غيرَ كاملين واذ اتوا الى الابن أصبحوا كاملين . الكلام هذا كلّه يثير الضحك ان تفوّهنا به . اذاً ماذا يريد ان يقول ؟ « كانوا لك وأعطيتهم لي » يريد ان يقول ان الآب ايضاً يريد ان يؤمنوا بالأبن . **هذه مشيئة الآب ايضاً .**

● « قد حفظوا كلامك والان علموا ان كل ما أعطيتني هو من عندك » . (يو ١٧ :٧)

كيف حفظوا كلامك ؟ عندما يؤمنوا بي ولا ينصتون الى اليهود . لأن الذي يؤمن بي « قد ختم (برهن) ان الله حقيقي » (يو ٣ : ٣٣) . يقول البعض(٥) الآن قد علمتُ ان كل ما أعطيتني هو من عندك » ولكننا لا نستطيع ان نقبل هذا الكلام . كيف يمكن للابن ان يجهل ما هو للآب ؟ اذاً **لقد قيل هذا الكلام عن التلاميذ**(٦) . في اللحظة التي فيها قلتُ ذلك علمتُ ان « كل ما أعطيتني هو من عندك » لا شيء غريب عندي . لا شيء خاص بي من جهتي نحوك . لأن ما هو خاص للواحد يتضح انه كثيراً ما يعود للآخر . اذاً علموا ان كل شيء كل ما أعلّمه هو من عندك كل الوصايا والتعاليم . كيف عرفتُ ذلك ؟ من كلامي الخاص . لانه هكذا علّمتهم . وليس فقط من ذلك بل لاني « منك أتيت » . وهذا ما يسعى ان يُظهره من خلال الانجيل كلّه .

● **يو ١٧ :٩** « من اجلهم أسأل » ماذا تقول ؟ أنت تعلّم وكأن الآب يجهل كل ذلك . تتحادث وكأنك مع انسان لا يعرف ؟ لماذا اذاً هذا التمييز ؟ ألاحظتَ كيف ان الصلاة هنا لم تكن الّا لاظهار مدى محبّته للتلاميذ . لأن الذي لا يعطي فقط ما عنده بل يتوسّل أيضاً لآخر من اجل الغاية نفسها يُظهر محبّة اكبر . وماذا يقصد بالعبارة : « من اجلهم انا اسأل » « لا من اجل العالم » ، بل

---

(٥) جاء في بعض المصادر علمتُ.

(٦) قد علموا

من اجل الذين أعطيتني ». يستخدم دائماً العبارة « الذين أعطيتني » **كل ذلك لكي نعلم ان هذا كلّه من مشيئة الآب ايضاً**. كان يقول دائماً: « كانوا لك وأعطيتهم لي » ولذلك يحاول الآن دحض الفكرة السيئة القائلة إن سلطانه مستحدث وانه الآن يتسلّمهم ويضيف من اجل هذه الغاية:

● « **كل ما هو لي هو لك وما هو لك هو لي** وانا ممجّد فيهم » **(يو ١٧: ١٠)**.

ألاحظتَ **التساوي في الاكرام** "isotimia"[(٧)] حتى عندما تسمع العبارة « الذين أعطيتني » لا تظنّ من جهة انهم خرجوا من سلطان الآب ومن جهة اخرى انه قبل ذلك لم يكونوا تحت سلطة الابن. فهو يدحض الفكرتين ويأتي بكلام الآية ١٧: ١٠ وكانه يقول: عندما أعطيتني اياهم لم يصبحوا غرباء عن الآب لأن كل ما هو لي هو لك. وكذلك عندما تسمع « انهم كانوا عندك » لا تعتقد انهم كانوا غرباء عن الابن لأن كل ما هو لك هو لي. من هنا ان الكلمة « اعطيتني » قيلت فقط من حيث التنازل او التواضع لأن كل ما يخصّ الآب يخصّ الابن وكل ما يخص الابن يخص الآب. ولا يمكن ان يقال ذلك عن الابن كانسان لأن الكلام يدور عمّا هو أسمى. والذي يخص الادنى يخص الاسمى ولا نستطيع عادة ان نعكس الآية. لكنه هنا يعكسها **والمعاكسة هذه تدلّ على المساواة**[(٨)] "isotita"

● كما يظهر ذلك جلياً في مكان آخر: « كل ما للآب هو لي » **(يو ١٦: ١٥)**. كان يتكلم هناك عن المعرفة. امّا العبارة « الذين أعطيتني » وكل ما يشابهها فهذه يقولها ليظهر انه لم يتسلّمهم كشخص غريب بل يتسلّمهم كخاصته. بعد ذلك يذكر السبب والبرهان قائلاً: « وانا ممجّد فيهم » اي ان لي

---

(٧) «كل ما هو لك هو لي»

(٨) الحاشية رقم (٧) نفسها.

سلطاناً عليهم أو أنهم سوف يمجدّونني عندما يؤمنون بك وبي ويمجدوننا سوياً إن لم أمجّد بهم بالطريقة نفسها لن يكونوا خاصة الآب ايضاً لانه لا يمجّد احدٌ من اناس ان كان ليس لديه عليهم سلطانٌ .

كيف يُمجّد كالآب ؟ يموت الجميع من أجله كما من أجل الآب ، يبشّرون به كما يبشرون بالآب تماماً وكما يقولون ان كل شيء يكون باسم الآب هكذا يكون باسم الإبن أيضاً.

● « ولست انا بعد في العالم وأما هؤلاء فهم في العالم » **(يو ١٧ : ١١)** اي حتى وإن لم أكنْ بجسدي ظاهراً أتمجّد بهم . لماذا يقول باستمرار « لست انا بعد في العالم » ؟ واني اذ أتركهم أدعهم تحت حمايتك .

● « وحين كنت معهم في العالم كنت أحفظهم » **(يو ١٧ : ١٢)** ان كان الواحد يفحص هذه الأمور ببساطة يصل الى مآزق عديدة . لأنه كيف يمكن ان نفسّر انه بينما لم يعد في العالم يتركهم ويسلّمهم لآخر ؟ هذا كلام يقوله مجرّد انسان ينفصل عنهم .

يقول الرب يسوع هذا الكلام في غالبيته بطريقة بشرية وطبقاً لنضوجهم الروحي كونهم كانوا يعتقدون ان لهم ضمانة اكبر من جرّاء حضوره . لذلك يقول : « حين كنت معهم في العالم كنت أحفظهم » . ورغم ذلك يقول في موضع آخر « ثم آتي اليكم » (يو ١٤ : ٢٨) وأيضاً « وانا معكم الى انقضاء الدهر » (متى ٢٨ : ٢٠) . كيف يقول الآن كل هذا الكلام وكأنه ينفصل عنهم ؟ لقد قلت سابقاً انه يقول كلامه هذا طبقاً لنضوجهم الروحي حتى يتنفّسوا قليلاً عندما يسمعونه يقول انه سوف يسلّمهم الى الآب .

لم يقتنعوا رغم كل الأقوال الارشادية ولذلك يتكلم بالتالي الى الآب مظهراً رأفته بهم وكأنه يقول : انك تدعوني الى جنبك إحفظهم بأمان « لأني آتي اليك » وماذا تقول ؟ ألا تستطيع ان تحفظهم أنت ؟ طبعاً استطيع .

● **يو ١٧: ١٣** لماذا اذاً تقول كل هذا ؟ « لكي يكون لهم فرحي فيهم كاملاً » أي لكي لا يضطربوا كونهم بعد ضعفاء روحياً . قال هذا الكلام كلّه لكي يهدّئهم ويجعلهم فرحين . لأن الكلام يبدو معاكساً لذلك .

« ولست انا بعد في العالم واما هؤلاء فهم في العالم » يو ١٧: ١١-١٢ هكذا كان يفكّر هؤلاء . يتكلم في البداية طبقاً لتفكيرهم لأنه لو قال انا أحفظهم لما آمنوا كثيراً بذلك . لذلك يقول بصورة دقيقة « ايها الآب القدوس احفظهم بقوّة اسمك » اي بمعونتك « حين كنت معهم في العالم كنت أحفظهم في اسمك هنا يتكلم أيضاً كانسان وكنبي لأنه لم يعمل ولا في اي مكان عملاً باسم الله . « الذين أعطيتني حفظتهم ولم يهلك منهم أحد الا ابن الهلاك ليتم الكتاب » ويقول في مكان آخر « ان كل ما أعطاني لا اتلف منه شيئاً » (يو ٦ : ٣٩) طبعاً لم يهلك ذاك فقط بل كثيرون غيره . لماذا اذاً يقول : « لا اتلف منه شيئاً » هذا اذا عاد الأمر له . هذا الموضوع أوضحه في مكان آخر بقوله : « لن أخرجه خارجاً » (يو ٦ : ٣٧) لا بسببي لن أبعده لن أتركه لكن ان غادروني وحدهم لن أعيدهم قسراً .

« الآن آتي اليك » أنظر كيف ان الحديث يسير بطريقة بشرية محض الى حدّ ان الذي يريد تقليل شأن الابن سوف يقلّل من شأن الآب . انتبه اذاً كيف انه منذ البداية يتكلم احياناً معلّماً وموضحاً كل هذه الامور للآب واحياناً أخرى يطلب راجياً . يبدو معلّماً في كلامه مثلاً : « لست أسأل من أجل العالم » وراجياً عندما يقول : « انا حفظتهم حتى الآن » و« لم يهلك منهم أحدٌ » « انت اذاً إحفظهم » وأيضاً « كانوا لك وأعطيتهم لي » « وحين كنت في العالم كنت أحفظهم » . وتفسير هذا الكلام كلّه **انه قيل نسبة لضعفهم الروحي** . لأنه عندما قال : « لم يهلك منهم احد الا ابن الهلاك » اضاف ليتم الكتاب . اي كتاب يقصد ؟ الكتاب الذي يذكر أشياء عديدِه عنه . ولذلك لم يهلك منهم احد ليتم الكتاب . تكلّمنا مطوّلاً حول هذه النقطة موضحين ان ميزة الكتاب هو انه مرجع

وسبب لكثير من الاحداث الجارية . يجب ان نفحص كل شيء بتدقيق ، طريقة تعبير المتكلم وافتراض وجود نواميس كتابية ، هذا ان اردنا ان نتجنّب الأخطاء في التفكير لأنه يقول : « ايها الاخوة لا تكونوا اولاداً في أذهانكم » (١ كور ١٤ : ٢٠) .

* * *

أحد العنصرة

عظة للقديس غريغوريوس بالاماس

تفسير المقطع رسل ٢: ١-١١

« ان الروح القدس نورٌ وحياة وينبوع حيّ عقليّ ، روح
حكمةٍ ، روح فهمٍ ، صالحٌ مستقيمٌ ، عقليّ رئاسيّ ،
مطهّرٌ للهفوات الهٌ ومؤلهٌ ، نار من نار بارزة ، متكلمٌ
فاعلٌ مقسمٌ للمواهب ، الذي به الانبياء كافة ورسل الله
مع الشهداء تكللوا ، سمعة مستغربة ، رؤية غريبة نارٌ
مقسومة لتوزيع المواهب » الإينوس

● رسل ٢:٢

لأن ذلك الهتاف كان ينذر بهذا الصوت كما ونفخة الفم تنذر بهذا الروح الموزّع الآن بغزارة من فوق وبعد أن دوى بقوّة في السماء وسُمع في كل مكان ، فهو يدعو العالم كلّه والذين يُقبلون إليه بإيمان يملأهم نعمة . وورد « كريح عاصفة » لأنه ينتصر على كل شيء ويرفع مكائد الشرير ، يقوّض المدن وكلّ تحصينات العدوّ . يحطّ المتكبّرين ويرفع المتواضعين بالقلب ، يجمع من جهة ما كان قد انحلّ سوءاً ومن جهة أخرى يفكّ رباطات الزلّات ، ويحلّ ما أمسك منها .

« ملأ كل البيت الذي كانوا فيه جالسين » (رسل ٢: ٢) محوّلاً ايّاه الى بركة روحانيّة ومتمماً وعد المخلّص عند الصعود وذلك عندما قال : « يوحنا قد عمّدكم بالماء أما أنتم فستعمّدون بالروح القدس بعد أيّام ليست بكثيرة » (رسل

١ : ٥) . وأظهر كيف أن دعوتهم كانت حقيقية لأن الصوت السماوي جعل الرسل حقيقةً أبناء الرعد .

• « وظهرت لهم ألسنة مقسومة كأنها من نار واستقرّت على كلّ واحد منهم وامتلأوا كلّهم من الروح القدس وطفقوا يتكلّمون بلغات أخرى كما منحهم الروح أن ينطقوا » **(رسل ٢ : ٣)**

لأن المعجزات التي حصلت من خلال جسد الرب ، أظهرت أنه ابن الله الوحيد أقنوم مستقلّ بحدّ ذاته لكي نعرف السرّ العظيم المسجود له ونتأمل فيه : سرّ الثالوث القدّوس . كان الروح القدس يعمل قبلاً ويتكلّم على لسان الأنبياء ينذر مسبقاً بما سيأتي . يحرّك التلاميذ طارداً الشياطين وشافياً الأمراض . الآن يظهر للكلّ كأقنوم خاص بشكل ألسنة ناريّة مستقراً على التلاميذ وكأنه السيّد الجالس على عرشه محوّلاً اياهم الى أدوات لقوّته .

ولكن لماذا ظهر بشكل ألسنة ؟ **لكي يبيّن صلته بكلمة الله** لأنه ما من شيء أقرب من الكلمة أكثر من اللسان . وفي الوقت ذاته لكي يبيّن **موهبة التعليم** . ذلك لأن المعلّم وفقاً لجواب المسيح يحتاج الى لسان ممتلئ نعمة .

ولماذا الألسنة النارية ؟ ليس فقط لأن الروح القدس هو من طبيعة الآب والابن بل ونارٌ هو الهنا نار تأكل كل شراسة ، هكذا يجعل قوّة البشارة مضاعفة تفيد وتعاقب في الوقت ذاته . وكما أن النار بطبيعتها تنير وتحرق هكذا فان كلمة البشارة التعليمية وفقاً لكلمة المسيح تنير الذين يثقون بها . أمّا الذين لا يثقون بها فهي تسلّمهم في النهاية الى النار الأبدية . ومن ناحية أخرى لم يقل ألسنة من نار بل « وكأنها من نار » حتى لا يعتقد أحدٌ أن تلك النار حسّية ومادية . يتخذ هذه الصورة الحسّية مثالاً يرشدنا لظهور الروح .

ولماذا ظهرت الألسنة موزّعة ؟ لأن المسيح وحده هو الذي يُمنح له من الآب الروح القدس بدون انقسام غير موزّع ، هو الذي نزل من السماء بالجسد وكان

يتمتّع بالقوّة الالهية بكاملها. أمّا للآخرين فلم تعط نعمة الروح القدس بكاملها بل جزء منها لكل واحد حتى لا يُظنّ أن طبيعة القدّيسين مكوّنة من نعمة وعطية الروح القدس.

● الكلمة «تستقرّ» لا تُعطي فقط معنى السيادة بل معنى عدم انقسام الروح الالهي: «واستقرت على كل واحد وامتلأوا كلّهم من الروح القدس» **(رسل ٢: ٤)**

يتوزّع بقواه وبأعماله المختلفة وهو حاضر بكل قواه ينقل الروح القدس **الحاضر بكامله يتوزّع بدون انقسام.**

يبقى الاشتراك فيه كاملاً وفقاً لصورة أشعة الشمس.

«وكانوا ينطقون بألسنة مختلفة» الذين اجتمعوا في ذلك المكان من كل الأمم يستمعون اليهم وهم يتكلّمون بلهجات كما منحهم الروح أن ينطقوا. أصبحوا أدوات للروح القدس يعملون ويتحرّكون وفقاً لأرادته وقوّته. الأداة لا تتصل الّا بالخارج لا تشترك في الجوهر بل في قوى الذي يفعل: هكذا الحال مع الاداة التي يتكلّم عنها داود بوحي الهي: «لساني قلم كاتب سريع» القلم اداة للكاتب يشترك في قوى الذي يكتب ولا يشترك في جوهره. يرسم كل ما يريده الكاتب وعلى قدر استطاعته.

● **الروح القدس موعد الآب:**

ولكن كيف يمكن للروح القدس أن يكون موعد الآب؟ ذلك لأن الآب نفسه وعد به منذ القديم بفم الأنبياء. قال مثلاً على فم حزقيال: «سأعطيكم قلباً جديداً وروحاً جديداً وسأجعل روحي في أحشائكم» **حزقيال ٢٦:٣٦** وعلى فم يوئيل: «وسيكون بعد هذه الحوادث أني أسكب روحي على كل بشر» **يوئيل ٢٨:٣** وهذا ما اشتهاه موسى عندما هتف: «من يحوّل عالم الله الى انبياء عندما سيمنح الله روحه؟ هذا وإن فرح الآب والابن وموعدهما واحد

ولذلك قال للذين يؤمنون به : « الذي يشرب من الماء الذي أنا أعطيه يتحوّل الى ينبوع ماء يجري لحياة أبدية » **يو ٧: ٣٨.** وقد فسّر الانجيلي يوحنا هذا الكلام في ما يلي : قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون مزمعين أن يقبلوه » ولكن عندما كان يسير نحو الالام الخلاصية كان يقول للتلاميذ « ان كنتم تحبّوني فاحفظوا وصاياي وأنا أسأل الآب فيعطيكم معزياً آخر ليقيم معكم الى الأبد روح الحق » وأيضاً قال : « كلمتكم بهذا وأنا مقيم عندكم واما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كلّ شيء » **يو ١٤:٢٦** . وأيضاً : « متى جاء المعزّى الذي أرسله اليكم من عند الآب **روح الحق الذي من الآب ينبثق فهو** يشهد لي وسيرشدكم الى الحقيقة كلّها » **يو ١٥:٢٦** .

الآن تحقق الوعد ونزل الروح القدس مرسلاً من الآب والابن وأشرق بنور على التلاميذ القديسين وأشعل فيهم أنواراً الهية أو بالأحرى جعل منهم كواكب المسكونة وما يفوق المسكونة . عندهم كلمة الحياة الأبدية . وأنار بواسطتهم المسكونة بأسرها . كما أن بشمعة مضاءة يشعل الواحد شمعة أخرى وبهذه الأخيرة شمعة ثالثة وبالتسلسل يحافظ على النور الذي يبقى بحوذته دائماً بالشرطونية ابتداءً من الرسل حتى خلفائهم الى من أتى بعدهم كانت نعمة الروح القدس تسلم من جيل الى جيل منيرة الذين كانوا في طاعة الرعاة الاباء الروحيين والمعلّمين . . .

بما أن الابن صعد الى السماوات بالجسد لو لم يُرسل الروح القدس حتى يكون مع تلاميذه ويشدّدهم مع خلفائهم في الأجيال المتتالية ومع الكارزين بانجيل النعمة ، لما كُرز في كل الأمم ووصلت الينا بشارة الحقّ . لذلك جعل الربّ الممتلىء محبة للبشر جعل تلاميذه شركاء في النعمة ، أباءً وخداماً للنور وللحياة الأبدية وذلك بمنحهم القوة في ولادة الناس للحياة الأبدية وفي جعل المستحقين أبناء النور وبدورهم أباء لانارة الآخرين . هكذا فإن الأبن سيكون بنفسه معنا حتى نهاية العالم كما وعد بالروح القدس . لأنه واحدٌ مع الآب والروح ليس

بحسب الأقنوم بل بحسب الألوهة : اله واحد في ثلاثة أقانيم . لأن الروح القدس كان دوماً موجوداً مع الابن والآب . كيف يمكن أن يوجد آبٌ وعقلٌ غير مبتدئ بدون ابن وكلمة معه في عدم البداءة ؟ كيف يمكن ان يوجد كلمة أزلية دون الروح الذي معه في الأزلية ؟ كان الروح القدس موجوداً بصورة دائمة ، وهو يوجد الآن وسوف يوجد في كلّ مرّة مبدعاً مع الآب والابن كل ما خُلق ومجدداً مع الآب والابن كل ما تكوّن وضابطاً كل ما هو باق على حاله . هو حاضر في كل مكان ومالئ الكل يدير ويراقب كل شيء مع الآب والابن : « الى أين أذهب بعيداً عن روحك وكيف أهرب من نظراتك ؟ » يقول المزمور . ليس فقط في كل مكان بل وأيضاً في السماء . ليس فقط في كل زمن ووقت بل وأيضاً قبل كل زمن ووقت . ولن يبق معنا فقط حتى نهاية العالم كما جاء في الوعد ، بل وأكثر من ذلك سوف يبقى الروح القدس مع القدّيسين في الحياة المستقبلة . حافظاً أجسادهم غيرَ بالية ومالئاً اياها بمجد أزلي . هذا ما أعلنه الرب نفسه عندما قال لتلاميذه : « أنا سأطلب من أبي لكي يعطيكم معزياً آخرَ حتى يبقى معكم الى الأبد » « يزرع ويدفن في الأرض جسم بشري مركب من نفس وجسد ويقوم جسماً روحانياً » فائق الطبيعة لأنه تكوّن ويحيا بالروح القدس اذ انه قد لبس هكذا بفعل الروح الازلية ، المجدَ وعدم الفساد (١ كور ١٥ : ٤٤) .

كان ادم الأوّل نفساً حيّة بينما أصبح آدم الثاني روحاً محيياً . الانسان الأوّل أرضي من تراب بينما الانسان الثاني سماويّ وهو الربّ . كما كان الأوّل أرضياً هكذا باقي الأرضيين وكما كان الثاني سماوياً هكذا باقي السماويّين . هؤلاء هم الثابتون في الإيمان يعملون دائماً أعمال الرب لذلك أخذوا صورته السماوية بفضل طاعتهم له . لأن الذي لا يطيع الابن كما يقول يوحنا السابق لن يحيى بل سيتبعه غضب الله ومن يستطيع أن يتحمّل غضبه ؟ انه لرهيب جداً أيها الأخوة أن نقع بين أيدي الله الحيّ . وان خفنا من أيادي الأعداء يقول لنا الربّ : « لا تخافوا الذين يقتلون الجسد » من الذي عنده فكر (nous) ولا يخاف من

أيدي الله التي ترتفع فوق الذين يشكّون؟ لأن غضب الله سيلحق بكل واحد يعيش في الفساد والظلم وهو يعرف الحق . . .

فلنعد إذاً الى الله ولنعيّد برضاه روحانياً لتحقيق الوعد الإلهي للآتي الى الناس واستقرار الروح القدس لتحقيق الرجاء والغبطة في أحضان المسيح ربّنا لأنه له يليق كل مجد واكرام وسجود مع الآب الازلي والروح الكلّي قدسه الصالح والمحيي من الآن والى الأبد آمين .

يوم الخمسين

من سنكسار البندكستاري

في نهار الخمسين ذاته حضر الى الرسل القدّيسين جوهرياً بشكل ألسنة ناريَّة واستقرّ على كل واحد منهم في العلّية التي كانوا مقيمين فيها . فلاجل إكرام الروح القدس قد رتب بالهام الهي الاباء الالهيون ، الذين رتبوا كل شيء حسناً ، أن يعيّد له في العنصرة ذاتها وثاني يوم موزعاً . لأن المخلص لمّا كان قد وعدهم قبل الالام بورود المعزّي قائلاً : خيرٌ لكم أن أنطلق أنا لأنني إن لم أنطلق لم يأتكم المعزّي » يوحنا ١٦:٧ .

وأيضاً : « عندما يأتي ذاك فانه يعلّمكم ويرشدكم الى كلّ الحق » يو ١٦:١٣ وأيضاً : « أسأل الآب أن يرسل لكم معزياً آخر **روح الحق** الذي من الآب ينبثق » **يوحنا ١٥:٢٦** وبعد الالام أيضاً عندما صعد الى السماء قال :

« أما أنتم فالبثوا في أورشليم الى أن تلبثوا **قوّةً من العلاء** » (لوقا ٢٤:٤٩) اذاً أُرسل الروح القدس الذي وعدهم به .

لأنهم لما كانوا ينتظرونه في الغرفة عند كمال أيام الخمسين عند الساعة الثالثة من النهار بغتة صار رعدٌ من السماء حتى تقاطر كثرة الحاضرين من المسكونة وظهر الروح القدس بشكل ألسنة ناريَّة على كل واحد منهم ليس فقط على الإثني عشر بل وعلى السبعين وتكلّموا بألسنة غريبة . أي أن كل واحد من الرسل تكلّم بألسنة الأمم . . . فلهذا الحال ظنّ المجتمعون أنهم سكارى لأنه من حيث انه لم يعلم كل واحدٍ كيف أن الرسول كان يخاطب الجميع على انفراد كل واحد بلغته فظنوا انه قد سكر وغيرهم تعجّبوا قائلين : ماذا عسى أن يكون

هذا لأن هؤلاء كانوا مجتمعين للعيد من جميع أقطار الأرض من بين النهرين وآسيا الصغرى ومصر والقيروان وكريت وبلاد العرب.

فلما مضى عشرة أيام بعد الصعود حضر الروح القدس ولم يحضر حالاً بعد صعود المسيح لكي يجعل التلاميذ متوقّعين له بأشدّ حرارة وقد زعم البعض أن في كلّ يوم من الأيام كانت تتقدّم طغمة من الطغمات الملائكية فتسجد لتلك البشرة المتألهة. **اذاً حضر الروح القدس لما صارت المصالحة بواسطة الأبن.**

اما انه بعد خمسين يوماً من الفصح فلتذكار الناموس العتيق لأن اسرائيل بعد أن مضى خمسون يوماً بعد اجتيازه البحر الأحمر أخذ الوصايا العشر (خر ٢٠) فانظر الى العلامات: هناك جبل وهنا عليّة. هناك نار وههنا ألسنة ناريَّة. هناك رعودٌ وههنا ريحٌ عاصفة.

وأمّا أن الروح انحدر بشكل **ألسنة**. فهو ليدلّ بأن له اختصاص بالكلمة الحيّ أو ليدلّ أن الرسل قد ازمعوا أن يعلّموا الأمم ويقودوهم بالألسن. واما أنها **ناريَّة** لأن الله نارٌ آكلة وأيضاً لأجل التطهير. وأمّا انها **مقسّمة** فلأجل المواهب. وكما أنه في القديم بلبل لسان الذين كانوا يتكلّمون بلسان واحد وقسمه الى ألسن كثيرة هكذا والآن قسم لسان المتكلّمين بلسان واحد الى لغات كثيرة **لكيما يجمع المشتتين من كل أقطار المسكونة الى واحد**. وأمّا أنه صار في العيد فلكي تشيع الجموع المتكاثرة بهذا الفعل في كل مكان. وأن الحاضرين في الفصح والمشاهدين الأشياء التي صارت على المسيح يتعجبون. وأمّا في العنصرة لأنه وجب أن في ذلك الوقت الذي فيه أُعطي الناموس قديماً في مثله تنسكب نعمة الروح القدس حسبما عمل المسيح في الفصح الناموسي مكمّلاً فصحه الخاص الذي هو الفصح الحقّاني.

لكن الروح القدس لم يجلس على فم الرسل بل على رؤوسهم شاملاً الرأس الذي هو أعظم من الجسد والعقل ذاته الذي منه يتكلّم اللسان. أو على نوع ما

لكون الروح بواسطة اللسان يبدي صوتاً كأنه يتبرطن الرسل معلمين لكلّ ما تحت السماء بحلوله على رؤوسهم لأن الشرطونية أي وضع اليد يصير على الرأس. وأما الصوت والنار فلأن في سينا قد صارا لكيما يظهر أن الروح هو المشترع في ذلك الوقت والآن وهو الآمر والمرتّب الكلّ. وأمّا أن الجمع ارتجّ من صوت الريح فلأنهم توهّموا أن جميع ما وعد المسيح لليهود عن انقلابهم قد امتلك غاية. وقال إنه شبه نار لكي لا يظنّ أحد أن الروح القدس شيء جسدانيّ.

أمّا الرسل فتوبّخوا بالسكر الّا أن بطرس وقف وتكلّم في وسط الجمع وكشف لهم بأنهم لا يفهمون الحق وأورد في قوله نبوّة يوئيل واقتاد منهم نحو ثلاثة الاف (أعمال الرسل ٢:١٤-٤١).

«وسيكون بعد هذه أني أفيض روحي على الناس أجمعين فيتنبّأ بنوكم وبناتكم ويرى شبّانكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاماً وعلى عبيدي أيضاً وأمائي أفيض روحي في تلك الايام وأجعل عجائب في السماء وعلى الأرض دماً وناراً وأعمدة ودخان فتنقلب الشمس ظلاماً والقمر دماً قبل أن يأتي يوم الربّ العظيم الهائل ويكون أن كل من يدعو باسم الربّ يخلص» يوئيل ٢:٢٨-٣٢. جزء من قراءة العنصرة

ويُقال إن الروح **معزّ** لأنه قادرٌ على تعزيتنا لأننا اتخذناه عوض المسيح وبواسطته قد امتلكناه ولأنه يتوسّل عنا الى الله بأصوات لا تلفظ بما أنه محب للبشر يشفع فينا كمثل المسيح .. يُقال إن الروح معز آخر لأن الرسول يقول: «لنا معزّ عند الله يسوع» وقيل آخر للمساواة في الجوهر لأن لفظة آخر تدلّ على اتفاق الجوهر والطبيعة وأمّا لفظة غير تدلّ على اختلاف الطبيعة. هذا الروح القدس لم يزل في الآب والابن دائماً فلذلك يبدع معهما الكلّ وهذه القيامة العتيد كونها. ويعمل كل ما يشاء: يقدّس، يفرز، يجدّد، يرسلُ، يحكم، يمسح أنبياء ويقال على الاطلاق إنه يفعل كل شيء بما أنه لم يزل سائداً في ذاته

كليّ الاقتدار صالحاً مستقيماً رئاسياً وبه كل حكمة وحياة وحركة ومهما اشترك بقداسة وبكل نوع من الحياة . وعلى الاطلاق هو مالك كل ما هو للاب والابن ما عدا عدم الولادة والولادة وهو ينبثق من الآب .

فعندما انسكب الروح على كل جسد امتلأ العالم بأسره من جميع أصناف المواهب وبواسطته كلّ الأمم انقادوا الى معرفة الله وكل مرض استؤصل وكل استرخاء . إن الروح قد أعطي الى التلاميذ من المسيح ثلاث مرات : فقبل الآلام بنوع غامض جداً وبعد القيامة بواسطة النفخة بنوع أوضح والآن قد أرسله جوهرياً بل الأفضل أن يقال لنا هو قد انحدر بنوع أوفر كمالاً منيراً إياهم ومقدساً وبواسطتهم أيضاً قد اختصّ لذاته أقطار العالم .

فبورود روحك القدوس وبشفاعات رسلك أيها المسيح الاله ارحمنا آمين .

انجيل العنصرة

(يوحنا ٧: ٣٧-٨:١٢)

للأستاذ ساكوس

• أعياد اسرائيل ثلاثة

أ - **الفصح** أو «عيد الفطير» في ١٥ Nissan (أول نيسان) في تذكار خروج الشعب من مصر (خر ١٢:١-٢٠، تثنية ١٦:١٦).

ب - **العنصرة** هذه تسمية لاحقة لِ «عيد حصاد البواكير» أو «عيد التجديدات» أو «عيد الأسابيع». يأتي سبعة أسابيع بعدَ الفصح (٢٠ أيار تقريباً). عيد شكريّ الى الله وتضحية في بداية الحصاد (خر ٢٣: ١٦، عد ٢٨: ٢٦، تثنية ١٦: ١٦).

ج - **عيد** «**المظال**» أو عيد «الخيم» (تثنية ١٦: ١٣-١٦). يأتي في ١٥ تسري أي أول ت١ تقريباً تذكاراً لحياة اسرائيل في الصحراء تحت الخيم.

هذه هي «الأوقات الثلاثة من السنة التي فيها يشاهد كل ذكر اسرائيلي امام الرب إلهنا»، أي يحصل تجمّع[1] لكل الاسرائيليين. كان عيد المظال يدوم سبعة أيام ينصب العبرانيون خلالها خيماً أو بيوتاً من أغصان شجر في ساحاتهم في الطرق الخ ... تصبح هكذا أورشليم مخيّماً. في كل من الأيام السبعة كان العبرانيون يبتهجون «بأثمارهم كلّها وبكل عمل أيديهم» (تثنية ١٦: ١٥).

(١) يبدو أن كلمة «عنصرة» عبريّة وتعني تجمّع.

كانت تضاء في الهيكل شمعتان كبيرتان تذكاراً للسحابة التي كانت تقود الشعب في البريَّة . وكانت تفاض المياه بغزارة هناك تذكاراً للصخرة التي أفاضت ماءً للشعب في البريَّة مرافقةً إياه في تحرّكاته .

هذه الاعياد يذكرها بولس الرسول في (**١ كور ١٠ : ١-٤**) حيث يتكلم عن « السحابة » وعن « الصخرة المرافقة » التي هي المسيح . ويسوع نفسه قبل بولس يفسّر السحابة والصخرة المرافقة في إنجيل يوحنا (**٧ : ٣٧-٣٩** ، **٨ : ١٢**) . في اليوم الثامن لعيد الخيم يحصل تجمّع كبير ويخرج الجميع من الخيم ويجتمعون في الهيكل . هذا اليوم كان لتذكار الدخول في أرض الميعاد وكان يُعرف اختصاراً باسم « **الثامن** » او « الخروج » (نحميا ٨ : ١٨) . اعتقد أنهم كانوا يرتلون في ذلك اليوم المزمور ١١ الذي عنوانه « من أجل الثامن » والمزمور ٢١ الذي عنوانه « خيمة الخروج » .

آخر يوم من عيد المظال هو « الثامن » حين يحصل تجمّع كبير لإسرائيل في الهيكل وحوله . في هذا اليوم وفي أوج ساعة التجمّع ، بينما كانوا يفيضون الماء لتذكار الصخرة « المرافقة في الصحراء » التي كانت تروي اسرائيل ، وقف يسوع وصرخ :

« في اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً : إن عطش أحد فليُقبل إليَّ ، ويشرب . من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماءٍ حي . قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه ، لأن الروح القدس لم يكن قد أعطي بعد ، لأن يسوع لم يكن قد مُجّد بعد » (**يو ٧ : ٣٧-٣٩**) .

هنا يفسّر يسوع أوّلاً أنه هو نفسه « الصخرة المرافقة » التي منها كان يشرب آباء اسرائيل ، أي كانت تلك **الصخرة** مثالاً ليسوع المسيح . ثم يعود بولس ويعطي التفسير نفسه (**١ كور ١٠ : ٤**) .

كما أن الذي يجوع يجد شبعه الأبدي في مأكل جسد يسوع المسيح ، **ومأكل المسيح هو أن نؤمن بكلمته ونتناول في سر الشكر جسده** ، كذلك هنا الارتواء الابدي من العطش هو يسوع . أن « نشرب » يسوع هو أن « نؤمن » به . لذلك عندما يقول « يشرب » يفسّر « من آمن بي . . .» . هذا لا يكتفي بإرواء عطشه بل يصير هو نفسه ينبوعاً حياً كما في وعد الرب يسوع للسامرية (**يو ٤ : ١٠**) .

الماء الحيّ هو الروح القدس كما يشرح في الحال الإنجيلي . و« البطن » هو الانسان الداخلي وليس الفم . في العهد القديم يشار الى **الانسان الداخلي** مرّات كثيرة بكلمة « قلب » ومرّات قليلة بكلمة « بطن » مثلاً : مزمور ٣٩ : ٩، أمثال ٢٠ : ٢٧، نشيد ٥:٤ مراثي ١:٢٠ .

يُنبئ يسوع بأن المؤمنين به سوف يكونون حاملين الروح القدس ، لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي لأن يسوع لم يكن قد تمجّد .

العبارة « لم يكن » لا تعني لم يوجد بل « لم يكن معروفاً » ، لم يُعلَن » ، « لم يوجد في قلوب البشر » .

تشير العبارة « كما قال الكتاب » حسب القديس يوحنا الذهبي الفم وحسب مفسّرين آخرين الى « من آمن بي » ، والمعنى هو التالي : « من آمن بي كما سبق وقال الكتاب المقدّس إنه ينبغي أن يؤمنوا بي ، من بطنه تجري أنهار ماء حيّ » .

حسب تفسير آخر يشير يسوع الى مقاطع مختلفة من الكتاب المقدّس حول « أنهار المياه » . كانت هذه المقاطع تُقرأ في ذلك اليوم وعلى الأخصّ منها أمثال ٤:١٨ . وأنا أميل الى التفسير الثاني والرب يسوع يستخدم العبارة لا كنبوءة بل كتعبير وتفسير كما يستخدم بولس الرسول في رو ١٠:١٨ المزمور ١٨:٥ . أي

ان العبارة « كما قال الكتاب » لا تعني « كما أنبأ الكتاب حول هذا الموضوع » بل « **باستخدام تعبير الكتاب** ».

* * *

● « فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا : هذا بالحقيقة هو النبيّ . آخرون قالوا : هذا هو المسيح . وآخرون قالوا : ألعل المسيح من الجليل يأتي ؟ ألم يقل الكتاب إنه من نسل داود ومن بيت لحم القرية التي كان داود فيها يأتي المسيح ؟ » **(يو ٧: ٤٠– ٤٢)**.

سبّب الصوت هذا اضطراباً وانقساماً في الجمع المستمع اليه . وهي دلالة خفيّة الى مجيء النبي الكبير المنتظر أي المسيح . « هو المسيح » تفسير أكثر تحديداً . « ألعل المسيح يأتي من الجليل . . . » : آخرون ملحدون يرددون القول الشائع العائد إلى عدم إيمانهم . هكذا يطمئنون ذواتهم مبرّرين عدم إيمانهم ومريحين ضمائرهم . من أين لهم أن يتصوّروا أنّ هذه المعلومات تنطبق على يسوع من حيث الانسانية . انهم من حيث لا يدرون يؤكدون على ان يسوع هو المسيح .

● « فحدث انشقاق في الجمع لسببه . وكان قوم منهم يريدون ان يمسكوه ولكن لم يُلقِ أحد عليه الأيادي » **(يو ٧: ٤٣– ٤٤)**.

عندئذ تهيّأ البعض لكي يقبضوا عليه لانه ، عن طريق ذلك الهتاف وعن طريق كرازته المختصرة التي تزعجهم كثيراً ، قد « دنّس » لحظة العيد الكبير المقدّسة ، لكن أحداً لم يتجرأ على مسكه بالأيدي .

● « فجاء الخدّام الى رؤساء الكهنة والفرّيسيين . فقال هؤلاء لهم : لماذا لم تأتوا به ؟ » **(يو ٧: ٤٥)**.

حرف الفاء يعني في النهاية « بعد كل محاولة فاشلة للقبض عليه » ،

والمقصود هنا أن الخدّام الذين أرسلهم رؤساء الكهنة والفرّيسيون للقبض عليه (٧ : ٣٢) يعودون الآن بلا جدوى . ويقصد أيضاً انهم قد أُرسلوا ليتبعوه مشياً على الأقدام دون أن يجدوا اللحظة المناسبة إلا أنهم سمعوا أقواله كلها وتزعزعوا وفي النهاية آمنوا . فسألهم الفرّيسيون لماذا لم يقبضوا عليه ؟

● « أجاب الخدّام : لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان » (**يو ٧ : ٤٦**) .

لم يكن مقام الفرّيسيين ورؤساء الكهنة يسمح لهم بأن يقتربوا أو يسمعوا يسوع « المضلّل » الشعب . كانوا يستعلمون عنه من خلال آخرين ولبثوا مضطربين أمام جواب الخدّام الذين كانوا يشهدون للحقيقة ولقوّة كلام يسوع . وكأن يسوع بهذه الطريقة يرسل إليهم كرازته بالبريد طالما لم يستمعوا إليه مباشرة . وهكذا كانت قوّة كلامه تنتشر في ديارهم . إن وصفه بال « إنسان » لا يناقض كونه إلهاً ، وذلك ليس لأن هذه الصفة تشير الى طبيعته الإنسانية بل لأنها مجرّد تعبير الخدام . فالانطباع الأوّل ان يسوع هو « انسان عجيب » .

● « فأجابهم الفريسيون : ألعلّكم انتم أيضاً قد ضللتم . ألعلّ أحداً من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به . ولكن هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون » (**يو ٧ : ٤٧ – ٤٩**) .

يجيب **الفريسيون** بغضب . تدلّ هذه الأقوال على أنهم فقدوا هدوءهم . يشعرون كما يشعر قائد المركب عندما يثقب المركب من جهات عديدة فتتسرّب المياه دون ان يستطيع ان يفرّغها فيغرق . إن كان الوسطاء المرسلون للقبض عليه قد آمنوا فالويل لنا ! انتم قد ضلّكم ؟ ألم تشاهدوا الرؤساء والفريسيين زبدة الأرثوذكسية اليهودية وتقتدوا بهم ؟ هل آمن به أحدٌ منهم ؟ لماذا أنتم إذاً تؤمنون به ؟

لكن هذا هو الشعب الكنود الملعون الذي لا يعرف « الكتب » . هذا هو

المفهوم الشائع حتى أيامنا هذه ان بعض الرؤساء يمثل الحقيقة التي تضحي امتيازاً له . بموجب هذا المفهوم عندما لا يؤمن الرؤساء بيسوع عندئذ يجب على الشعب أن لا يؤمن .

● « قال لهم نيقوديموس الذي جاء اليه ليلاً وهو واحد منهم : ألعلّ ناموسنا يدين إنساناً لم يُسمع منهُ أوّلاً ويعرف ماذا فعل؟ » **(يو ٧ : ٥٠ - ٥١)** .

ادعاؤهم يسقط للحال . لأنه في اللحظة التي فيها يقطعون الشعب الملعون عن جسم رؤساء الكهنة والفريسيين ويفسّرون أن الإيمان بيسوع مضلّل الشعب عائد الى جهالة الشعب ، في تلك اللحظة ذاتها يأتي اعتراض نيقوديموس الذي لم يكن من الشعب الملعون (الجاهل الناموس) بل كان فريسياً ورئيساً عظيماً ، عضو المجمع الكبير ، عالماً في الكتب ، « معلّم اسرائيل » ، ويقول ألعلّ ناموسنا يدين إنساناً لم يسمع منه أوّلاً ويعرف ماذا فعل؟ » .

يأتي جوابه بحكمة ليس فقط من ناحية يسوع بل أيضاً من ناحية الفريسيين . هو لا يؤيد يسوع ، لا يمجّد عظمته التي يعرفها جيّداً ويؤمن بها ، لكنه يعترض على مخالفة الفريسيين للناموس بحدّ ذاتها . يقول :

لنفترض أن يسوع مخالف . هذا لا يعني ان الناموس يسمح لنا بأن ندين إنساناً بدون دفاع ولا محاكمة . الأمر وارد في كل قانون بشري ، فكم بالاحرى حسب قانون موسى . لكن بالنسبة للفريسيين كل من لا يستشيط ضد يسوع معتبرٌ مؤيداً له .

وفي الحقيقة ، بما أن يسوع كان عنصراً هاماً وليس مجرّد محكوم عليه ، كان قوياً الى حدّ انه لا يحتمل موقف الحياد . لم يكن الفريسيون ينتظرون مثل هذا الجواب من نيقوديموس . لقد أتى كلامه مثل « قنبلة مفاجئة » في أحشاء الفريسيين ودينونة لرئاسة اليهود الدينية في مجمعهم الشريف ، المجمع الكبير .

● « أجابوا وقالوا : ألعلك أنت أيضاً من الجليل ؟ فتّش وانظر انه لم يَقُم **نبيٌّ** من الجليل » **(يو ٧ : ٥٢)** .

لم يكن اليهود يعتبرون الجليليين اسرائيليين أنقياء ، وكان هذا صحيحاً جزئياً . كانوا يعتبرونهم مفسودين . فمن العيب اعتبار الجليلي يهودياً . كما لو قال اليونانيون « تركياً » . لذا قالوا لنيقوديموس أأنت جليلي ، وتؤيد هذا الجليلي ؟ أنت ربّاني ولا تعرف الكتب ؟ أنظر ، فتش ، إن الكتب تقول انه يستحيل على الجليلي ان يكون نبياً ، فكم بالأحرى المسيح ؟

لم يذكر نيقودموس اسم يسوع ولا المسيح ولا النبي . ذكّرهم فقط بأحد قوانين الناموس لكن بالرغم من ذلك فهم الفريسيون ما يقصد بكلامه . . .

* * *

● « ثمّ كلّمهم يسوع أيضاً قائلاً : **أنا نور العالم** . من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة » **(يو ٨ : ١٢)** .

هذا المقطع الذي يبدأ بعبارة « أنا هو نور العالم » قاله يسوع في « الخزانة وهو يعلّم في الهيكل » (يو ٨ : ٢٠) . ومن الواضح أنه انطلق من المنارتين اللتين كانتا تشتعلان خلال الأيام الثمانية لعيد المظال امام أنظار الكل تذكاراً للسحابة المنيرة في الصحراء . هذا يدلّ على أنه قال كلامه هذا عن النور في تلك الأيام ، ولم يقله مع حديثه عن « الصخرة المرافقة » .

فقد كان يجب بعد حديثه الأوّل أن يعود الخدام الى الفريسيين وتحصل الأحداث كلّها . كما يذكر الانجيلي هنا وهناك انهم لم يتجرأوا على القبض عليه . اذاً نحن أمام حدث لاحق حصل في اليوم التالي . ان أوج تدفق الساجدين الزائرين كان في اليوم « الثامن » يوم المظال . . .

والكلام في « الخزانة » يخوّلنا أن نفترض انه بعد مضيّ العيد كان آلاف

الزائرين وخصوصاً المشتّتين الآتين من بعيد يرمون تقدمتهم ويؤدون كل ما يمليه عليهم ناموس موسى. الخزانة هي الصندوق والخدمة المالية . .. هناك أيضاً في آخر فصح له في أورشليم، مدح يسوع الارملة التي قدمت فلسيها (مر ١٢: ٤٢ ولوقا ٢١: ٢).

يختصر يوحنا ما جاء في الأناجيل الإزائية ويبقى ما جاء عن نور العالم. ربما جرى في اليوم التالي للعيد اطفاء المنارات. على كل حال كان مشهدهم بعد حيًّا. قال يسوع: «**أنا نور العالم . . .**»

كانت تلك **السحابة** نورَ اسرائيل. **يسوع هو نور العالم**. كان شعب اسرائيل يتبع تلك السحابة، وكل انسان مدعو ليتبع يسوع. هذا المعنى تتضمّنه العبارة «من يتبعني». الظلمة هنا هي الظلمة الروحية، عدم معرفة الله ومشيئته، الهلاك. الشمس هي التي تمنح نور الحياة الطبيعي. لكن يسوع يتكلم هنا عن الحياة الابدية وهذه الحياة هي يسوع نفسه. من يتبعه له «نور الحياة». الباقون يمشون في «الظلمة»، في الهلاك، في الضلال. وكما ان الشمس الطبيعية هي سيدة الكون المنظور (كما يبدو للعين المجرّدة) كذلك يسوع هو رب العالم.

هذا المقطع له أهمية قصوى في العهد الجديد. وهو من المقاطع القديمة المختارة المعروفة في الكنيسة. والمقطع هذا لا يحتوي على رواية المرأة الزانية (يو ٧: ٥٣- ٨: ١١) لأنه مباشرة بعد يو ٧: ٥٢ يقول يسوع «أنا هو نور العالم . . .».

لمحة عن الآباء القدّيسين

• القديس سمعان اللاهوتي الحديث (٩٤٩-١٠٢٢)

من أكبر الروحانيين في الكنيسة الارثوذكسية. تتلمذ على يد الشيخ سمعان التقي« مرّ بدير الستوديت Stoudite ثم أصبح رئيساً لدير القديس ماما في القسطنطينية. عيده في ١٢ اذار

• نيكفوروس ثيوطوكس (١٧٣١-١٨٠١)

ولد في جزيرة كركره (corfou) سنة ١٧٣١ في اليونان حيث رفات القديس اسبيريدون العجائبي. تعلّم في مدينة ليبسيا في جرمانيا وأتقن اليونانية واللاتينية. ثم أصبح اسقفاً لروسيا الجديدة. ثم استقال وانصرف الى التأليف.

مؤلفاته: جدول الآباء، مؤلفات اسحق السرياني خطب وعظات في اناجيل ورسائل الآحاد (بهجة الفؤاد).

• ثيوفيلكتوس فولغارياس (١٠٣٠-١١٢٦)

Théophylacte de Bulgarie ولد في جزيرة إفيا Eubée في اليونان وجاء الى القسطنطينية. أصبح شماساً في أجيا صوفيا ثم انتخب اسقفاً على بلغاريا. له تفاسير عديدة في اسفار العهد القديم والجديد. استوحى الكثير من القديس يوحنا الذهبي الفم والآباء الكبادوكيين.

• افتيميوس زيغافنوس (١٠٥٠-١١٢٠)

عاش راهباً في القسطنطينية في عهد الامبراطور ألكسيوس كومنينوس. كتب ضدّ الهراطقة وفسّر الاناجيل الاربعة مع رسائل بولس مستنداً خاصة الى القديس يوحنا الذهبي الفم.

• القديس ابيفانيوس قبرص (٣١٥-٤٠٣) عيده ١٢ أيار

ولد في فلسطين. حارب الهراطقة. أتقن لغات كثيرة. أصبح راهباً في برّية غزّة.

في سنة ٣٦٧ أصبح أسقفاً على قسطنطية في سلامينة قبرص مدة ٣٨ سنة. مؤلفاه الرئيسيان في العقائد وضدّ الهراطقة. وضع أيضاً عظات هامة أهمّها «النزول الى الجحيم» كان لها أثر كبير في تعليم الكنيسة وعبادتها الليتورجية.

• القديس ذياذوخس فوتيكيس

ولد حوالي سنة ٤١٠ ومات حوالي سنة ٤٨٦ . أسقف فوتيكيس غرب اليونان. أهم مؤلفاته «مائة مقالة في المعرفة الروحية» صدرت عن منشورات التراث الآبائي مرجع روحي هام. عظة في الصعود.

• القديس افرام السرياني (٣٠٦-٣٧٣)

ولد في مدينة نصيبين في شمال سوريا (Mésopotamie فيما بين النهرين). تدرّب على يد الاسقف النصيبيني الذي سامه شماساً وتلقى الثقافة العالمية والدينية الواسعة. يعتبر من آباء الكنيسة الكبار (ملفان). الى جانب مواهبه اللاهوتية والشعرية بقي معروفاً بميله الجانح الى النسك والبرية لذلك ترك مؤلفات وعظات روحية رائعة (ميامر) مما جعله معروفاً **بقديس التوبة والتخشّع والصحو** الى جانب نشائده الخالدة التي كرسّته «قيثارة الروح القدس». وقد اهتم أيضاً بتفسير قيّم للكتاب المقدّس بشهادة القديس غريغوريوس النيصصي. توفي سنة ٣٧٣ في مدينة ايدسا (الرها أو اورفا اليوم) وعيده السنوي في ٢٨ كانون الثاني.

• القديس يوحنا الذهبي الفم (٣٥٤-٤٠٧)

ولد في أنطاكية. امّه أنثوسة تقيّة جداً. ربّت ولدها على الايمان خاصة بعد أن أصبحت أرملة باكراً. حصل على ثقافة واسعة تحت يد ليبانيوس الشهير.

لكنه انصرف باكراً الى الفلسفة الحقيقية التي للقديسين. بعد موت والدته عاش راهباً في ضواحي انطاكية. رسم كاهناً سنة ٣٨١ على يد فلافيانوس خليفة القديس ملاتيوس بطريرك انطاكية. جاهد خلال ١٢ سنة من خلال عظاته الشهيرة ورعايته لكي يخرج شعبه من الاجواء العالمية الى الاجواء الروحيّة. وقد أكب على شرح الكتاب المقدّس وخاصة رسائل بولس الرسول.

وفي سنة ٣٩٨ أصبح بطريركاً على القسطنطينية حيث تابع نشاطه الرعائي

والوعظ كما جاهد ليعيش في فقر بالرغم من الترف المحيط به. وبسبب الاضطهاد نفي مرّتين ومات في المنفى سنة ٤٠٧ في منطقة البنطس وهو يقول «المجد لله على كل شيء».

تحتفل الكنيسة بتذكاره في ١٣ ت٢ من كل سنة وله مؤلّفات عديدة في شتّى الميادين (متنوّعة وغزيرة) باقية حتى اليوم.

• القديس غريغوريوس بالاماس

(١٢٩٦-١٣٥٩)

ولد في آسيا الصغرى وانتقل باكراً مع والديه الى القسطنطينية. لمع في دروسه العالمية لكنه فضّل سيرة الرهبنة.

في العشرين من عمره أصبح راهباً وعاش في الجبل المقدّس جبل آثوس ١٥ سنة. في سنة ١٣٢٦ رسم كاهناً في مدينة تسالونيك حينئذ الّف كتبه للدفاع عن القدّيسين الهدوئيين Triades وبعد ذهابه من جديد الى الجبل المقدّس وعودته رسم سنة ١٣٤٧ مطراناً على تسالونيك عندها اشتهر كواعظ. توفي في ١٥ ت٢ سنة ١٣٥٩ في تسالونيك وهو شفيع المدينة بعد القديس ديمتريوس. في سنة ١٣٦٨ أعلنت قداسته وعيّن الاحد الثاني من الصوم الكبير للاحتفال بذكره.

• القديس اندراوس الكريتي (٦٦٠-٧٤٠)

أنظر الى صفحة ٣٠٢ لمحة عن القدّيس حياته ومؤلّفاته

فهرس عام

I الآحاد بعد العنصرة

أحد الصليب

II الآحاد بعد رفع الصليب

III آحاد الصوم الكبير

(التريودي)

فهرس بالمواضيع

ـ أ ـ

– ب –

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

- ح -

— د —

– ذ –

- ر -

- ز -

- س -

- ص -

– ض –

– ط –

ـ ظ ـ

- غ -

ـ ف ـ

– ل –

– م –

– ن –

— هـ —

– و –

— ي —

